شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الثاني والأربعون، السنة الرابعة، ذو القعدة ١٤٣٤ - أيلول / تشرين أول ٢٠١٣

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٢٠٠ ل.س. - العراق: ٢٠٠٠ دينار - مصر: ١٠ جنيه - السودان: ٢٠٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — وحدةُ الأمّةِ والعالَمين ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق — تاريخ المشهد الكاظميّ ..... إعداد: د. أليس كوراني ٨

مراقبات — أعمال شهر ذي القعدة ..... إعداد: "شعائر" ١٣

أحسن الحديث — الرّحمانيّة والرّحيميّة ..... المرجع السّيّد السّبزواري دام ظله ١٦

نزول القرآن باللّغة العربيّة ..... الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم قدس سره ١٨

سورة "فصّلت" ..... من دروس "المركز الإسلاميّ" ١٩

أيام الله — مناسبات شهر ذي القعدة ..... إعداد: صافي رزق ٢١

وقال الرسول — الحاجُّ وفدُ اللهِ وضيفُه ..... إعداد: محمّد ناصر ٢٤

حدود الله — في اشتغال ذمّة الميت بالحجّ ..... الإمام الخميني قدس سره ٢٥

يزكّيهم — خشوع القلب ..... الشّهيد السّيّد عبد الحسين دستغيب قدس سره ٢٦

الملف — **آدابُ سفر الحجّ** ٢٧

استهلال ..... الشّيخ الصّدوق قدس سره ٢٨

آدابُ السّفر ومختصّات الحجّ ..... الفقيه السّيّد اليزديّ قدس سره ٢٩

آدابُ المناسك ..... الفقيه النّراقيّ قدس سره ٣٥

(ليَشهدُوا منافعَ لهُم..) ..... العلّامة الطّباطبائيّ قدس سره ٣٩

تأمّلات عمليّة للسّفرَين ..... الفقيه الشّيخ البهاريّ الهمدانيّ قدس سره ٤١

في معنى التّلبية ..... الشّهيد الثّاني قدس سره ٤٢

لولا دعاؤكم — ها وربِّ الكعبة ..... السّيّد ابن طاوس قدس سره ٤٣

صاحب الأمر — ..أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..... إعداد: "شعائر" ٤٤

أعلام

الصحابي الجليل حجر بن عدي

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	صلاة مهمّة لقضاء الحوائج	الشّيخ الطّبرسيّ ﵀	٤٦
يذكرون	الذِّكرُ بعد الصّلاة	المحقّق الحلّيّ ﵀	٤٧
حوارات	المرجع الدّينيّ الميرزا جواد التّبريزيّ ﵀	إعداد: "شعائر"	٤٨
فكر ونظر	بعضُ أسرار الحجّ	الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ﵀	٥٢
	التقصير في معرفة المعصومين ﷺ	الشيخ فوزي آل سيف	٥٤
أعلام	حُجْر بن عديّ الكنديّ	إعداد: سليمان بيضون	٥٧
كلمة سواء	الإيمان كشرطٍ لحوارٍ خلّاق	كريم عبد الرّحمن	٦١
وصايا	وصيّة الشّهيد الثّاني في طلب العلوم الدّينيّة	الشّهيد الثّاني ﵀	٦٢
مرابطة	سبعُ سنواتٍ على حرب تمّوز	محمود حيدر	٦٤
وثائق	"تحفة الأحباب في مناظرة الشّيب والشّباب"	"مركز الفقيه العامليّ"	٦٦
دوائر ثقافية	فهرس		٦٧
موقف	الموتُ أعظم الدّواهي	الفقيه الشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ ﵀	٦٨
فرائد	طولُ الصّمت. وحُسن الخُلُق	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"منازل الآخرة" للمحدّث القمّي	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	كرامةُ المريض. وأدبُ عيادته	صاحب الجواهر ﵀	٧٢
مصطلحات	الكرامة	أحمد بن أحمد السّجاعيّ	٧٤
مصطلحات	الختميّة	إعداد: "شعائر"	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برّو	٧٦
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيّها العزيز	إلى زوّار بيت الله الحرام	الإمام الخميني ﵀	٨٢

بسملة

وحدةُ الأمّة والعالَمين

■ الشيخ حسين كوراني

الحجُّ تعزيزُ توحيدِ الله تعالى، وتظهير وحدة الأمّة في صراط توحيد العالَمين وجمْع شملِهم والكلمة، وائتلاف الفُرقة، لتتجلّى منظومة الخلْق الواحدة، التي باعدتْ بينها الأهواء، كما تُباعِد بين أفراد العائلة الواحدة.

تعزيزُ التّوحيد: تدبُّرٌ وتفكيرٌ وتعمّقٌ يحرّر من أَسْر الكَثَرات والأرباب المتفرّقين والأهواء المُتشاكسة لينتظمَ القلب في خطّ العقل وتتحقّق وحدةُ الفرد بعد الانفصام والتّشظّي والفؤاد الهواء والعين التي لا تُبصر، والأُذُن التي إنْ سمعتْ، لا يتّبع صاحبُها أحسنَ القول؛ تشدُّه تعلّقاتُ الأهواء إلى الهَوى – الباطل، بألف وثاق.

تعزيزُ التّوحيد: يقظةُ العقل بعد سُباته. «**نعوذُ بالله من سُبات العقل وقُبْح الزَّلَل- قال عليٌّ عليه السّلام**»، وعيُ الوجودِ كما يَعِي ما حولَه مَن أفاق من إغماء، أو نشطَ من عقال أو أبلَّ من مرض. وصولٌ بعد التّيه المُطبق، والضّربِ بعيداً في مهاوي القفار والرّدَى.

الحجّ تعزيزُ توحيد الله تعالى، وتظهيرُ وحدة الأمّة في صراط توحيد العالَمين

* **تظهيرُ وحدة الأمّة:** حين كان أمير الحجّ محمّديّاً كنّا نحجّ أمّة. أصرّت الأهواء عبر «الاستبداد»، و«المُلك العَضُوض» على إحلال الغرائزيّة والميول والتّعلّقات محلّ العقلانيّة وثقافة القانون الإلهيّ. الكَثَرات بدلاً من التّوحيد. آلَ الأمرُ إلى تجزئة الحَجيج وتمزيقهم، وصرنا نحجُّ وحداناً وزرافات. رأسُ الفساد هي الأهواء. «**حبُّ الدّنيا رأسُ كلّ خطيئة**».

الأُمم على شاكلة أفرادها. بين حجّ الفرد وحجّ الأمّة أبعد ممّا بين حجّ الأمّة وحجّ العالمين. الوجه الآخر لهذه الحقيقة أنّ المدخل الحصريّ إلى «**حجّ الأمّة**» هو الحجّ النّصوح يؤدّيه الفرد. «**الحجُّ الإبراهيميّ**» الذي يعزّز توحيدَ الله واليقينَ العقائديّ، والبحث عن «**السِّرب**» و«**الجماعة**» عن «**حجّ الأمّة**».

***

قواعدُ الحجّ الإبراهيميّ، البراءةُ والهجرة، والولايةُ، والصّلاةُ، وخدمةُ النّاس.

البراءة والهجرة: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت:١٧. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾ مريم:٤٨.

الولاية: ﴿..إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾ البقرة:١٢٤. ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مريم:٤٩-٥٠.

الصّلاة: ﴿..لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ..﴾ إبراهيم:٣٧، مدخلاً إلى تثبيت البراءة والولاية، وخدمة النّاس بمعناها الآتي.

خدمة النّاس: في أبعاد الثّقافة والفكر، والسّياسة، والجهاد، والحريّة، والعيش الكريم، لإتاحة الفرصة للعبادة ﴿..لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات:٥٦.

وأذِّن في النّاس بالحَجّ. ﴿..فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ إبراهيم:٣٧.

«**بابُ السّلام**» إلى هذه القواعد، تصحيحُ النّيّة والقَصد، ليقتربَ القلبُ من حَرَم التّوحيد. «**قربةً إلى الله**».

«بابُ السّلام» إلى «الحجّ الإبراهيميّ»،
تصحيحُ النّيّة والقَصد، ليقتربَ القلبُ
من حَرَم التّوحيد. «قربةً إلى الله».

***

لا قُربَ بدون نيّة وقصد وحركة ودوام السّير والسّفر، ولا سلامةَ في السّفر بدون الزّاد والرّاحلة والقافلة، والمُستطاع من القوّتَين العلميّة والعمليّة النّظريّة والتّطبيق. ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ..﴾ الأنفال:٦٠.

لا قُربَ بدون بُعد. مَن اقتربَ من جهة ابتعدَ عن خلافِها. من هنا كانت البراءةُ أُولى القواعد الحَنيفيّة. لا قُربَ من حَرَم التّوحيد إلّا بتَرْك الأرباب المُتشاكسين وما يعبدون من دون الله ليتنفّسَ فجرُ الهجرة وتبدأ التّرجمة العمليّة للبراءة في أُولى المراحل والتّجلّيات.

***

حين دعا الإمامُ الخمينيّ إلى مسيرة البراءة في مكّة، كان يؤذّنُ في الأمّة بالعودة إلى الحجّ الإبراهيميّ. حجّ الفرد المتحرّر من أَسْرِ الطّواغيت والملأ والمُترَفين، المتّصلِ ببحرِ الأمّة والعالَمين.

وعندما أعلن الإمام الخمينيّ يومَ القدس العالميّ كان يؤسّسُ لحقيقة تماهي القِبلتَين؛ أقصى القوم والجهاد، قطعُ دابرِ الطّواغيت عن القدس وما حولَها، لينتظمَ حجُّ الفرد والأمّة ووحدةُ العالَمين.

«البراءة من الطّواغيت» محور هذه الثّلاثيّة الخمينيّة الكَونيّة:
مسيرةُ البراءة. يومُ القدسِ العالميّ. حركةُ المستضعفين.

وحين دعا الإمامُ إلى تأسيس «**حركة المستضعفين**» كان يُلفت الأجيالَ إلى عالميّة مفهوم النّاس الذين وُضع البيتُ «**مثابةً لهم وأمناً**».

«**البراءةُ من الطّواغيت**» محورُ هذه الثّلاثيّة الخمينيّة الكونيّة.

لَئِنْ تمكّنت الوهابيّة -وتكفيريّو ساحلها- من عَرْقلة مسيرة البَراءة فإنّها لم تتمكّن من النّيل من روحها. وهجُ تحرير فلسطين خيرُ دليل.

بات التّحالف الأمويّ - الوهابيّ، والصّهيونيّ والمادّيّ، في قلب المأزق. تخرّصَ أنّ بالإمكان محاصرة عالميّة التّجديد الخمينيّ للأذان الإبراهيميّ - المحمّديّ. أمعنَ في الاستكبار والتّفرعُن. آنَ له أن يدركَ أنّ حجّ الأمّة قطعَ أشواطاً قياسيّةً في زمنٍ قياسيّ. عالميّةُ الأُسرة الواحدة -لا العَولَمة المفترسة- هي النّظامُ الدّوليّ الجديد. فَلْنَعرفْ كيف نحجّ مع وليّ الأمر وأمير الحاجّ والحجّ، ولنُدرك بعيدَ مرامي: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ المسد:١.

***

تاريخ المشهد الكاظميّ
على أعتابه تُقضى الحوائج

صورة ليلية حديثة للعتبة الكاظمية

إعداد: د. أليس كوراني

موطنٌ تنزل الملائك فيه ومقام يسرّ (نسرّ) فيه الفؤادا

هكذا يصفه الشّاعر عبد الغفّار الأخرس الموصلّي، ويشعر بذلك كلّ من يزور عتبته المقدّسة، حتّى أنّ شيخ الحنابلة أبا عليّ الخلّال قال: «ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفر فتوسّلت به، إلّا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ»؛ وكيف لا، وهو باب قضاء الحوائج...

في هذا التّحقيق نَجول في صفحات تاريخ المشهد الكاظميّ لنتلمّس عظمة هذين الإمامَين اللّذين لم تَستطع عاديات الزّمان محوَ آثارهما في تلك البقعة المباركة.

مدينة الكاظميّة المنسوبة إلى الإمام موسى الكاظم عليه السّلام، حيث مقامه المشرّف، هي جزء لا يتجزّأ من مدينة بغداد، ماضياً وحاضراً؛ وفي المحلّة المعروفة بالتّوثة في منتصف القرن الهجريّ الثّاني [محلّة التّوثة تُعرف اليوم بمقبرة الشّيخ جنيد] بالقرب من نهر عيسى بن عليّ الهاشميّ، كانت هناك مقبرة معروفة آنذاك بمقبرة الشّونيزيّ الصّغير، وفيها دُفن عددٌ من الهاشميّين فعُرفت لاحقاً باسم مقبرة قريش، أو مقبرة بني هاشم. قال الأربليّ في (كشف الغمّة): «وكانت هذه المقبرة لبني هاشم»، أمّا الشّيخ المفيد فقال في (الإرشاد): «إنّها لبني هاشم والأشراف من النّاس».

ويقول ابن خلّكان عند ذكر وفاة الإمام الكاظم عليه السّلام: «ودُفن في مقابر الشّونيزيّة..».

تاريخ المشهد الكاظميّ

في الخامس والعشرين من رجب عام ١٨٣ للهجرة، استُشهد الإمام الكاظم عليه السّلام مسموماً في سجن هارون العبّاسيّ، فحُمل جثمانه الطّاهر إلى مقابر قريش، ودُفن حيث قبره الشّريف الآن، وانفرَد المسعوديّ في كتابه (إثبات الوصيّة) في أنّه دُفن في موضعٍ كان ابتاعه لِنفسه في مقابر قريش بمدينة السّلام.

اسم المشهد

قبل استقرار اسمه الحاليّ، عُرف المشهد الكاظميّ، بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السّلام، باسم «مشهد موسى بن جعفر»، و«قبر موسى بن جعفر»، و«مشهد باب التّبن»، نسبةً إلى باب التّبن الذي كان شرقيّه ممّا يقرب نهر دجلة. وانفرد الطّبريّ الإماميّ في (دلائل الإمامة) بتسميته أيضاً بـ «مسجد أبي إبراهيم موسى بن جعفر»، ويعلّق على ذلك الشّيخ محمّد حسن آل ياسين في كتابه (تاريخ المشهد الكاظميّ)، ص١٨: «ولعلّ كلمة «مسجد» تصحيف لـ «مشهد» كما يرجّح الظّنّ، أو أنّ المقصود به مسجد باب التّبن؛ وقد نسبه للإمام لوقوع قبره الشّريف بالقرب منه».

وصف المشهد قديماً

ليست هناك معلومات كافية بخصوص شكل المشهد قديماً وطريقة بنائه، إذ لا تُظهر المصادر كيف كان المقام في العصر العبّاسيّ، سوى الإشارة إلى وجود جدران حوله، والمساجد المحيطة به، وفي هذا رُوي:

عن أحمد بن عبدوس الخلنجيّ، عن أبيه رحيم، قال: «قلت للرّضا عليه السّلام: جعلتُ فداك! إنّ زيارة قبر أبي الحسن، عليه السّلام، ببغداد علينا فيها مشقّة [أي الخوف من بطش السّلطة الحاكمة بالزّائرين]، وإنّما نأتيه فنسلّم عليه وراء الحيطان، فما لَمن زاره من الثّواب؟ قال: فقال له: **والله مثل ما لَمن أتى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله**». [كامل الزّيارات، لجعفر بن محمّد بن قولويه].

وعن الحسين بن يسار الواسطيّ قال: «قلت للرّضا عليه السّلام: أزور قبر أبي الحسن عليه السّلام ببغداد؟ فقال: **إن كان لا بدّ منه فمن وراء الحجاب**». [بحار الأنوار، ج٩٩: ٤].

وعن عليّ بن حسّان قال: «سئل الرّضا عليه السّلام في إتيان قبر أبي الحسن موسى عليه السّلام فقال: **صلّوا في المساجد حوله**». [من لا يحضره الفقيه، للشّيخ الصّدوق].

إذاً، كان المشهد محاطاً بجدران، وكانت الزّيارة من ورائها، والصّلاة في المساجد المحيطة حوله، خوفاً من بطش السّلطة الحاكمة.

وبعد شهادة الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليهما السّلام دفن في (تربة) جدّه الكاظم عام ٢٢٠ للهجرة، وشيّدت قبّتان فوق قبريهما الشّريفين بعد مدّة قصيرة، بدليل أنّ التّربة لا تطلق إلّا على قبر مختصّ عليه قبّة.

وبعد مدّة وجيزة، أخذت الحجرات والدُّور تكثر حول المشهد، وخصّصت للمرقدَين الشّريفَين غرفة لزيت القناديل، وأخرى للفرش وغير ذلك، وكانت زيارة المرقدَين الشّريفَين تتأرجح بحسب علاقة الحاكم العبّاسيّ بالعلويّين.

المؤمنون على أعتاب باب الحوائج

المشهد في العهد البويهيّ

مع وصول البويهيّين إلى بغداد، ازداد الاهتمام بالمشهد الكاظميّ. ففي عهد معزّ الدّين البويهيّ الذي أصبح الحاكم الفعليّ في ظلّ الخلافة العبّاسيّة، جرى تجديد المشهد الكاظميّ عام ٣٣٦ للهجرة، ووُضع فوق القبرَين صندوقان من خشب السّاج تعلوهما قبّتان من السّاج أيضاً، وأُحيطا بسُورٍ للحفاظ عليهما، وأفرد معزّ الدّين عمّالاً لخدمة المشهد، وجنوداً للحفاظ على الأمن، الأمر الّذي شجّع النّاس على الإقامة حوله، فأخذَت رقعة العمران تزداد شيئاً فشيئاً، وأقبل النّاس على زيارة الإمامَين عليهما السّلام، وتقديم الهدايا للمشهد، والدّليل على ذلك ما أورده ياقوت الحمويّ في (معجم الأدباء) في ترجمة شاعر أهل البيت عليّ بن عبد الله بن وصيف النّاشئ (ت: ٣٦٥ للهجرة): «وكان يعمل الصّفر [أي النّحاس] ويخرمه، وله فيه صنعة بديعة "..." ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريشٍ مربّع غاية في حسنه».

في العام ٣٦٧ للهجرة فاض نهرُ دجلة، فأحدث خراباً في الجانب الشّرقيّ من بغداد، من جملتها خراب أصاب مقابر قريش بما فيها المشهد الكاظميّ، الأمر الّذي حدا بأبي شجاع، عضد الدّولة البويهيّ، ببناء سُورٍ متينٍ حوله ليَقيه من الفياضانات المقبلة، وأعاد بناء ما تهدّم منه.

ثمّ أنفق عضد الدّولة الأموال الكثيرة على ما تهدّم واحترق من منازل بغداد وأسواقها ومساجدها إثر الفتنة الّتي ضَربت البلاد،

وأوْكَل إلى نقيب العلويّين الإشراف على بناء المساجد الجامعة والمشهد الشّريف.

وفي عهد ابنه شرف الدّولة (٣٧٦-٣٧٩ للهجرة)، جُرّت المياه من دجلة إلى المشهد.

في العام ٤٤١ للهجرة، وإثر الفتنة الكبرى الّتي ضربت بغداد، مُنع الشّيعة من إحياء يوم عاشوراء في المشهد الكاظميّ، لكن سرعان ما تصالح السّنّة والشّيعة في العام التّالي، بعد اتّفاقهم على التّخلّص من رئيس شرطة بغداد، وفي ذلك ورد في (النّجوم الزّاهرة) لابن تغري بردي: «".." وسبب ذلك أنّ أبا محمّد النّسويّ وليّ شرطة بغداد وكان فاتكاً، فاتّفقوا على أنّه متى رحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا، وأُذّن بباب البصرة بـ (حيّ على خير العمل)، ".." ومضى أهل السّنة والشّيعة إلى مقابر قريش"..."».

وعادت الفتنة فضرَبت أطنابها، فدخل الغوغائيّون النّواصب المشهد الكاظميّ، وقال ابن الأثير في (الكامل في التّاريخ): «".." قصدوا مشهد باب التّبن فأُغلق بابه، فنقبوا في سُوره وتهدّدوا البوّاب، فخافهم وفتح الباب، فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في التّرب والدُّور، وأدركهم اللّيل فعادوا. فلمّا كان الغد كثر الجمع، فقصدوا المشهد ".." وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجرِ في الدّنيا مثله "..."».

في العام ٤٥٠ للهجرة جدّد البساسيريّ والملك الرّحيم المشهد، ووضعا صندوقَين جديدَين فوق القبرَين، وشيّدا سياجاً للرّوضة نفسها وقبّة عليها، كما شيّدا بهواً واسعاً من جهة الجنوب، وجعلا إلى جنب ذلك مسجداً ومئذنة.

في النّصف الثّاني من القرن الخامس

في العام ٤٦٦ للهجرة، فاضت دجلة فتهدّم سور المشهد الكاظميّ، فتكفّل صاحب الموصل شرف الدّولة مسلم بن قريش بن بدران (قتل عام ٤٧٨ للهجرة) بإصلاحه.

في العام ٤٩٠ للهجرة، جدّد مجد الملك أبو الفضل البراوستانيّ القمّيّ المشهد، وارتفعت فوقه مئذنتان زُيّنتا بالفسيفساء، وُوضع صندوقان جديدان من السّاج، واستُحدث محلّ لاستراحة للزّائرين.

في القرنَين السّادس والسّابع

في العام ٥٧٥ للهجرة، بُني رواقٌ جديد كان له باب يسمّى الباب الأوّل، وكان الدّخول إلى الرّوضة من داخل الرّواق ولها باب خاصّ يسمّى الباب الثّاني؛ وبُني بهوٌ وعددٌ من المآذن، كما جُدّد الصّندوق المطعّم بالذّهب فوق الضّريح، وكُسِيَ المشهد بأبهى حلّة، فبُنيت الحجرات والدُّور قرب المشهد لاستقبال الزّائرين ولإطعام الفقراء عام ٦٠٤ للهجرة.

وفي مطلع القرن الهجريّ السّابع جُدّدت عمارة القبّة الشّريفة، كما جُدّد الرّواق وتمّ توسعة البهو، وزيد في سعة الحَرَم، ووُضع صندوقان من الخشب الجيّد فوق الضّريحين، كلّ ذلك بإشراف السّيّد ابن طاوس، وتمّ التّجديد عام ٦٢٤ للهجرة. وما زال صندوق قبر الإمام الكاظم عليه السلام محفوظاً في الغرفة (١٦) في دار الآثار العربيّة ببغداد.

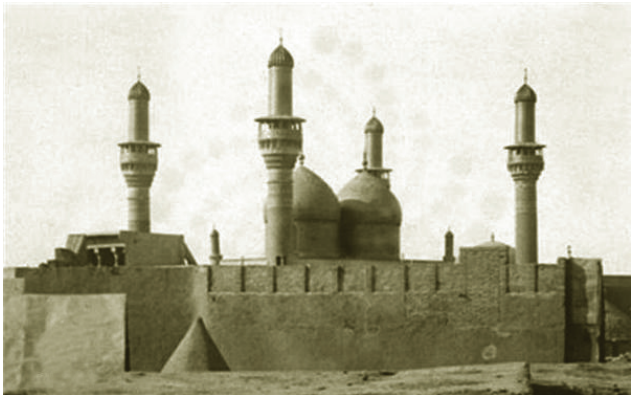

صورة قديمة لسور المقام المطهّر

بعد سقوط بغداد

أحرق المغول المشهد الكاظميّ عندما اجتاحوا بغداد وخرَّبوها، ولمّا استتبّ الأمر أُعيد تجديده. ففي عهد الأمير قراتاي، قام شهاب الدّين بن عبد الله، بعمارة المسجد الجامع والمشهد الكاظميّ، وكان الشّيخ نصير الدّين الطّوسيّ المحرّك الأساس لتجديد المشهد الشّريف.

وما إن انتهى القرن السّابع الهجريّ «حتّى كان المشهد قد بلغ الغاية في العمارة والزّينة والتّنظيم»، ووصفه الرّحالة الّذين قصدوا بغداد آنذاك.

وبقي نهر دجلة يفيض ويخرّب ما حوله، ثمّ يعاد بناء ما تهدّم. ففي العام ٧٦٩ للهجرة، جدّد السّلطان أويس الجلايريّ المشهد، فبنى قبّتَين ووَضع صندوقين من الرّخام فوق الضّريحين الشّريفين، وزَيّن الحرم بالطّابوق الكاشانيّ مزداناً بالآيات القرآنيّة، وعمَّر الرّواق والرّباط في الصّحن، وصرف الأموال للخدّام والسَّدَنَة.

في العهدَين الصّفويّ ثمّ القاجاريّ

* عام ٩١٤ للهجرة، دخل الشّاه إسماعيل الصّفويّ بغداد فاتحاً، وبعد مدّة، زار المشهد الكاظميّ، فأنعم على مَن كان هناك بأنواع الإنعام، وعيَّن الرّواتب لخدّام المشهد، وأصدر أمرَه بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجديداً يشتمل توسيعَ الرّوضة وتبليط الأروقة بالرّخام، ووضعَ صندوقَين خشبيَّين على القبرَين الشّريفَين، وتزيين الحرم وأطرافه الخارجيّة بالطّابوق الكاشانيّ ذي الآيات القرآنيّة والكتابات التّاريخيّة، كما أَمر بأن تكون المآذن أربعاً بعد أن كانت اثنتَين، وبتشييد مسجدٍ كبيرٍ في الجهة الشّماليّة للحَرَم متّصل به، وأحال أمر تنفيذ ذلك إلى أمير الدّيوان خادم بيك، وعاد إلى إيران.

كذلك أمر الشّاه إسماعيل أيضاً بتنظيم شؤون الصّحن المحيط بالمشهد، وكان فيه رباط للحيوانات الّتي تُقِلّ الزّائرين إلى المشهد ومنه، فأمر بإبعاده وجعله خلف الصّحن.

كما أمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش وقناديل، وعيّن للمشهد عدداً من الحفّاظ والمؤذّنين والخدّام. ويظهر من تاريخ الطّابوق أنّ الأعمال العمرانيّة قد تمّت في عهد الشّاه طهماسب عام ٩٣٦ للهجرة.

* وفي عام ١٠٣٢ للهجرة، أعاد الشّاه عبّاس الصّفويّ حكم الصّفويّين في بغداد بعد غياب دام ٩٢ عاماً إثر الاحتلال العثمانيّ سنة ٩٤١ للهجرة. وبعد استتباب الأوضاع واستقرارها زار الشّاه المشهد، وأمر بإعادة تشييد ما خرَّبته الحروب والفتن وما سبّبته من إهمال، وأمرَ بصنعِ ضريحٍ ضخمٍ من الفولاذ يوضع على الصّندوقين الخشب ليقيهما غوائل النّهب والسّلب أثناء معارك الفوضى أو هجوم العشائر على البلدة. وبالنّظر إلى سوء العلاقات السّياسيّة بين إيران وتركيا، فقد تأخّر إرسال هذا الضّريح حيناً طويلاً من الدّهر استمرّ حتّى عام ١١١٥ للهجرة، فوصل إلى الكاظميّة في شهر جمادى الثّانية من تلك السّنة وفدٌ كبيرٌ يضمّ لفيفاً من علماء الدّين والوزراء والوجهاء الإيرانيّين، وفي مقدّمتهم شيخ الإسلام الشّيخ جعفر الكمرئيّ ومعهم هذا الضّريح الفولاذ، وأُقيم لنصبه على المرقد احتفالٌ عظيمٌ حَضَرَه الآلاف من العراقيّين والإيرانيّين. وهذا الضّريح كان يشتمل على كتاباتٍ كثيرة من جملتها سورة (الدّهر) وآياتٍ أُخرى من القرآن المجيد، مضافاً إلى بعض الأبيات والمقطّعات الشّعريّة.

* وفي عام ١٠٤٥ للهجرة أمر الشّاه صفيّ بن عبّاس الصّفويّ بإجراء بعض الإصلاحات في المشهد.

* في العام ١٢٠٧ للهجرة، أمَرَ أقا محمّد شاه القاجاريّ بإكمال ما بَدَأه الصّفويّون في هذا المشهد، فأُنشئت المنائر الثّلاث الكبرى الّتي رفع الصّفويّون سمكَها إلى حدّ السّطح، وكانت الرّابعة مشيّدة منذ أكثر من مائتي سنة -ولكنّها بلا سقف من فوق رأس المؤذّن- فشُيِّد لها سقف.

صورة نادرة لزوّار المقام المقدّس

وتمّ إنشاءُ صحن واسع يحفّ بالحرم من جهاته الثّلاث: الشّرقيّة والجنوبيّة والغربيّة، ويتّصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشّماليّة. وتمّ تخطيط الصّحن بمساحته الموجودة اليوم.

وأكمل فتح عليّ شاه التّجديدات؛ فنَقَش باطن القبّتَين وسقف الرّوضتين بماء الذّهب والميناء وقِطَع الزجاج الملوّن، وزيّن جدران الرّوضة كلّها بقطع الزّجاج الجميل المثبّت على الخشب. ثمّ ذهَّب القبّتَين والمنائر الصّغار الأربع عام ١٢٢٩ للهجرة.

* وفي العام ١٢٥٥ للهجرة، غُشّي الإيوان الصّغير بالذّهب، بنفقة منوجهر خان الملقّب «معتمد الدّولة» أحد رجال الحكومة الإيرانيّة (توفّي نحو سنة ١٢٦٠ للهجرة).

* وفي العام ١٢٧٠ للهجرة، أرسل ناصر الدّين شاه القاجاريّ الشّيخ عبد الحسين الطّهرانيّ المشتهر بلقبه «شيخ العراقَين» إلى العراق للإشراف على تنفيذ مخطّطٍ عمرانيٍّ واسعٍ للعتبات المقدّسة، من تجديد وإصلاح وتجميل؛ وبدأت الأعمال العمرانيّة

في المشهد الكاظميّ سنة ١٢٨١ للهجرة بعد انتهاء أعمال العمران في كربلاء وسامرّاء. فجُدّدت العمارة في الدّاخل والخارج، وجرى بناء مداخل لإيداع الزّائرين أحذيتَهم وأماناتهم فيها. وانتهى العمل في كلّ ذلك عام ١٢٨٥.

* وفي القرن الثّالث عشر الهجريّ، أصبح المشهدُ آيةً في الفنّ والجمال والإبداع والإحكام، لكن لم يكن فيه موضع يُستفاد منه للصّلاة سوى دكّة كبيرة في شماليّ الجهة الشّرقيّة تُقام فيها صلاة الجماعة. وكان الوصول إليه يختلط بالوحل، فتطوّع الأمير فرهاد ميرزا القاجاريّ، عمّ ملك إيران ناصر الدّين شاه، بتجديد العمارة وتوسعتها وبناء سراديب منظّمة لدفن الموتى في ساحة الصّحن وإيواناته وحجراته، وبدأ العمل في عمارة الصّحن عام ١٢٩٦ للهجرة، وانتهى عام ١٣٠١ للهجرة.

وها هو اليوم بعمارته الشّامخة، يحتضن، بالقرب من الإمامَين عليهما السلام، ثلّة من العلماء، منهم الشّيخ المفيد قدس سره.

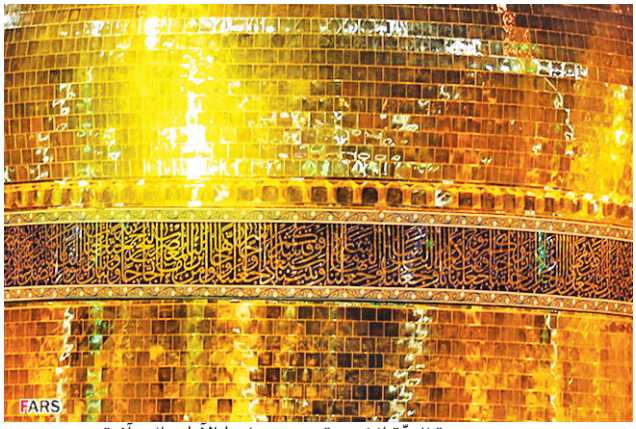

صورة مقربة للقبّة الشريفة، وتبدو عليها الآيات القرآنية

من كرامات العتبة الكاظميّة

ورد في دلائل الإمامة للطّبريّ: «".." أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى التّلعكبريّ، قال: حدّثني أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب (من وزراء المقتدر العبّاسيّ توفّي مسجوناً في حدود سنة ٢٩٩ للهجرة) قال: تقلّدتُ عملاً من أبي منصور بن الصّالحان، وجرى بيني وبينه ما أوْجَب استتاري، فطلَبني وأخافَني، فمكثتُ مُستتراً خائفاً، ثمّ قصدتُ مقابر قريش ليلة الجمعة، واعتمدتُ المبيت هناك للدّعاء والمسألة، وكانت ليلة ريح ومطر، فسألتُ ابن جعفر القيّم أن يغلق الأبواب وأنْ يجتهد في خلوة الموضع، لِأَخلو بما أريده من الدّعاء والمسألة، وآمَن من دخول إنسانٍ ممّا لم آمنه، وخفتُ من لقائي له، ففعل وقفل الأبواب وانتصف اللّيل، وورد من الرّيح والمطر ما قطع النّاس عن الموضع، ومكثتُ أدعو وأزور وأصلّي. فبينما أنا كذلك، إذ سمعتُ وطأة عند مولانا موسى عليه السلام، وإذا رجلٌ يزور، فسلّم على آدم وأُولي العزم عليهم السلام، ثمّ الأئمّة واحداً واحداً إلى أن انتهى إلى صاحب الزّمان عليه السلام [فلم يذكره]، فعجبتُ من ذلك وقلت: لعلّه نَسي، أو لم يعرف، أو هذا مذهب لهذا الرّجل. فلمّا فرغ من زيارته صلّى ركعتَين، وأقبلَ إلى عند مولانا أبي جعفر عليه السلام، فزارَ مثل الزّيارة، وذلك السّلام، وصلّى ركعتين، وأنا خائفٌ منه، إذ لم أعرفه، ورأيته شابّاً تامّاً من الرّجال، عليه ثياب بِيض، وعمامة محنّك بها بذؤابة، ورداء على كتفه مُسبل، فقال لي: **يا أبا الحسين بن أبي البغل، أين أنت عن دعاء الفرج؟** فقلت: وما هو يا سيّدي؟

فقال: **تُصلّي ركعتين، وتقول: يا مَن أظهر الجميل، وسَتر القبيح** ".." **وتدعو بعد ذلك بما شِئت وتسأل حاجتك** ".." [إلى آخر الدّعاء والذّكر]. فلمّا شغلتُ بالصّلاة والدّعاء خرج، فلمّا فرغتُ، خرجتُ لابن جعفر لأسأله عن الرّجل وكيف دخل، فرأيتُ الأبواب على حالها مغلقة مقفلة، فعجبتُ من ذلك، وقلت: لعلّه باب ها هنا ولم أعلم، فأنبهتُ ابن جعفر القيّم، فخرج إليّ من بيت الزّيت، فسألته عن الرّجل ودخوله، فقال: الأبواب مقفلة كما ترى ما فتحتُها. فحدّثته بالحديث، فقال: هذا مولانا صاحب الزّمان، صلوات الله عليه، وقد شاهدتُه دفعات في مثل هذه اللّيلة عند خلوّها من النّاس. فتأسّفتُ على ما فاتني منه، وخرجتُ عند قرب الفجر، وقصدتُ الكرخ إلى الموضع الّذي كنتُ مُستتراً فيه، فما أضحى النّهار إلّا وأصحاب ابن الصّالحان يلتمسون لقائي، ويسألون عنّي أصدقائي، ومعهم أمانٌ من الوزير، ورقعة بخطّه فيها كلّ جميل، فحضرتُ مع ثقة من أصدقائي عنده، فقام والتزمني وعامَلني بما لم أعهده منه، وقال: انتَهَت بك الحال إلى أن تشكوني إلى صاحب الزّمان، صلوات الله عليه، فقلت: قد كان منّي دعاء ومسألة. فقال: ويحك! رأيتُ البارحة مولاي صاحب الزّمان، صلوات الله عليه، في النّوم -يعني ليلة الجمعة- وهو يأمرُني بكلّ جميل، ويجفو عليّ في ذلك جفوة خفتها. فقلت: لا إله إلا الله، أشهد أنّهم الحقّ ومنتهى الصّدق، رأيت البارحة مولانا عليه السلام، في اليقظة، وقال لي كذا وكذا، وشرحتُ ما رأيتُه في المشهد، فعجب من ذلك، وجرَت منه أمورٌ عظامٌ حسانٌ في هذا المعنى، وبلغت منه غاية ما لم أظنّه ببركة مولانا صاحب الزّمان صلوات الله عليه».

شهر ذي القعدة

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾

إعداد: «شعائر»

أبرز المناسبات:	أبرز الأعمال:
* ولادة الإمام الرّضا عليه السّلام وشهادته	* عمل التّوبة يوم الأحد
* شهادة الإمام الجواد عليه السّلام	* الاهتمام بليلة النّصف
* يوم دَحْو الأرض	* صوم يوم دَحْو الأرض

(المراقبات): هذا أوّل أشهر الحُرُم الّتي حُرّم فيها القتال مع الكفّار، والعاقلُ يتنبّه من ذلك إلى حُكمِ محاربةِ الله ﷻ ومخالفتِه. فاجتهدي يا نفسُ في حفظِ قلبِك وبدنِك في هذه الأشهر -زيادة على ما يجب في سائر الشّهور- من مخالفة الله ﷻ في شيءٍ من أحكامه، بل في الرّضا بقضائه في ما يقتضيه لكِ من البلايا والمصائب، فإنّه شهرٌ حرام تزيد حرمتُه على سائر الشُّهور بما مَنَع اللهُ تعالى فيه من محاربة الكفّار، فليكُن حفظُك لِحُرمته من قبيل ترْك المخالفة وبسط الرّضا معه جلّ جلالُه فإنّه ربٌّ شكورٌ يشكر رضاك برضاه عنك، فإن علمتِ [يا نفس] شرفَ رضاه، رضيتِ في تحصيله أن تُقطَّع أعضاؤك إرْباً إرْباً ولا يفوتكِ هذا الشّرف. [بتصرّف]

عمل التّوبة أوّل يوم أحد من الشّهر

(إقبال الأعمال): عن أنس بن مالك، قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال: **يا أيُّها النّاس، مَن كان منكُم يريد التّوبة؟**

قلنا: كلّنا نريد التّوبة يا رسول الله.

فقال ﷺ: **اغتسِلوا وتوضّأوا وصلّوا أربع ركعات** [كلّ ركعتين بتشهُّد وتسليم] **واقرؤوا في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(المعوّذتين) مرّة، ثمّ استغفروا سبعين مرّة، ثمّ اختموا بـ (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ)، ثمّ قولوا: (يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ، اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَذُنُوبَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ).**

ثمّ قال ﷺ: **ما مِن عبدٍ من أُمّتي فعلها إلّا نُودي من السّماء: يا عبدَ الله استأنِفِ العمل، فإنّك مقبول التّوبة مغفورُ الذّنب.**

وينادي ملَكٌ من تحت العرش: أيُّها العبد بورِكَ عليك وعلى أهلك وذرّيّتك.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة.

وينادي ملَكٌ آخَر: أيّها العبد تموت على الإيمان، ولا يُسلب منك الدِّين، ويُفسَح في قبرك وينوَّر فيه.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد يرضى أبواك وإنْ كانا ساخطَين، وغُفر لأبويك ذلك ولذرّيّتك، وأنت في سعةٍ من الرّزق في الدُّنيا والآخرة.

وينادي جبرئيل عليه السلام: أنا الّذي آتيكَ مع ملكِ الموت عليه السلام أن يَرفقَ بك ولا يخدشك أثرُ الموت، إنّما تُخرج الرُّوح من جسدك سلّاً.

قلنا: يا رسول الله، لو أنَّ عبداً يقول في غير الشّهر؟ فقال عليه السلام: **مثلَ ما وصفتُ، وإنّما علّمني جبرئيل عليه السلام هذه الكلمات أيّام أُسرِيَ بي».**

قال المحدّث القمّيّ في (مفاتيح الجنان): «الظّاهر أنّ هذا الاستغفار والدّعاء الّذي ورد بعدَه يؤدّى بعد الصّلاة..». ونُقل عن الشّيخ عليّ بن إبراهيم القمّيّ أنّ السّيّئات تُضاعف في الأشهر الحُرم، وكذلك الحسنات.

صومُ ثلاثة أيّام

(المراقبات): من خصائص الأشهر الحُرُم ما رُوي عن المفيد عليه الرّحمة أنّه قال: [قال] رسول الله ﷺ: «**مَن صام من شهرٍ حرام ثلاثة أيّام، الخميس والجمعة والسّبت، كَتَب اللهُ له عبادة سنة**». ورُوي تسعمائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها.

اليوم الحادي عشر: ولادة الإمام الرّضا عليه السّلام

(**إعلام الورى**): «وَقَع الخلافُ في تأريخ ولادته عليه السلام، والأشهَر أنّه وُلد في الحادي عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٤٨ للهجرة في المدينة المنوّرة، في مُلك المنصور العبّاسيّ، بعد وفاة جدّه الإمام الصّادق عليه السلام بأيّام قليلة. "..." رُوي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال: **سمعتُ أبي جعفر بن محمّد عليه السلام غير مرّة يقول لي: إنّ عالِمَ آل محمّد لَفي صُلبك، وليتَني أدركتُهُ، فإنّه سَميُّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام**».

ليلة النِّصف: ليلةٌ مبارَكة

(**المراقبات**) [بتصرّف]: ومن مهامّ شهر ذي القعدة عمل ليلة النّصف منه؛ رَوَى سيّدنا ابن طاوس، قدّس الله سرّه العزيز، في (الإقبال) عن أحمد بن جعفر بن شاذان، قال: رُوي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ في ذي القعدة ليلة مباركة وهي ليلة خمس عشرة، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرّحمة، أجرُ العامل فيها بطاعة الله أجرُ مائة سائح لم يَعصِ اللهَ طرفةَ عينٍ، فإذا كان نصف اللّيل فخُذ في العمل بطاعة الله والصّلاة وطَلَب الحوائج. وروي أيضاً أنّه لا يبقى أحدٌ سألَ اللهَ فيها حاجة إلّا أعطاه.

اليوم الثّالث والعشرون: شهادة الإمام الرّضا عليه السّلام

(**الإرشاد**) **الشّيخ المفيد**: «ومضى الرّضا عليّ بن موسى عليه السلام ولم يترك ولداً نعلمه إلّا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام، وكانت سنُّه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهراً».

(**مفاتيح الجنان**): «..روَى ابن قولويه عن [المعصوم عليه السلام] أنّه قال: **إذا صرْتَ إلى قبر الإمام الرّضا عليه السلام فقل: أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُوسى الرِّضا الْمُرْتَضَى الإمام التَّقِيِّ النَّقِيِّ وَحُجَّتِكَ عَلى مَنْ فَوْقَ الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرى الصِّدِّيقِ الشَّهِيدِ، صَلاةً كَثِيرَةً تامَّةً زاكِيَةً مُتَواصِلَةً مُتَواتِرَةً مُتَرادِفَةً كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيائِكَ**».

أضاف المحدّث القمّيّ: «**أقول: لزيارته عليه السلام في السّاعات والأيّام الشّريفة المتمية إليه بنوعٍ من المناسبات فضلٌ كثير ولا سيّما في شهر رجب، وفي الثّالث والعشرين من ذي القعدة، والخامس والعشرين منه، وفي السّادس من شهر رمضان، كما ذُكر في مواقعها من أعمال الشُّهور والأيّام وكذلك في غير هذه الأيّام ممّا ينتمي إليه..**».

اللّيلة الخامسة والعشرون

(**مفاتيح الجنان**): ليلة دحو الأَرْض [انبساط الأَرض من تحت الكعبة على الماء] وهي ليلةٌ شريفةٌ تنزل فيها رحمة الله تعالى، وللقيام بالعبادة فيها أجرٌ جزيل.

❖ عن أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام: «[إنّ] **أوّل رحمةٍ نزلت من السّماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة. ومَن صام ذلك اليوم وقام تلك اللّيلة فله عبادة مائة سنة، صام نهارَها وقام ليلَها، وأيّما جماعةٍ اجتمَعَت ذلك اليوم في ذكر ربهّم عزَّ وجلَّ لم يَتفرّقوا حتّى يُعطوا سؤلَهُم، وينزلُ في ذلك اليوم ألف ألف رحمةٍ [يصنع] منها تسعة وتسعون [ألف] في حلق الذّاكرين والصّائمين في ذلك اليوم والقائمين تلك اللّيلة**».

اليوم الخامس والعشرون: يوم دَحْو الأرض

(**مصباح المتهجّد**): في اليوم الخامس والعشرين منه دُحيَت الأرض من تحت الكعبة.

❖ يُستحبّ صوم هذا اليوم، وروي أنَّ صومه يعدل صوم ستّين شهراً.

❖ ويستحبّ أن يدعو في هذا اليوم بهذا الدُّعاء:

أَللّهُمَّ داحِيَ الكَعْبَةِ وَفالِقَ الحَبَّةِ وَصارِفَ اللَّزْبَةِ [أي الشِّدَّة] وَكاشِفَ كُلِّ كُرْبَةٍ، أَسأَلُكَ فِي هذا اليَوْمِ مِنْ أَيّامِكَ الَّتِي أَعْظَمْتَ حَقَّها وَأَقْدَمْتَ سَبْقَها وَجَعَلْتَها عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَدِيعَةً وَإِلَيْكَ ذَرِيعَةً، وَبِرَحْمَتِكَ الوَسِيعَةِ، أن تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ الْمُنْتَجَبِ فِي الميثاقِ القَرِيبِ يَوْمَ التَّلاقِ، فاتِقِ كُلِّ رَتْقٍ وَداعٍ إِلى كُلِّ حَقٍّ وَعَلى أَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهارِ الهُداةِ المَنارِ دَعائِمِ الجَبَّارِ وَوُلاةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَعْطِنا فِي يَوْمِنا هذا مِنْ

عطائِكَ المَخْزُونِ غَيْرَ مَقْطُوعٍ وَلا مَمْنُوعٍ، تَجْمَعُ لَنا بِهِ التَّوْبَةَ وَحُسْنَ الأَوْبَةِ، يا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مَرْجُوٍّ يا كَفِيُّ يا وَفِيُّ، يا مَنْ لُطْفُهُ خَفِيٌّ أُلْطُفْ لِي بِلُطْفِكَ وَأَسْعِدْنِي بِعَفْوِكَ وَأَيِّدْنِي بِنَصْرِكَ وَلا تُنْسِنِي كَرِيمَ ذِكْرِكَ بِوُلاةِ أَمْرِكَ وَحَفَظَةِ سِرِّكَ، وَاحْفَظْنِي مِنْ شَوائِبِ (شوايب) الدَّهْرِ إِلى يَوْمِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَأَشْهِدْنِي أَوْلِياءَكَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِي وَحُلُولِ رَمْسِي وَانْقِطاعِ عَمَلِي وَانْقِضاءِ أَجَلِي.

أَللّهُمَّ وَاذْكُرْنِي عَلى طُولِ البِلى إِذا حَلَلْتُ بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى وَنَسِيَنِي النَّاسُونَ مِنَ الوَرى، وَأَحْلِلْنِي دارَ المُقامَةِ وَبَوِّئْنِي مَنْزِلَ الكَرامَةِ وَاجْعَلْنِي مِنْ مُرافِقِي أَوْلِيائِكَ وَأَهْلِ اجْتِبائِكَ واصْطِفائِكَ، وَبارِكْ لِي فِي لِقائِكَ وَارْزُقْنِي حُسْنَ العَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ بَرِيئاً مِنَ الزَّلَلِ وَسُوءِ الخَطَلِ [النطق الفاسد والفاحش].

أَللّهُمَّ وَأَوْرِدْنِي حَوْضَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاسْقِنِي مِنْهُ مَشْرَباً رَوِيّاً سائِغاً هَنِيئاً لا أَظْمأُ بَعْدَهُ وَلا أُحَلَّأُ وِرْدَهُ [أي لا أُطرَد عنه] وَلا عَنْهُ أُذادُ، وَاجْعَلْهُ لِي خَيْرَ زادٍ وَأَوْفى مِيعادٍ يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ.

أَللّهُمَّ وَالْعَنْ جَبابِرَةَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَبِحُقُوقِ (ولحقوق) أَوْلِيائِكَ المُسْتَأْثِرِينَ، أَللّهُمَّ وَاقْصِمْ دَعائِمَهُمْ وَأَهْلِكْ أَشْياعَهُمْ وَعامِلَهُمْ وَعَجِّلْ مَهالِكَهُمْ وَاسْلُبْهُمْ مَمالِكَهُمْ وَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ مَسالِكَهُمْ وَالعَنْ مُساهِمَهُمْ وَمُشارِكَهُمْ.

أَللّهُمَّ وَعَجِّلْ فَرَجَ أَوْلِيائِكَ وَارْدُدْ عَلَيْهِمْ مَظالِمَهُمْ وَأَظْهِرْ بِالحَقِّ قائِمَهُمْ وَاجْعَلْهُ لِدِينِكَ مُنْتَصِراً وَبِأَمْرِكَ فِي أَعْدائِكَ مُؤْتَمِراً.

أَللّهُمَّ احْفُفْهُ بِمَلائِكَةِ النَّصْرِ وَبِما أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ مُنْتَقِماً لَكَ حَتَّى تَرْضى وَيَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلى يَدَيْهِ جَدِيداً غَضّاً، وَيَمْحَضَ الحَقَّ مَحْضاً وَيَرْفُضَ الباطِلَ رَفْضاً.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ آبائِهِ وَاجْعَلْنا مِنْ صَحْبِهِ وَأُسْرَتِهِ وَابْعَثْنا فِي كَرَّتِهِ حَتَّى نَكُونَ فِي زَمانِهِ مِنْ أَعْوانِهِ، أَللّهُمَّ أَدْرِكْ بِنا قِيامَهُ وَأَشْهِدْنا أَيّامَهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَارْدُدْ إِلَيْنا سَلامَهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ (عليهم) وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ومن أعمال هذا اليوم أيضاً:

- ❖ الغسل.
- ❖ ركعتان عند الضُّحى [بعد طلوع الشّمس، وقبل صلاة الظّهر] بـ (الحمد) مرّة، وسورة (الشّمس) خمس مرّات، ويقول بعد التّسليم: (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ).

ثمّ يدعو ويقول: (يا مُقِيلَ العَثَراتِ أَقِلْنِي عَثْرَتِي، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ أَجِبْ دَعْوَتِي، يا سامِعَ الأَصْواتِ اِسْمَعْ صَوْتِي وَارْحَمْنِي وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي وَما عِنْدِي، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ).

- ❖ زيارة الإمام الرّضا عليه السلام، فقد ذكر السّيّد محمّد باقر الأسترآباديّ المعروف بالدّاماد (ت: ١٠٤١ هجريّة) في رسالته المسمّاة (الأربعة أيّام) في خلال أعمال يوم دحو الأرض أنّ زيارته عليه السلام في هذا اليوم هي آكدُ آدابه المسنونة.

اليوم الأخير: شهادة الإمام الجواد عليه السّلام

عن الإمام الرّضا عليه السلام: «إنّما أُرزَقُ ولداً واحداً وهو يَرِثُني».

وعنه عليه السلام في صفة شهادة الإمام الجواد عليه السلام: «.. يُقتل غصباً فيبكي له وعليه أهلُ السّماء، ويَغضب الله تعالى على عدوّه وظالِمِه..».

وممّا يُزار به الإمام التّقيّ أبو جعفر الثّاني، محمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام، ما رواه الشّيخ المشهديّ في (مزاره): «السَّلامُ عَلى البابِ الأَقْصَدِ وَالطَّرِيقِ الأَرْشَدِ وَالعالِمِ المُؤَيَّدِ يَنْبُوعِ الحِكَمِ وَمِصْباحِ الظُّلَمِ سَيِّدِ العَرَبِ وَالعَجَمِ الهادِي إِلى الرَّشادِ المُوَفَّقِ بِالتَّأْيِيدِ وَالسَّدادِ، مَوْلايَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الجَوادِ.

أَشْهَدُ يا وَلِيَّ اللهِ أَنَّكَ أَقَمْتَ الصَّلاةَ وَآتَيْتَ الزَّكاةَ وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ وَجاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهادِهِ وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصاً حَتّى أَتاكَ اليَقِينُ فَعِشْتَ سَعِيداً وَمَضَيْتَ شَهِيداً؛ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

وكانت شهادته صلوات الله عليه في آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ للهجرة عن خمسةٍ وعشرين عاماً، بِسُمٍّ دسّه له المعتصم العبّاسيّ، أعانَته على ذلك زوجة الإمام ابنةُ المأمون، وكانت شديدة الحَنَق على أمّ الإمام الهادي عليه السلام.

الرّحمانيّة والرّحيميّة
القرآن الكريم من أبرز مظاهرهما

المرجع الدّينيّ آية الله السّيّد عبد الأعلى السّبزواريّ دام ظله

تشتملُ الآيةُ المباركة (بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم) على كثيرٍ من المعارف الإلهيّة لا سيَّما الصّفات الرّاجعة إلى ذات الباري عزَّ وجلّ، وفي اختيار صفتَي (الرّحمن الرّحيم) ما فيه من البشارة للإنسان من كونه موردَ رحمته وعطفه تعالى، مهما تعدَّدتْ أسبابُ الشّرِّ وقويَت. وفيه إرشادٌ إلى تعليم الإنسان لتوخِّي الرّحمة والمودّة في أفعاله، وجعْل نفسه من مظاهر رحمته تعالى ليُعرَفَ أنّه مؤمنٌ بالله تعالى، وأن لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال لأنّه المحتاج بعدُ، بل لا بدّ له من إيكال أمره إلى الغنيّ المطلق.

ما يلي، وقفة مع قوله تعالى (الرّحمن الرّحيم) من تفسير (مواهب الرّحمن) للمرجع الرّاحل آية الله السّيد عبد الأعلى السّبزواريّ دام ظله.

(الرّحمن الرّحيم) في قوله تعالى (بسم الله الرّحمن الرّحيم):

هما من الرّحمة، ومن مشتقّاتها، ورحمتُه عزَّ وجلَّ أعمّ صفاته وأوسعها، شملت جميعَ ما سواه، قال تعالى: ﴿..وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ..﴾ الأعراف:١٥٦، فكلّ ما يُطلق عليه «شيء» في جميع العوالم يكون من رحمته تعالى.

وإشكالُ أنّ الشّرّ يُطلق عليه «الشّيء» أيضاً فلا بدّ وأن يكون من رحمته تعالى مردودٌ بأنّه ليس في التّكوينيّات شرّ محض، وإنّما يتحقّق الشّرّ بالإضافة، وأمّا في الاختيارات فإنّ وساطة الاختيار بين الفعل والفاعل تجعل الشّرّ الفاعلَ فلا يكونُ من رحمته، كما في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..﴾ النساء:٧٩.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ..﴾ لقمان:٢٧، إشارةٌ إلى مظاهر رحمته الواسعة، وقد اعترف الأنبياءُ صلّى الله عليهم، والأئمّةُ عليهم السلام، وجميعُ الفلاسفة المتألّهين بالقصور عن الإحاطة بمراتب رحمته تعالى الواسعة، وإنّ بعض عظمائهم أطال القولَ في أنّ وجودَ كلّ شيء [هو] من رحمته تعالى، وأثبت ذلك بالأدلّة الكثيرة، ومع ذلك، اعترف بالقصور عن دَرْكها.

في دلالة كلٍّ من اللّفظَين

(الرّحمن) و(الرّحيم) من الصّفات المُشبّهة، إلّا أنّ اللّغويّين والمفسّرين فرّقوا بينهما بوجوه:

الأوّل: أنّ (الرّحمن) مبالغة، و(الرّحيم) صفةٌ مشبّهة تدلّ على مجرّد الثّبوت. وهذا صحيح بالنّسبة إلى ذات اللّفظين حين الإطلاق على المخلوق، وأمّا من حيث إضافتِهِمَا إلى الله عزَّ وجلَّ فلا وجه للمبالغة بالنّسبة إليه تعالى، لأنّ صفاته بالنّسبة إليه تعالى غير محدودة، فلا تجري المبالغة فيها. نعم، تصحّ المبالغة بالنّسبة إلى «مورد الرّحمة»، على نحو قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا..﴾ الأنعام:١٦٠، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران:٣٧، إلى غير ذلك ممّا ترجع المبالغة فيه إلى المبالغة بالنّسبة إلى المخلوق.

وأمّا ما في بعض التفاسير من أنّ «فَعلان» [وزن الرّحمن] لا يدلّ على الثّبوت بخلاف «فعيل» [وزن الرّحيم]، وإنّما ذُكر تعالى «الرّحيم» لأجل إظهار ثبوت الرّحمة بالنّسبة إليه تعالى [هو، أي ما في هذه التفاسير] مخدوشٌ، لأنّ التّفرقة بين اللّفظين إنّما تصحّ في الممكنات دون الواجب تبارك وتعالى كما عرفتَ.

الثّاني: (الرّحمن) يختصّ بالدّنيا، و(الرّحيمُ) بالآخرة، لِتَقَدُّم الدّنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنّشآت الزّمانيّة، فيكون المقدَّمُ للمتقدِّم والأخيرُ للمتأخِّر، أو لذكر (الرّحيم) مقروناً بالغفران والتّوبة في جملةٍ من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التّوبة في الآخرة، [فـ] (الرّحيم) مختصّ بها.

والوجهان مخدوشان لا يصلحان حتّى للاستحسان، فإنّ العوالم بالنّسبة إليه تبارك وتعالى في عرضٍ واحدٍ، وإنّه محيطٌ بالزّمان

والزّمانيّات وخارج عنهما، إلّا أن يُلحَظ ذلك بالنّسبة إلى المخلوق، وقد ورد (الرّحمن) بالنّسبة إلى الآخرة في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ..﴾ الفرقان:٢٦، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ مريم:٨٥.

كما ورد (الرّحيم) بالنّسبة إلى الدّنيا في قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:٢٩، وقد ورد عن الأئمّة الهداة عليهم السلام: «**يا رحمنَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهما**».

الثّالث: أنّ الأوّل [الرّحمن] عامّ للجميع، لقوله تعالى: ﴿..وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ..﴾ الأعراف:١٥٦، والثّاني [الرّحيم] خاصّ بالمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿..بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨، وهذا الوجه أيضاً مردودٌ، فإنّ ذِكْرَ بعض الأفراد وأشرفها لا يدلّ على نفي ما عداه إلّا بالمفهوم، وقد ثبت في محلّه أنّه لا مفهوم للقيد، فراجع.

الرّابع: أنَّ (الرّحمن) ذاتُ الرّحمة الشّاملة لكلّ محتاجٍ إليها، وبجميع مراتبها التّفضّليّة بلا اختصاص لها بنوعٍ دون نوع من الجماد، والنّبات، والحيوان، والإنسان، وسائر المخلوقات، فَلِأجل إهمال المتعلَّق استُفيد العموم والشّمول لجميع الأنواع الممكنة من حضيض الجمادات إلى أوج المجرّدات.

نعم، من أهمّ مصاديق «الرّحمانيّة» تنظيمُ عالم التّكوين بأحسن نظام، ومن أجلّ مصاديق «الرّحيميّة» تنظيم التّشريع بأكمل نظام، و[لأنّ] أثرَ التّشريع إنّما يظهر بالنّسبة إلى المؤمنين العاملين به، اختصّت الرّحيميّة بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيمٌ في الدّنيا بالتّشريع وفي الآخرة بالجزاء عليه.

خلاصة القول

والّذي ينبغي أن يُقال: إنّه لا ريب أنّ جميع ما سواه تعالى موردُ إفاضة الوجود منه تبارك وتعالى، وهذا هو (الرّحمة الرّحمانيّة) الّتي خرج بها ما سواه من العدم إلى الوجود؛ كما لا ريب في أنّ كلّ نوعٍ من أنواع الموجودات مطلقاً، بل كلّ صنف له خصوصيّة لا توجد تلك الخصوصيّة في غيرها، وهي غير محدودة بحدّ، وتنكشف في طيّ العصور ومَرّ القرون، وتلك الخصوصيّات غيرُ المتناهية المجعولة منه تبارك وتعالى موردُ (الرّحمة الرّحيميّة).

فكما أنّ في الإنسان نوعاً خاصّاً منه وهو «المؤمن» موردُ رحمته الرّحيميّة، كذلك يكون في المَلَك، والفَلَك، والجَماد، والنّبات، والحيوان -أيضاً- أصنافٌ خاصّة تكون في الأصناف موردَ رحمته الرّحيميّة، بعد عدم برهانٍ صحيحٍ على اختصاص رحمته الرّحيميّة بخصوص دار الآخرة، كما عرفت.

جميعُ ما سواه سبحانه موردُ إفاضة الوجود منه تبارك وتعالى، وهذه هي (الرّحمة الرّحمانيّة) الّتي خرجَ بها ما سواه من العدمِ إلى الوجود.

وقد ذُكر [الرّحمن الرّحيم] في مفتتح القرآن العظيم للإعلام بأنّ القرآن من أبرز مظاهر رحمتَيه [الرّحمانية والرّحيمية] تعالى، أمّا الرّحمانيّة فلِفَرْض وحيه وإنزاله، وأمّا الرّحيميّة فلأنّه تبارك وتعالى تجلّى لعباده فأظهر فيه المعارف الرّبوبيّة وخلاصة الكُتب السّماويّة وزبدة التّكوين والتّشريع، وربَط به قلوبَ أوليائه.

ثمّ إنّه يظهر من ذكر (الرّحمن) بعد اسم الجلالة في البسملة، وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ..﴾ الإسراء:١١٠، وسائر موارد استعمال هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم أنّ لهذا الاسم الشّريف أهمّيةً عظمى، ومنزلة كبرى عند الله تعالى، فهو من أمّهات الأسماء كالحيّ، والرّبّ، والقيّوم، والرّحيم، وإلى هذه [الأسماء] الأربعة ترجع سائر أسمائه عزّ وجلّ. فإذا رجعنا إلى موارد استعمالات هذا اللّفظ في القرآن الكريم نرى أنّه استُعمل مقروناً بالتّعظيم والتّجليل بالنّسبة إلى عالَمي الدّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ..﴾ مريم:٦١، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ..﴾ الفرقان:٢٦، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الرحمن:١-٢، وقال تعالى: ﴿..مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ..﴾ الملك:٣.

وأمّا (الرّحيم)، فقد ذُكر في القرآن الكريم غالباً مقروناً مع الرّؤوف، والتّوّاب، والغفور. فقد جمع الله تبارك وتعالى في كتابَيه، التّدوينيّ (القرآن) والتّكوينيّ، بين رحمته الرّحمانيّة ورحمته الرّحيميّة، فتكون الرّحمة الرّحمانيّة عامّة لجميع الممكنات، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه:٥، أي استولى، والعرش هنا عبارة عمّا سواه تعالى، والرّحمة الرّحيميّة تعمّ جميع ذوي الكمالات التي أُفيضت عليهم، من المجرّدات إلى الجمادات، فتكون من مظاهر رحمتَيه تعالى، كما عرفت.

﴿.. إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ..﴾

نزول القرآن الكريم باللّغة العربيّة

الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله

«نزلَ القرآن الكريم باللّغة العربيّة دون غيرها من اللُّغات، وهذه الظّاهرة قد يكون سببُها الميزات الّتي تختصّ بها لغة الضّاد، ما يجعلها أشرف اللّغات وأقدرها على استيعاب أوْسع المعاني أو التّعبير عنها، كما يوحي بعض النّصوص، أو تنتهي إليه دراسات علم اللّغات وخصائصها».

قراءة مختصرة في أسباب نزول القرآن الكريم باللّغة العربيّة، نقلاً عن كتاب (علوم القرآن) للشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

أنزلَ اللهُ تعالى القرآن الكريم هدايةً للعالَمين، ومن أجل أن يحدِّد معالم الطّريق لكلّ البشريّة، من غير أن يختصّ بقومٍ دون قوم، أو بزمانٍ دون آخَر، لكنّه مع ذلك أُنزل باللّغة العربيّة، وهي اللّغة الّتي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربيّة، مبعث الرّسول الخاتم صلى الله عليه وآله. ولعلّ مردّ ذلك إلى أنّ الجماعة الأولى الّتي كان يُراد مخاطبتها بالقرآن هم من العرب، وكانت مشيئة الله تعالى أن توجَد ضمن هذه الجماعة القاعدة الّتي ينطلق منها الإسلام، ولولا ذلك لأمكن أن نفترض -والله العالم- نزول القرآن بلغةٍ أخرى.

وقد تطرّق القرآن الكريم في مطاوي آياته إلى تعليل هذه الظّاهرة، مبيّناً جملة من الأسباب «الدّاعية» إلى إنزال الكتاب العزيز باللّغة العربيّة، منها:

أ- اللّغة العربيّة عاملٌ مؤثّر في استجابة العرب الأوائل للقرآن: فلو أنّ القرآن الكريم أُنزل بغير اللّغة العربيّة لكان من الممكن أن لا يَستجيب العربُ لهدايته ونوره، بسبب حاجز (الأنا) والتّعصُّب الّذي كانوا يعيشونه في الجاهليّة، كما تشير إلى ذلك بعض الآيات القرآنيّة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء:١٩٨-١٩٩.

ب- التّفاعل الرّوحيّ: إنّ التّفاعل الرّوحيّ والنّفسيّ الكامل مع الهداية والنُّور والمفاهيم القرآنيّة، إنّما يتحقّق إذا كان الكتاب بلُغة القوم الّذين يُراد إيجاد التّغيير الفعليّ فيهم، لأنّ إثارة العواطف والأحاسيس إنّما تكون من خلال التّخاطب باللّغة نفسها، وأمّا المضمون فهو يتفاعل مع العقل والتّفكير المنطقيّ. ولعلّ هذا السّبب يفسّر السُّنّة الإلهيّة في اختيار الأنبياء من الأقوام المبعوثين إليها، لكي تكون الحجّة بهؤلاء الرُّسل أبلغ على أقوامهم، وحتّى تكون قدرتهم على التّأثير أكبر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ..﴾ إبراهيم:٤.

ج- التّحدّي: يمثّل القرآن الكريم ببيانه وأسلوبه -فضلاً عن مضمونه- معجزةً إلهيّةً خالدة، وهذا الجانب من الإعجاز لا يمكن أن يتحقّق إلّا إذا كان بلغة القوم المُنزَل عليهم، لأنّ (التّحدّي) إنّما يكون مقبولاً إذا كان باللّغة الّتي يتكلّم بها النّاس، وإلّا فلا معنى أن نتحدّى قوماً بكتابٍ ينطق بغير ألسنتهم. وقد كان التّحدّي في هذا الجانب من الإعجاز باعتبار ما كان يوليه ذلك العصر من أهمّيّةٍ خاصّةٍ للبلاغة والبيان، الأمر الّذي كان له أثر كبير في الخضوع النّفسيّ لهؤلاء العرب لبلاغة القرآن الكريم وروعة بيانه. قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:٢٣.

د- اللّغة طريق التّصوُّر الكامل للرّسالة: إنّ التّصوُّر الكامل لأبعاد المضمون واستيعابه بحدوده، لا يمكن أن يتمّ بلغةٍ أخرى للتّخاطب، خصوصاً إذا أخذنا بنَظر الاعتبار أنّ الكثير من المضامين القرآنيّة ترتبط بقضايا وآفاق بعيدة عن تصوُّرات وآفاق الإنسان الجاهليّ المُعاصِر لنزول القرآن، إمّا لارتباطها بعالَم الغَيب، أو لطرحها مفاهيم عقائديّة أو اجتماعيّة وإنسانيّة تمثّل طفرة في النّظرة المحدودة لذلك الإنسان، ولطبيعة العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة السّائدة آنذاك. ولعلّ تأكيد القرآن وصفه باللّسان العربيّ إنّما هو باعتبار الإشارة إلى أهمّيّة لغة التّخاطب في توضيح الحقائق والالتزام بالحجّة والتّأثير النّفسيّ: ﴿.. وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف:١٢. ويزداد ذلك وضوحاً إذا لاحظنا أنّ وصف القرآن بالعربيّ جاء في القسم المكّيّ من السُّوَر فقط، الأمر الّذي يؤكّد التّفسير القائل بأنّ قضيّة التّغيير كانت منظورة في ذلك، لأنّ المرحلة المكّيّة هي مرحلة تأسيس القاعدة وانطلاق التّغيير.

موجز في التّفسير

سورةُ «فُصّلت»

من دروس «المركز الإسلامي»

* السُّورة الحادية والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «غافر».
* آياتُها أربعٌ وخمسون، وهي مكّيّة، يُعطى قارئها بعدد كلّ حرف منها عشرَ حسنات، كما في الرّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
* سُمِّيتْ بـ «فُصِّلتْ» لقوله عزّ وجلّ في الآية الثّالثة منها: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ..﴾، وتسمّى «حم السّجدة»، لأنّها تبدأ بـ (حم) وفيها سجدةٌ واجبة.
* إحدى السّور العزائم الأربع، آية السّجدة الواجبة فيها هي الآية السّابعة والثّلاثون.

قال في (تفسير القمّيّ): «﴿..فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، أي بُيِّن حلالُها، وحرامُها، وأحكامُها، وسننُها». وفي (مجمع البحرين) للطّريحي: «أي جُعِلتْ فصولاً آيةً آية وسورةً سورة، أو فُرّقت في التّنزيل فلم تنزل جملةً واحدة».

محتوى السُّورة

«**تفسير الميزان**»: تتكلّم السّورة حول إعراضهم [المشركين] عن الكتاب المُنزل عليهم وهو القرآن الكريم، فهو الغرض الأصليّ، ولذلك ترى طائف الكلام يطوف حوله ويبتدئ به ثمّ يعود إليه فصلاً بعد فصل، فقد افتتح بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الآية:٢، ثمّ قيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ..﴾ الآية:٢٦، وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ..﴾ الآية:٤٠، وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ..﴾ الآية:٤١، وقيل -وهو في خاتمة الكلام: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ..﴾ الآية:٥٢.

ولازمُ إعراضهم عن كتاب الله، عزّ وجلّ، إنكارُ الأصول الثّلاثة التي هي أساس دعوته الحقّة، وهي: الوحدانيّة، والنّبوّة، والمعاد، فبسطت [السّورة] الكلامَ فيها، وضمّنتْه التّبشيرَ والإنذار.

***

«**تفسير الأمثل**»: سورة «فُصِّلتْ» من السّور المكّيّة، وهي بذلك لا تخرج في مضامينها الأساسيّة عن مثيلاتها، بل تعكس في محتواها كاملَ خصائص السّور المكّيّة؛ من تأكيد المعارف الإسلاميّة التي تتّصل بالعقيدة، وبالحساب والجزاء، والوعيد والإنذار، وبالبشرى للّذين آمنوا. وبشكلٍ عامٍّ، يمكن الحديث عن محتويات السّورة من خلال الخطوط العريضة الآتية:

أوّلاً: التّركيز على موضوع القرآن وما يتّصل به من بحوث، كالإشارة الصّريحة إلى حاكميّة القرآن في جميع الأدوار والعصور، وصيانته من أيّ تحريف، وقوّة منطقه وتماسكه بحيث إنّ أعداء الله يخشَون حتّى الاستماع إلى آياته، بل ويمنعون النّاس من مجرّد الإنصات إليه.

ثانياً: إثارة قضيّة خلْق السّماء والأرض، خاصّة ما يتعلّق ببداية العالم الّذي خُلق من مادّة «الدّخان»، ثمّ مراحل نشوء الكرة الأرضيّة، والجبال، والنّباتات، والحيوانات.

ثالثاً: في السّورة ثمّة إشاراتٌ إلى عاقبة الأقوام المغرورين الأشقياء من الأُمم السّابقة، مثل قوم عاد وثمود، وهناك إشارة قصيرة إلى قصّة النّبيّ موسى عليه السلام.

رابعاً: تتضمّن السّورة تهديد المشركين وإنذار الكافرين، مع ذكر آيات القيامة وما يتعلّق بشهادة أعضاء جسم الإنسان عليه، وتوبيخ الله تبارك وتعالى لأمثال هؤلاء.

خامساً: تتناول السّورة قسماً من أدلّة البعث والقيامة وخصوصيّاتهما.

سادساً: المواعظ والنّصائح المختلفة الّتي تبعث في الرّوح الحياةَ من خلال الدّعوة إلى الاستقامة في طريق الحقّ، وتوجيه المؤمن نحو أسلوب التّعامل المنطقيّ مع الأعداء، وكيفيّة هدايتهم نحو الله تعالى.

سابعاً: تنتهي السّورة ببحثٍ لطيفٍ قصيرٍ عن آيات الآفاق والأنفُس، وتعود كرّة أخرى إلى قضيّة المعاد.

ثواب تلاوة السّورة

«تفسير مجمع البيان»: رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن قرأ حم السّجدة أُعطي بعدد كلّ حرفٍ منها عشرَ حسنات».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «من قرأ (حم السّجدة) كانت له نوراً يومَ القيامة مُدَّ بصَره وسروراً، وعاش في هذه الدّنيا مغبوطاً محموداً».

«ثواب الأعمال»: عن الإمام الصّادق عليه السلام في صفة «الحواميم»، أي السّوَر القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿حمٓ﴾، وسورة فصّلت إحداها: «الحواميمُ رياحينُ القرآن، فإذا قرأتموها فاحمَدوا الله واشكروه كثيراً لحفظها وتلاوتها، إنّ العبدَ لَيقومُ ويقرأُ الحواميمَ فيخرجُ من فِيهِ أطيبُ من المسكِ الأذْفَرِ والعنبر، وإنّ اللهَ عزّ وجلّ لَيرحمُ تاليها وقاريها ويرحمُ جيرانَه وأصدقاءَه ومعارفَه وكلَّ حميمٍ وقريبٍ له، وإنّه في القيامة يستغفرُ له العرشُ والكرسيُّ وملائكةُ الله المقرّبون».

تفسير آيات منها

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله عليه.

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾: فصّلت:١.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «وأمّا حم، فمعناه الحميد المجيد».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فصّلت:١١.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن شواهدِ خلْقه خلقُ السّماواتِ موطَّداتٍ بلا عَمَد، قائماتٍ بلا سَنَد، دعاهنّ فأجبْنَ طائعاتٍ مُذعناتٍ، غيرَ مُتلكِّئاتٍ ولا مُبْطئاتٍ، ولولا إقرارُهنّ له بالرّبوبيّة وإذعانُهنّ له بالطّواعيّة لَما جعَلَهنّ موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته، ولا مَصعداً للكَلِم الطّيّبِ والعمل الصّالح من خلْقه».

قوله تعالى: ﴿..وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا..﴾ فصّلت:١٢.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «النّجوم أمانٌ لأهلِ السّماء، فإذا ذهبت النّجومُ ذهبَ أهلُ السّماء، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرض، فإذا ذهبَ أهلُ بيتي ذهبَ أهلُ الأرض».

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً..﴾ فصّلت:١٥.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «واتّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا ﴿..مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً..﴾، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، ومِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ».

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ..﴾ فصّلت:٢٢.

* الإمام الباقر عليه السلام: «وليستْ تشهدُ الجوارحُ على مؤمنٍ، إنّما تشهدُ على مَن حقّتْ عليه كلمةُ العذاب، فأمّا المؤمنُ فيُعطى كتابَه بيمينه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ..﴾ فصّلت:٣٠.

* الإمام الصّادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «استقاموا على الأئمّة واحداً بعد واحدٍ».

قوله تعالى: ﴿..وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ..﴾ فصّلت:٣١.

* سئل الإمام الصّادق عليه السلام: هل في الجنّة غناء؟ فقال: «إنّ في الجنّةِ شجراً يأمرُ اللهُ رياحَها فتهبُّ، فتضربُ تلك الشّجرةَ بأصواتٍ لم يسمع الخلايقُ مثلَها حُسْناً». ثمّ قال عليه السلام: «هذا عوضٌ لمنْ ترك السّماعَ للغناء في الدّنيا مخافةَ الله».

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟..﴾ فصّلت:٣٥.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ مَن صبرَ صبرَ قليلاً، وإنّ مَن جَزِعَ جزِعَ قليلاً».

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ..﴾ فصّلت:٣٦.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا وسْوسَ الشّيطانُ إلى أحدِكم فلْيستعِذْ بالله، ولْيَقُل: آمنتُ بالله مخلصاً له الدّين».

قوله تعالى: ﴿..لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ..﴾ فصّلت:٣٧.

* عنهم عليهم السلام: «يقول في سجدة العزائم: لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلّا الله عبوديّةً ورقّاً، سجدتُ لك يا ربِّ تعبُّداً ورقّاً لا مُستنكفاً ولا مستكبراً بل أنا عبدٌ ذليلٌ خائفٌ مستجير. ثمّ يرفع رأسه، ثمّ يكبّر».

قوله تعالى: ﴿..أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ فصّلت:٤٠.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «قال الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، لا أجمعُ على عبدي خوفَين، ولا أجمعُ له أمنَين، فإذا أمِنَني في الدُّنيا أخفتُه في الآخرة يومَ القيامة، وإذا خافني في الدُّنيا آمنتُه يومَ القيامة».

مناسبات شهر ذي القعدة

إعداد: صافي رزق

١ ذي القعدة

* ١٧٣ هجريّة: ولادة السّيّدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام.

* ٦ هجريّة: صلح الحُديبيّة.

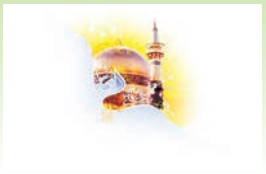

١١ ذي القعدة/ ١٤٨ هجريّة

ولادة الإمام الرّضا عليه السلام في المدينة المنوّرة.

١٢ ذي القعدة/ ٥ هجريّة

حصار النّبيّ صلى الله عليه وآله لبني قريظة.

٢٣ ذي القعدة/ ٢٠٣ هجريّة

شهادة الإمام الرّضا عليه السلام (على رواية).

٢٥ ذي القعدة

* دَحْو الأرض، ونزول الحجر الأسود وقواعد الكعبة من الجنّة.

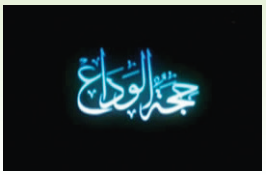

* ١٠ هجريّة: خروج النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع.

٣٠ ذي القعدة/ ٢٢٠ هجريّة

شهادة الإمام الجواد عليه السلام.

أبرز مناسبات ذي القعدة

❖ خروج النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع. ❖ ولادة الإمام الرِّضا عليه السلام وشهادته.

❖ شهادة الإمام الجواد عليه السلام. ❖ ولادة السّيّدة المعصومة عليها السلام. ❖ دَحْو الأرض.

بعد إدراج فهرس بتواريخ المناسبات، تقدِّم «شعائر» مختصَراً وافياً حول أبرز مناسبات شهر ذي القعدة الحرام، من دون الالتزام بالتّسلسل التّاريخيّ، بل بحسب تسلسل المعصومين، يتبع ذلك الحديث عن غيرهم عليهم السلام.

اليوم الخامس والعشرون خروج النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع: * الإمام الباقر عليه السلام: «خَطَبَ رَسُولُ الله، صلّى الله عليه وآله، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! والله مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ويُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِه، ومَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ويُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْه، أَلَا وإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوعِي أَنَّه لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، ولَا يَحْمِلْ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاء شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَه بِغَيْرِ حِلِّه، فَإِنَّه لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ الله إِلَّا بِطَاعَتِه».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ الله، صلّى الله عليه وآله، وَقَفَ بِمِنًى حِينَ قَضَى مَنَاسِكَهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ واعْقِلُوه عَنِّي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا. ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ. قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الشَّهْرُ. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْبَلَدُ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَه فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أَللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَلَا مَنْ كَانَتْ عِنْدَه أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَه عَلَيْهَا فَإِنَّه لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ولَا مَالُه إِلَّا بِطِيبَةِ نَفْسِه، ولَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ، ولَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً..».

(الكافي، الكليني)

* «اهتمّ المسلمون بحجّة الوَداع وروَوا عنها أحاديث كثيرةً، لكنّ رواة السّلطة القرشيّة [اقتطعوا] الأحاديث وبتروها، وخلطوا بين مضامينها! وسبب ذلك: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ركّز فيها على مكانة عترته عليهم السلام، وخصّهم بكلامٍ بليغٍ كثير، فتعمّدوا إهمال ذلك، لأنّه إدانةٌ لنظام الخلافة القرشيّ الّذي قام أساساً على إقصاء العترة. فذنبُ أحاديث حجّة الوداع أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر المسلمين فيها بطاعة أهل بيته عليهم السلام، وحذّر قريشاً والصّحابة من معصيتهم».

(جواهر التّاريخ، الكوراني)

دحو الأرض: أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله حينَ شاءَ تقديرَ الخليقةِ، وذرْءَ البريّة، وإبداعَ المبدعات، نصَبَ الخلقَ في صورٍ كالهَباء قبل دحْوِ الأرض، ورفعَ السّماء وهو في انفرادِ ملكوته، وتوحُّدِ جبروته، فأتاح نوراً من نوره فلمَعَ، ونزع قبساً من ضيائه فسطع. ثمّ اجتمعَ النّورُ في وسط تلك الصّوَر الخفيّة، فوافق ذلك صورة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله، فقال الله عزّ من قائل: أنت المختارُ المنتخَب، وعندك مستودعُ نوري وكنوزُ هدايتي، من أجلكَ أسطحُ البطحاءَ، أُموِّج [أمرجُ] الماء [أمرج: أرسل وأطلق]، وأرفعُ السّماء، وأجعلُ الثّوابَ والعقابَ، والجنّةَ والنّار، وأنصبُ أهلَ بيتك للهداية، وأُوتيهم من مكنونِ علمي ما لا يشكلُ عليهم دقيقٌ، ولا يُعييهم خفيٌّ، وأجعلُهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهينَ على قدرتي ووحدانيّتي».

(خاتمة المستدرك، المحدّث النّوريّ)

اليوم الحادي عشر ولادة الإمام الرّضا عليه السلام: ❖ عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ قال: قلتُ لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى [الإمام الجواد] عليهم السلام: إنّ قوماً من مخالفيكم يزعُمون أنّ أباك إنّما سمّاه المأمونُ «الرّضا» لَمّا رضيَه لولاية عهده. فقال: **كذَبوا والله وفجَروا، بل الله تبارك وتعالى سمّاه الرّضا، لأنّه كان رضًى لله عزّ وجلّ في سمائه، ورضًى لرسولِه والأئمّة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه.** قال: فقلتُ له: ألم يكن كلُّ واحدٍ من آبائك الماضين عليهم السلام رضًى لله تعالى ولرسوله والأئمّة عليهم السلام؟

فقال: بلى. فقلت: فلمَ سُمّي أبوك من بينهم الرّضا؟ قال: **لأنّه رضيَ به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكُن ذلك لأحدٍ من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمّي من بينهم الرّضا.**

(علل الشّرائع، الصّدوق)

❖ من تفسير الإمام الرّضا عليه السلام لآياتٍ من القرآن الكريم:

* قوله تعالى: ﴿..وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة:١٧، قال عليه السّلام: «**إنّ الله لا يوصَفُ بالتّركِ كما يوصَفُ خلقُه، ولكنّه متى علِم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضّلالة، فمنَعَهم المعاونةَ واللّطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم**».

* قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر:٢٢، قال عليه السّلام: «**إنّ الله لا يوصفُ بالمجيء والذّهاب، تعالى عن الانتقال، وإنّما يعني بذلك: وجاء أمرُ ربّك والملَك صفّاً صفّاً**».

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..﴾ البقرة:٢٦٠، سُئل عليه السلام: أكان في قلب إبراهيم شكٌّ؟ قال: «**لا، كان على يقين، ولكنّه أراد من الله الزّيادةَ في يقينه**».

* قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ..﴾ آل عمران:١٨٦، قال: «**لَتبلونَّ في أموالكم بإخراج الزّكاة، وفي أنفسكم بالتّوطين على الصّبر**».

(عيون أخبار الرّضا، الصّدوق)

اليوم الثّالث والعشرون شهادة الإمام الرّضا عليه السلام: دعاؤه، عليه السّلام، عقيب ثماني ركعات صلاة اللّيل: «**أللّهمَّ إنّي أسألُك بحُرمةِ من عاذَ بكَ منك، ولجأَ إلى عزّك، واستظلَّ بفَيئِك، واعتصمَ بحبلِك، ولم يثقْ إلّا بك. يا جزيلَ العطايا، يا مُطلقَ الأسارى، يا مَن سمّى نفسَه مِن جوده وهّاباً، أدعوكَ رهَباً ورغباً، وخوفاً وطمعاً، وإلحاحاً وإلحافاً، وتضرُّعاً وتملُّقاً، وقائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، وراكباً وماشياً، وذاهباً وجائياً، وفي كلّ حالاتي. وأسألُك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا**».

(مصباح المتهجّد، الطّوسيّ)

اليوم الأخير شهادة الإمام الجواد عليه السلام: * «..عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ جَالِساً بِالْمَدِينَةِ، وكُنْتُ أَقَمْتُ عِنْدَه سَنَتَيْنِ أَكْتُبُ عَنْه مَا يَسْمَعُ مِنْ أَخِيه -يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ [الكاظم] عليه السلام- إِذْ دَخَلَ عَلَيْه أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الرِّضَا [الإمام الجواد] عليه السّلام الْمَسْجِدَ - مَسْجِدَ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وآله، فَوَثَبَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ بِلا حِذَاءٍ ولَا رِدَاءٍ، فَقَبَّلَ يَدَه وعَظَّمَه، فَقَالَ لَه أَبُو جَعْفَرٍ عليه السّلام: **يَا عَمِّ، اجْلِسْ رَحِمَكَ اللهُ**، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي، كَيْفَ أَجْلِسُ وأَنْتَ قَائِمٌ؟ فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى مَجْلِسِه جَعَلَ أَصْحَابُه يُوَبِّخُونَه ويَقُولُونَ: أَنْتَ عَمُّ أَبِيه وأَنْتَ تَفْعَلُ بِه هَذَا الْفِعْلَ؟! فَقَالَ: اسْكُتُوا، إِذَا كَانَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ -وقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِه- لَمْ يُؤَهِّلْ هَذِه الشَّيْبَةَ وأَهَّلَ هَذَا الْفَتَى ووَضَعَه حَيْثُ وَضَعَه، أُنْكِرُ فَضْلَه؟! نَعُوذُ باللهِ مِمَّا تَقُولُونَ، بَلْ أَنَا لَه عَبْدٌ».

* «محمّد بنُ سنان: كنتُ عند أبي جعفر الثّاني عليه السلام فأجريتُ اختلاف الشّيعة [في خلْق النّبيّ وأهل بيته]، فقال: **يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزَلْ متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلَق محمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألفَ دهرٍ، ثمّ خلق جميعَ الأشياء، فأشهدَهم خلْقَها، وأجرى طاعتَهم عليها، وفوّضَ أمورَها إليهم، فهم يُحلّونَ ما يشاؤون، ويُحرّمون ما يشاؤون، ولنْ يشاؤوا إلّا أن يشاءَ اللهُ تبارك وتعالى. ثمّ قال: يا محمّد، هذه الدّيانةُ الّتي من تقدّمَها مرَقَ، ومن تخلّف عنها مُحِق، ومن لزِمَها لحِق، خُذْها إليك يا محمّد**».

(الكافي، الكلينيّ)

اليوم الأوّل ولادة السّيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام: «هذه العقيلة هي من الدّوحة العلويّة الهاشميّة الطّاهرة النّقيّة، ومن حفيدات الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليها السلام، ومن العالِمات المحدّثات، اللّواتي اختصّهنّ الله سبحانه وتعالى بمَلَكَة العقل والرّشاد والإيمان والثّبات، والفداء والتّضحية، والعفّة والطّهارة، والابتعاد عن عوامل الذّلّ والخذلان، والخوف والاستسلام. تُعرف السّيّدة المعصومة، عليها السلام: بالمحدّثة، والعابدة، والمقدامة، وكريمة أهل البيت عليهم السلام، وفي غاية الوَرَع والزُّهد والتّقوى، والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى».

(العقيلة والفواطم، الشّاكريّ)

حقٌّ على اللّٰه أن يُتحفَهُ بكراماتِه

الحاجُّ وفدُ اللّٰه وضيفُه

إعداد: محمد ناصر

«الحُجّاجُ والعُمّارُ وَفدُ اللّٰه، دَعاهُم فَأجابوهُ، وسَألوهُ فَأعطاهُم». رسول الله صلى الله عليه وآله

مجموعة من الأحاديث القدسيّة والشّريفة وردت في كرامة الحاجّ على الله تعالى، وفي ما يجب عليه أن يعتني به عند أداء مناسكه، يليها أقوالٌ للإمام الخمينيّ قدس سره في البُعد العمليّ لهذه الشّعيرة التّوحيديّة.

❖ جاء في الحديث القدسيّ:

* «أنَا اللهُ ذو بَكَّةَ، أهلُها جيرَتي، وزُوّارُها وَفدي وأضيافي، أُعَمِّرُهُ بِأَهلِ السَّماء وأهلِ الأَرض، يَأتونَهُ أفواجاً شُعثاً غُبراً، يَعِجّونَ بِالتَّكبيرِ والتَّلبِيَةِ، فَمَنِ اعتَمَرَهُ لا يُريدُ غَيرَهُ فَقَد زارَني، وهُوَ وَفَدَ لي، ونَزَلَ بي، وحَقٌّ لي أن أُتحِفَهُ بِكَراماتي».

❖ رسول الله صلى الله عليه وآله:

* «تعلَّموا مناسِكَكُم، فإنَّها من دِينكم».

* «حقٌّ على المسلم إذا أراد السّفر أن يُعلِمَ إخوانَه، وحقٌّ على إخوانه إذا قدم أنْ يأتوه».

* من دعائه صلّى الله عليه وآله لِمَن حجَّ: «أللّهُمَّ اغفر للحاجّ، ولِمَن استَغفَرَ له الحاجُّ».

*«الطَّوافُ بِالبَيتِ صَلاةٌ، إلّا أنَّ اللهَ أحَلَّ لَكُم فيهِ الكَلامَ، فَمَن يَتَكَلَّم فَلا يَتَكَلَّم إلّا بِخَير».

❖ الإمام الباقر عليه السلام:

* «ما يُعبَأ بِمَن يؤمُّ هذا البيت إذا لم يَكُن فيه ثلاثُ خصالٍ: وَرَعٌ يحجزه عن معاصي الله تعالى، وحِلمٌ يملكُ به غضبَهُ، وحُسْنُ الصَّحابة لِمَنْ صحِبَه».

* «مَن خَتَم القرآنَ بمكّة لم يمُت حتّى يَرَى رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله، ويَرى منزلَهُ في الجنّة».

❖ الإمام الصّادق عليه السلام:

* «إذَا أَحْرَمْتَ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى الله، وذِكْرِ الله كَثِيراً، وقِلَّةِ الْكَلَامِ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ والْعُمْرَةِ أَنْ يَحْفَظَ الْمَرْءُ لِسَانَه إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿..فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ..﴾ البقرة:١٩٧».

❖ الإمام الرّضا عليه السلام:

«إنَّما أُمِروا بالإحرام ليَخشعوا قبل دخولهم حَرَم اللهِ وأمنَه، ولئلّا يَلهوا ويشتغلوا بشيءٍ من أمور الدُّنيا وزِينتِها ولذّاتِها، ويكونوا جادِّين في ما هُم فيه، قاصِدينَ نَحوه، مُقبِلينَ عليه بِكُلِّيّتِهم».

قال العلماء

* «الحجّ هو تنظيمٌ وتمرينٌ وخَلقُ تجانسٍ لهذه الحياة التّوحيديّة، وهو ميدان ومرآة لتقييم مدى استعداد المسلمين وقُدُراتهم الماديّة والمعنويّة، فالسّفر إلى الحجّ ليس سفر كسب وتجارة لتحصيل الدّنيا، بل هو سفرٌ إلى الله تعالى».

* «ليس حجّاً ذلك الحجّ الخالي من الرُّوح والتّحرّك والقيام، والفاقِد للبراءة والوحدة، وغير الدّاعي لهدم الكفر والشّرك، فعند لَمْسِكُم الحجر الأسود بايعوا الله على أن تكونوا أعداءً لأعدائه ولأعداء رُسُلِه، ولأعداء الصّالحين والأحرار. وانزعوا الخوف والخنوع من قلوبكم، فإنّ أعداء الله هم الخانعون، مهما تفوَّقوا في معدّات القتل والقمع والإجرام».

* «إنّما أُسِّسَ البيتُ الحرام للقيام والنّهضة، قيام النّاس وللنّاس، لذا وَجَب أن يكون الاجتماع فيه من أجل الهدف، فَلْنُحطّم الأصنام في مكّة المكرّمة، ولنَرجُم الشّياطين في العقبات، وعلى رأسهم الشّيطان الأكبر، حتّى نؤدّي بذلك حجّ خليل الله، وحجّ حبيب الله، وحجّ وليّ الله المهديّ العزيز عجل الله فرجه الشريف». (صحيفة نور، الإمام الخمينيّ)

لو عُلِمَ بإتيانه فاسداً وجبَ القضاءُ عنه

في اشتغال ذمّة الميت بالحجّ

الإمام الخمينيّ قدس سره

مسألة – تُقضى حجَّةُ الإسلام من أصل التَّركة إنْ لم يوصِ [الميت] بها، سواء كانت حجّ التّمتّع أو القِران أو الإفراد أو عمرتُهما، وإنْ أَوْصى بها من غير تعيينِ كَوْنها من الأصل أو الثّلث فكذلك أيضاً، ولو أوْصى بإخراجِها من الثّلث وَجَب إخراجُها منه، وتقدَّمت على الوصايا المُستحبَّة وإن كانت متأخِّرة عنها في الذِّكر، وإنْ لَمْ يَفِ الثّلث بها أُخِذَت البقيّة من الأصل، والحجّ النّذريّ كذلك يُخرَج من الأصل، ولو كان عليه دَين أو خُمس أو زكاة وقصُرت التّركة فإنْ كان المال المُتعلِّق به الخمس أو الزّكاة موجوداً قُدِّما فلا يجوز صرفُه في غيرهما، وإن كانا في الذّمّة فالأقوى توزيعُه على الجميع بالنّسبة، فإن وَفَت حصّةُ الحجّ به فهو، وإلَّا فالظّاهر سقوطه وإنْ وَفَت ببعض أفعاله كالطّواف فقط مثلاً، وصرف حصّته في غيره، ومع وجود الجميع تُوزَّع عليها، وإنْ وَفَت بالحجّ فقط أو العمرة فقط ففي مثل حجّ القران والإفراد لا يبعد وجوب تقديم الحجّ، وفي حجّ التّمتُّع فالأقوى السّقوط وصرفها في الدَّين.

مسألة – لا يجوز للوَرثة التّصرُّف في التّركة قبل استيجار الحجّ، أو تأدية مقدار المصرف إلى وليِّ أمر الميت لو كان مصرفه مُستغرِقاً لها، بل مطلقاً على الأحوط وإنْ كانت واسعة جدّاً وكان بناء الورثة على الأداء من غير مورد التّصرُّف، وإن لا يَخلو الجوازُ من قُرْب، لكن لا يُترك الاحتياط.

مسألة – لو أقرَّ بعضُ الوَرَثة بوجوب الحجّ على الميت وأنكره الآخرون لا يجبُ عليه إلَّا دفع ما يخصّه من التّركة بعد التّوزيع لو أمكن الحجّ بها ولو ميقاتاً، وإلَّا لا يجب دفعُها، والأحوط حفظ مقدارِ حصّته رجاءً لإقرار سائر الوَرثة أو وجدان متبرِّع للتّتمَّة، بل مع كَوْنِ ذلك مرجوُّ الوجود يجب حفظُه على الأقوى، والأحوط ردّه إلى وليِّ الميت، ولو كان عليه حجّ فقط ولم يكفِ تركته به فالظّاهر أنَّها للورثة، نعم لو احتملَ كفايتها للحجّ بعد ذلك، أو وجود متبرِّع يدفع التّتمّة وَجَبَ إبقاؤها، ولو تبرَّع مُتبرِّعٌ بالحجّ عن الميت رَجعت أجرةُ الاستيجار إلى الوَرَثة سواء عيَّنَها الميتُ أم لا، والأحوط صَرْف الكبار حصّتهم في وجوه البرّ.

مسألة – لو عُلِمَ استطاعتُه مالاً ولم يُعلَم تَحقُّق سائر الشّرائط ولم يَكُن أصلٌ محرز لها لا يجب القضاء عنه، ولو عُلِمَ استقرارُه عليه وشُكَّ في إتيانه يجبُ القضاءُ عنه، وكذا لو عُلِمَ بإتيانِه فاسداً، ولو شُكَّ في فساده يُحْمَل على الصّحّة.

مسألة – لو عُلِم أنَّ على الميت حجّاً ولم يعلم أنَّه حجّة الإسلام أو حجّ النّذر وجب قضاؤه عنه من غير تعيينٍ ولا كفّارة عليه، ولو تردَّد ما عليه بين ما بالنّذر أو الحلْف مع الكفّارة وَجَبَت الكفّارة أيضاً، ويكفي الاقتصار على إطعام عشرة مساكين، والأحوط السّتّين.

(تحرير الوسيلة)

﴿.. فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ..﴾

خُشوعُ القلب

آية الله الشّهيد السّيّد عبد الحسين دستغيب رحمه الله

«من أعظم الشّقاوة القساوة». أمير المؤمنين عليه السلام

وقفةٌ عند معنى ومفهوم «الخشوع»، وآفة «قسوة القلب» وكيفيّة علاجها، كما وردت في الكتاب الأخلاقيّ القيّم (القلب السّليم) لشهيد المحراب آية الله السّيّد عبد الحسين دستغيب.

عندما يدرك إنسانٌ في إنسانٍ آخر أمرَين: أوّلاً، عظَمته وقدرته واستطاعته، وثانياً، كَرمه وإحسانه المُتوالي، تحصل في قلبه، عند الالتفات إلى عظمته، هيبةَ لذلك الشَّخص العظيم، كما تحصل من الالتفات إلى إحسانه محبّة له في قلبه، ويحصل من اجتماع الأمرَين (الهَيبة والمحبّة) حالةٌ في القلب يُقال لها «**الخشوع**».

إذاً، فالخشوع تذلّلٌ وتصاغُرٌ -ممزوجٌ بالمحبّة- في مقابل المُنعم العظيم. إنّ صاحب المعرفة، أي مَن عرف في نفسه الحقارة والعدَم، وعرف في ربّه العظمة والوجود المطلقَين، بل انحصار القدرة والعظمة في عالَم الخَلق به تعالى، وأدْرَكَ أنّ جميع أجزاء عالم الوجود عاجزة مقهورة له، تظهر -نتيجة ذلك- في قلبه هيبةُ الله عزّ وجلّ. ومن ملاحظة نِعَم الخالق الّتي لا تُحصى، عليه وعلى الآخرين، وملاحظة أنّه لا مُنعِم غيره، تظهر في قلبه محبّةُ الله سبحانه، عندها ينصرف إلى إظهار عبوديّته وأداء شكر إنعامه، فيقف ويصلّي ويخاطِب المنعم العظيم الشّأن ويناجيه ليحقّق لنفسه الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون١-٢.

ما هي القسوة، وما هو منشأها؟

القسوة هي بمعنى الشّدّة والصّلابة، وهي نوعُ مرضٍ وانحرافٍ عن الاستقامة يعرض على قلب الإنسان، عندها لا يقبل الحقّ ولا يخشع له، أي أنّه لا يذلّ وينقاد ويسلّم له، ولا يوجد فيه الخشوع للحقّ الّذي هو حقيقة الإيمان، وأيضاً لا يؤثّر النّصح والإنذار فيه، ولا تؤثّر فيه المشاهد الّتي توجب الرّقّة والحنان كشكاية المظلوم، وصرخة اليتيم، وحاجة الفقراء واضطرابهم.

والتّأمّل الدّقيق في آيات القرآن المجيد والرّوايات يكشف بوضوح أنّ مرض القسوة ذنبٌ كبيرٌ يطرأ على قلب الإنسان، وتجب التّوبةُ منه فوراً وكذا السّعيُ في علاجه، مع ملاحظة أنّ قساوة القلب سبب عدم الإيمان والحرمان من الآثار العظيمة للخشوع للحقّ سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الزّمر:٢٢.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ أبعد النّاس من الله القاسي القلب**».

وهي أيضاً -القسوة- سبب عدم الخوف وعدم الاضطراب من سَفَر الآخرة، وعدم الاعتناء بأهوال القيامة. وفي الحقيقة، فإنّ التّقوى -وهي الخوف والحذر من الذّنوب وكلّ ما هو خلاف العبوديّة- لا يمكن حصولها مع قسوة القلب، لذا يجب -من أجل الحصول على التّقوى- السّعي في علاج هذا المرض.

ثمّ إنّ مرض القسوة ليس أمراً تكوينيّاً، أي أنّ الإنسان لا يُخلق قاسي القلب، بل هو أمر كسبيّ، أي يُبتلى به الإنسان جرّاء أقواله وأفعاله القبيحة.

القسوة ممكنة العلاج

يجب العلم أنّ مرض القسوة يمكن علاجه، وبعد العلاج والشّفاء منه قد يُبتلى به الإنسان مجدّداً. والهدف من هذا التّذكير أن لا يصيب الإنسان الغرور ويظنّ أنّه في أمانٍ من هذا المرض، فَلِلقسوة مراتب، ويجب أن يَعدَّ نفسه في معرض الابتلاء به، ولهذا أمَرَنا أئمّتُنا عليهم السلام أن نراقب قلوبنا، وأن نبادر إلى علاجها بمجرّد أن نلاحظ فيها شيئاً من القسوة. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**وما قست القلوب إلّا لكثرة الذّنوب**».

الذّنب، إذاً، هو سبب القسوة، ومن هنا تبدأ رحلة العلاج. إلّا أنّ القسوة تنجم أيضاً من كثرة التعلّق بالأمور المباحة، ومنها الإكثار من الأكل والشّرب والنّوم وغيرها، وأخطر من ذلك الغفلة وطول الأمل.

والخلاصة هي أنّ الواجب هو أن يسعى العبدُ في أن لا يصدر منه أيّ ذنب، ولا تسيطر عليه الغفلة، وإذا ابتُلِيَ بالذّنب فلا يصبح سيّئ القلب، ويطرق بواسطة التّوبة والإنابة باب الرّحمة، لتُفتَح له أبواب الخزائن الإلهيّة، ويصبح في النّتيجة محبوب الله كما قال تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ..﴾ البقرة:٢٢٢.

بتصرّف

آدابُ سَفَر الحَجّ

اقرأ في الملف

استهلال	الشيخ الصدوق (من لا يحضره الفقيه)
آدابُ السَّفَر، ومختصّات الحجّ	الفقيه السّيّد اليزديّ (صاحب العروة)
آدابُ المَناسك	الفقيه النّراقي (صاحب جامع السّعادات)
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ..﴾	العلّامة الطباطبائي (صاحب الميزان)
تأمّلاتٌ عمليّة للسَّفَرَين	الفقيه الشّيخ محمّد البهاري الهمداني قدس سره
في معنى التّلبية	الفقيه العلَم الشّهيد الثّاني

عن الصادق عليه السلام قال: قال لقمان لابنه يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم

استهلال

عنه صلى الله عليه وآله

إذا توجهت الى سبيل الحج ثم ركبت راحلتك وقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضت بك راحلتك، لم تضع راحلتك خفاً ولا ترفع خفاً إلا كتب الله لك حسنة ومحا عنك سيئة.

فإذا أحرمت ولبيت كتب الله لك بكل تلبية عشر حسنات ومحا عنك عشر سيئات.

فإذا طفت بالبيت أسبوعاً كان لك بذلك عند الله عهد وذكر يستحيي أن يعذبك بعده.

فإذا صليت عند المقام ركعتين كتب الله لك بهما ألفي ركعة مقبولة.

فإذا سعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواط، كان لك بذلك عند الله عز وجل مثل أجر من حج ماشياً من بلاده ومثل أجر من أعتق سبعين رقبة مؤمنة.

فإذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر لغفرها لك.

فإذا رميت الجمار كتب الله لك بكل حصاة عشر حسنات

فإذا ذبحت هديك كتب الله لك بكل قطرة من دمها حسنة

فإذا طفت بالبيت للزيارة أسبوعاً وصليت عند المقام ركعتين ضرب ملك كريم بين كتفيك وقال:

"أما ما مضى فقد غفر الله لك، فاستأنف العمل فيما بينك وبين عشرين ومائة يوم".

الشيخ الصدوق (من لا يحضره الفقيه)

آدابُ السّفر ومستحبّاته

مختصّات سَفَر الحجّ

الفقيه السّيّد محمّد كاظم اليزديّ - صاحب (العروة الوثقى)

«من أهمّ ما ينبغي رعايتُه في هذا السّفر:

١- احتسابه من سفر آخرته بالمحافظة على تصحيح النّيّة، وإخلاص السّريرة.

٢- وأن لا يجعل سَفره هذا على ما عليه كثير من مُترَفي عصرنا من جعله وسيلةً للرّفعة والافتخار، ومشاهدة البلدان.

٣- وأن يراعي أسراره الخفيّة ودقائقَه..».

*** في (العروة الوثقى) محورِ أبحاث الفقهاء التّخصصيّة، قال المرجع الدّينيّ الكبير الرّاحل السّيّد اليزديّ قدس سره:**

مقدّمة في آداب السّفر ومستحبّاته -لحجٍّ أو غيره- وهي أُمور:

❖ **أوّلُها ومن أوكدها**: الاستخارة، بمعنى طلب الخير من ربّه، ومسألة تقديره له عند التّردّد في أصل السّفر أو في طريقه أو مطلقاً، والأمرُ بها للسّفر وكلّ أمر خطير أو موردٍ خَطِر مستفيض، ولا سيّما عند الحيرة والاختلاف في المشورة، وهي الدّعاء لأن يكون خيره في ما يستقبل أمره، وهذا النّوع من الاستخارة هو الأصل فيها، بل أنكر بعض العلماء ما عداها ممّا يشتمل على التّفأّل والمشاورة بالرّقاع والحَصَى والسّبحة والبُندُقة وغيرها لضعف غالب أخبارها، وإنْ كان العمل بها للتّسامح في مثلها لا بأس به أيضاً، بخلاف هذا النّوع لورود أخبار كثيرة بها في كُتب أصحابنا، بل في روايات مخالفينا أيضاً عن النّبيّ صلى الله عليه وآله الأمر بها والحثّ عليها.

* وعن الباقر والصّادق عليهما السلام: «**كنّا نتعلَّم الاستخارة كما نتعلَّمُ السّورةَ من القرآن**».

وعن الباقر عليه السلام **أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يعمل به إذا همّ بأمر حجٍّ أو عُمرة أو بيع أو شراء أو عتق**. بل في كثير من رواياتنا النّهي عن العمل بغير استخارة، وأنّه مَن دخل في أمر بغير استخارة ثمّ ابتُلي لم يؤجر. وفي كثيرٍ منها: «**ما استخار اللهَ عبدٌ مؤمن إلّا خارَ له، وإنْ وقعَ ما يكره**»، وفي بعضها: «**إلّا رماه الله بخيرة الأمرَين**»، وفي بعضها: «**استَخِرِ اللهَ مائة مرّة ومرّة، ثمّ انظر أحزم الأمرَين لك فافعله، فإنّ الخيرة فيه إن شاء اللهُ تعالى**»، وفي بعضها: «**ثمّ انظر أيّ شيء يقعُ في قلبك فاعمل به**»، وليكن ذلك بعنوان المشورة من ربّه، وطلب الخير من عنده، وبناءً منه أنّ خيرَه في ما يختاره الله له من أمره.

* ويستفاد من بعض الرّوايات أن يكون قبل مشورته، ليكون بدءُ مشورته منه سبحانه، وأن يقرنَه بطلب العافية، فعن الصّادق عليه السلام: «**ولْتكن استخارتك في عافية، فإنّه ربّما خِيرَ للرّجل في قطع يده وموت ولده وذهاب ماله**»، **وأخصَرُ صورة فيها أن يقول: «أستخيرُ الله برحمتِه»، أو «أستخيرُ الله برحمتِه خِيَرَةً في عافية»، ثلاثاً، أو سبعاً، أو عشراً، أو خمسين، أو سبعين، أو مائة مرّة ومرّة، والكلّ مَرْويّ، وفي بعضها في الأمور العظام مائة، وفي الأمور اليسيرة بما دونه، والمأثور من أدعيته كثيرة جدّاً "..".**

***

❖ **ثانيها**: اختيار الأزمنة المختارة له من الأُسبوع والشّهر، فمن الأسبوع يختار السّبت، وبعده الثّلاثاء والخميس، والكلّ مرويّ، وعن الصّادق عليه السلام: «**مَن كان مسافراً فليُسافر يوم السّبت، فلو أنّ حجراً زال عن جبلٍ يوم السّبت لردّه اللهُ إلى مكانه**».

* وعنهم عليهم السلام: «**السّبت لنا والأحد لبني أُميّة**». وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**أللّهمّ بارك لأُمّتي في بكورها يوم سَبْتِها وخميسِها**».

ويتجنّب ما أمكنه صبيحة الجمعة قبل صلاتها، والأحد، فقد رُوي: «**أنّ له حدّاً كحدّ السّيف**»، والاثنين فهو لبني أُميّة، والأربعاء فإنّه لبني العبّاس، خصوصاً آخر أربعاء من الشّهر، فإنّه يومُ نحسٍ مستمرّ، وفي رواية ترخيص السّفر يوم الاثنين مع قراءة سورة ﴿**هَلْ أَتَى**﴾ في أوّل ركعة من غداته، فإنّه يقيه اللهُ به من شرّ يوم الاثنين، وورد أيضاً اختيار يوم الاثنين، وحُملت على التّقيّة.

* **ولْيتجنّب السّفر** من الشّهر والقمر في المحاق (اللّيالي الثّلاثة الأخيرة من الشّهر)، أو في برج العقرب أو صورته (صورة برج العقرب هي حواليه، أي ينبغي إحراز الخروج من البرج وحاشيته)، فعن الصّادق عليه السلام: «**مَن سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم يرَ الحُسنى**» "..".

وعن الصّادق عليه السلام: «**تصدّق واخرج أيّ يومٍ شئتَ**». "..." ولو عارضَه في طريقه ما يتطيّر به النّاس ووجدَ في نفسه من ذلك شيئاً، [فـ] ليَقل حينئذٍ: «**اعتصمتُ بك يا ربّ من شرّ ما أجدُ في نفسي فَاعْصِمني**». وليتوكّل على الله وليَمضِ خلافاً لأهل الطّيَرة.

* **ويستحبّ اختيار آخر اللّيل للسّير**، ويُكره أوّله، ففي الخبر: «**الأرض تُطوى من آخر اللّيل**». وفي آخر: «**إيّاك والسّير في أوّل اللّيل، وسِر في آخرِه**».

***

❖ **ثالثها، وهو أهمّها: التّصدّق بشيءٍ عند افتتاح سفره**، ويستحبّ كونها عند وضع الرّجل في الرّكاب، خصوصاً إذا صادف المنحوسة أو المتطيّر بها من الأيّام والأحوال، ففي المستفيضة رفعُ نحوستها بها، وليشتريَ السّلامة من الله بما يتيسّر له، ويستحبّ أن يقول عند التّصدّق: «**أللّهمّ إنّي اشتريتُ بهذه الصّدقة سلامتي وسلامةَ سفري، أللّهمّ احفظني واحفظْ ما معي، وسلِّمني وسلِّم ما معي، وبلِّغني وبلِّغ ما معي ببلاغك الحَسن الجميل**».

***

❖ **رابعها: الوصيّة عند الخروج، لا سيّما بالحقوق الواجبة.**

***

❖ **خامسها: توديع العيال**، بأن يجعلهم وديعةً عند ربّه ويجعله خليفةً عليهم، وذلك بعد ركعتَين أو أربع يركعها عند إرادة الخروج، ويقول: «**أللّهمّ إنّي أستودعُك نفسي وأهلي ومالي وذرّيّتي ودنياي وآخرتي وأمانَتي وخاتمةَ عملي**». فعن الصّادق عليه السلام: «**ما استخلفَ رجلٌ على أهله بخلافةٍ أفضلَ منها، ولم يدعُ بذلك الدّعاء إلّا أعطاه عزّ وجلّ ما سأل**».

***

❖ **سادسها: إعلام إخوانه بسفره، فعن النّبيّ** صلى الله عليه وآله: «**حقٌّ على المسلم إذا أراد سفراً أن يُعلم إخوانَه، وحقٌّ على إخوانه إذا قَدِم أن يأتوه**».

❖ **سابعها: العمل بالمأثورات من قراءة السّور والآيات والأدعية عند باب داره**، وذِكر الله والتّسمية والتّحميد وشُكره عند الرّكوب، والاستواء على الظّهر، والإشراف والنّزول، وكلّ انتقال وتبدّل حال، فعن الصّادق عليه السلام: «**كان رسول الله** صلى الله عليه وآله **في سَفره إذا هبط سبّحَ، وإذا صعد كبّرَ**». **وعن النّبيّ** صلى الله عليه وآله: «**مَن ركب وسمّى رَدِفَه ملَكٌ يحفظُه، ومَن ركب ولم يسمّ رَدِفَه شيطانٌ يُمنّيه حتّى ينزل**».

* **ومنها**: قراءة «**القدر**» للسّلامة حين يسافر، أو يخرج من منزله، أو يركب دابّته، و«**آية الكرسيّ**» و «**السّخرة**» و«**المعوّذتين**» و«**التّوحيد**» و«**الفاتحة**» والتّسمية وذِكر الله في كلّ حال من الأحوال.

(آية السُّخرة) ثلاث آيات من سورة الأعراف، وهي:
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف:٥٤-٥٦. «شعائر»

* **ومنها**: ما روي عن أبي الحسن (الكاظم عليه السلام) أنّه يقوم على باب داره تلقاء ما يتوجّه له، ويقرأ «**الحمد**» و«**المعوّذتين**» و«**التّوحيد**» و«**آية الكرسيّ**» أمامه، وعن يمينه وعن شماله، ويقول: «**أللّهمّ احفَظني واحفَظ ما معي، وبلِّغني وبلِّغ ما معي ببلاغك الحَسن الجميل**» يُحفَظ ويبلّغ ويسلم هو وما معه.

* **ومنها** (أي: ممّا يقرأه في بداية السّفر): ما عن الرّضا عليه السلام: «**إذا خرجتَ من منزلك في سَفر أو حَضَر فقل: (بسم الله وبالله، توكّلتُ على الله، ما شاءَ الله لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله)، تضرب به الملائكةُ وجوهَ الشّياطين، وتقول** [الملائكة]: **ما سبيلُكم عليه وقد سمّى الله وآمنَ به وتوكّلَ عليه**».

* **ومنها: كان الصّادق** عليه السلام إذا وضع رِجلَه في الرّكاب يقول: ﴿.. سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الزّخرف:١٣، **ويسبّح الله سبعاً، ويحمد الله سبعاً، ويهلّل الله سبعاً**.

وعن زين العابدين عليه السلام: «**أنّه لو حجّ رَجلٌ ماشياً وقرأ (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) ما وجد ألمَ المشي**». وقال: «**ما قرأ أحدٌ (إنّا أنزلناه) حين يركب دابّتَه إلّا نزل منها سالماً مغفوراً له، ولَقارئُها أثقلُ على الدّوابّ من الحديد**».

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**لو كان شيءٌ يسبق القدَر لقلت: قارئ (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) حين يسافر أو يخرج من منزله سيرجع**». والمتكفّل لبقيّة المأثور منها على كثرتها الكُتب المعدّة لها.

* **وفي وصيّة النّبيّ** صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ، إذا أردتَ مدينةً أو قريةً فقل حين تعاينُها: أللّهمّ إنّي أسألكَ خيرَها، وأعوذُ بكَ من شرّها، أللّهمّ حبّبنا إلى أهلها، وحبّب صالحي أهلها إلينا**». **وعنه** صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ، إذا نزلتَ منزلاً فقُل: (أللّهمّ أنزِلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين)، تُرزق خيرَه ويدفَع عنك شرُّه**».

وينبغي له زيادة الاعتماد والانقطاع إلى الله سبحانه، وقراءة ما يتعلّق بالحفظ من الآيات والدّعوات وقراءة ما يناسب ذلك كقوله تعالى: ﴿..إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء:٦٢، وقوله تعالى: ﴿..إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ..﴾ التوبة:٤٠، ودعاء التّوجّه، وكلمات الفَرَج ونحو ذلك.

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله، **يسبّح تسبيح الزّهراء عليها السّلام ويقرأ آية الكرسيّ عندما يأخذ مضجعَه في السّفر، يكون محفوظاً من كلّ شيء حتّى يصبح**.

***

❖ **ثامنها: التّحنّك بإدارة طرف العمامة تحت حَنَكِه**، (كان كلّ عربيّ ومسلم يلبس العمامة وهي عبارة عن

قماش يدوّر على الرّأس) ففي المستفيضة عن الصّادق والكاظم عليهما السلام الضّمان لمَن خرجَ من بيته معتمّاً تحت حَنَكِه أن يرجعَ إليه سالماً، وأن لا يصيبَه السّرق ولا الغَرق ولا الحَرَق.

***

❖ **تاسعها: استصحاب عصاً من اللّوز المُرّ**، فعنه صلى الله عليه وآله: «**مَن أراد أن تُطوى له الأرض فليتّخذ النَّقدَ من العصا**»، والنّقد: عصا لوز مرّ، **وفيه نفيٌ للفَقر، وأمانٌ من الوحشة والضّواري، وذوات الحَمَة،**

(**أنظر**: باب استحباب حمْل العصا من لوز مرّ في السّفر، وما يستحبّ قراءته حينئذٍ. الحرّ العامليّ - وسائل الشّيعة: ج ١١/ ص ٣٧٧). (الحَمَة بتخفيف الميم: السّمّ، أو وسيلة اللّدغ به).

❋ **ولْيَصحب شيئاً من طين الإمام الحسين** عليه السلام ليكون له شفاءً من كلّ داء وأماناً من كلّ خوف، ويستصحب خاتَماً من عقيق أصفر مكتوبٌ على أحد جانبَيه: «**ما شاءَ الله، لا قوّةَ إلّا بالله، أستغفرُ الله**»، وعلى الجانب الآخر: «**محمّد وعليّ**»، وخاتماً من فيروزج مكتوب على أحد جانبَيه: «**الله الملك**»، وعلى الجانب الآخر: «**المُلكُ لله الواحد القهّار**».

***

❖ **عاشرها: اتّخاذ الرّفقة في السّفر**، ففي المستفيضة الأمر بها، والنّهي الأكيد عن الوحدة. ففي وصيّة النّبي صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**لا تخرج في سفرٍ وحدَك. فإنّ الشّيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**» "..." ومن اضطرّ إلى السّفر وحده فليَقل:«**ما شاءَ اللهُ لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله، أللّهمّ آمِن وحشتي، وأَعِنّي على وحدتي، وأدِّ غيبَتي**».

وينبغي أن يرافق مثلَه في الإنفاق، ويكرَه مصاحبته دونَه أو فوقه في ذلك، وأن يصحبَ من يتزيّن به، ولا يصحب من يكون زينةً له.

❋ **ويستحبّ معاونة أصحابه** وخدمتهم، وعدم الاختلاف معهم، وترك التّقدّم على رفيقه في الطّريق.

***

❖ **الحادي عشر: استصحاب السّفرة والتّنوّق فيها**، وتطييب الزّاد والتّوسعة فيه، لا سيّما في سفر الحجّ. وعن الصّادق عليه السلام: «**إن من المُروّة** [المروءة] **في السّفر كثرةَ الزّاد وطيبَه، وبذلَه لمَن كان معك**».

نعم يُكره التّنوّق في سفر زيارة الحسين عليه السلام، بل يقتصر فيه على الخبز واللّبن لمن قَرُب من مشهده، كأهل العراق، لا مطلقاً في الأظهر، فعن الصّادق عليه السلام: «**بلغَني أنّ قوماً إذا زاروا الحسين** عليه السلام **حملوا معهم السّفرة فيها الجداء والأخبصة وأشباهَه، ولو زاروا قبورَ آبائهم ما حملوا معهم هذا**».

وفي آخر: «**تَاللهِ إنّ أحدَكم ليَذهب إلى قبر أبيه كئيباً حزيناً، وتأتونه أنتم بالسُّفَر** (جمع سُفرة)، **كلّا حتّى تأتوه شُعْثاً غُبراً**».

***

❖ **الثّاني عشر: حُسن التّخلُّق مع صَحبِه ورفقتِه.**

فعن الباقر عليه السلام: «**ما يعبأ بمن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاثُ خصال: خُلُقٌ يخالقُ به مَن صَحِبَه، أو حِلمٌ يملكُ به غضبَه، أو وَرَعٌ يحجزُه عن معاصي الله**».

وفي (الرّوايات) المستفيضة: «**المروّة** [المروءة] **في السّفر ببَذل الزّاد، وحُسن الخُلق والمُزاح في غير المعاصي**».

وَإذا استعانوا بكَ فأعِنهم واستعمل طولَ الصّمت وكثرة الصّلاة

وفي بعضها: «قلّة الخلاف على مَن صَحِبَك، وترك الرّواية عليهم إذا أنت فارقتَهم».

وعن الصّادق عليه السلام: «**ليس من المروّة** [المروءة] **أن يحدّث الرّجل بما يتّفق في السّفر من خيرٍ أو شرّ**».

وعنه عليه السلام: «**وطّن نفسك على حُسن الصّحابة لمَن صحبت في حُسن خُلقك، وكُفَّ لسانك، واكظُم غيظَك، وأقِلّ لَغْوَك، وتَفْرُشُ عفوَك، وتُسخي نفسَك**».

***

❖ **الثّالث عشر: استصحاب جميع ما يحتاج إليه** من السّلاح والآلات والأدوية، كما في ".." وصايا لقمان لابنِه، وليَعمل بجميع ما في تلك الوصيّة.

***

❖ **الرّابع عشر: إقامة رُفقاء المريض لأجله ثلاثاً**، فعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**إذا كنتَ في سَفَرٍ ومرض أحدُكم فأَقيموا عليه ثلاثة أيّام**». وعن الصّادق عليه السلام: «**حقّ المسافر أن يقيم عليه أصحابُه إذا مرض ثلاثاً**».

***

❖ **الخامس عشر: رعاية حقوق دابّته.** (من فوائد ذلك في كلّ عصر التّنبّه إلى حُسن استعمال وسيلة النّقل، إضافة إلى الدّرس الأعظم وهو: إن كان للتّعامل مع الدّابة أو الجماد حقوقٌ وآداب، فكيف هي عَظَمة حقوق رفقاء السّفر وسائر النّاس). فعن الصّادق عليه السلام: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **للدّابة على صاحبها خصال: يبدأ بعلَفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضرب وجهَها، فإنّها تُسبّح بحَمد ربّها، ولا يقف على ظهرِها إلّا في سبيل الله، ولا يحمّلها فوقَ طاقتِها، ولا يكلّفها من المَشي إلّا ما تُطيق**».

ويكره التّعرّس (النّزول للاستراحة) على ظهر الطّريق (جعل الطّريق محطّة)، والنّزول في بطون الأودية، والإسراع في السّير، وجعل المنزلَين منزلاً إلّا في أرض جدبة، وأن يطرقَ أهله (يرجع إليهم) ليلاً حتّى يعلمَهم، ويستحبّ إسراع عَوده إليهم، وأن يستصحب هديّةً لهم إذا رجع إليهم.

وعن الصّادق عليه السلام: «**إذا سافر أحدُكم فَقَدِمَ من سفرِه فليَأتِ أهلَه بما تيسّر، ولو بحَجَر..**».

(الحر العاملي، وسائل الشّيعة: ج١١/ ٤٥٩).

ولْيُنادِ إذا ضلّ في طريق البرّ: «**يا صالح، يا أبا صالح، أرشِدونا رحمَكم الله**».

وفي طريق البحر: «**يا حمزة**»، وإذا باتَ في أرض قَفر فليَقل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأعراف:٥٤.

***

هذه جملةُ ما على المسافر، وأمّا أهله ورفقتُه فيستحبّ لهم:

١ - تشييعُ المسافر وتوديعُه وإعانتُه والدّعاءُ له بالسّهولة والسّلامة، وقضاء المآرب عند وداعِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن أعان مؤمناً مسافراً فرّجَ الله عنه ثلاثاً وسبعين كُربة، وأجاره في الدّنيا والآخرة من الغمّ والهمّ، ونفّسَ كربَه العظيم يوم يغصّ النّاس بأنفاسهم**».

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ودّع المؤمنين قال: «**زوّدكم اللهُ التّقوى، ووجّهكم إلى كلّ خير، وقَضى لكم كلَّ حاجة وسلّمَ لكم دينَكم ودنياكم، وردّكم سالمينَ إلى سالمين**».

وفي آخر: «كان إذا ودّعَ مسافراً أخذَ بيده ثمّ قال: **أحسنَ لك الصّحابة، وأكملَ لك المعونة، وسهّل لك الحُزونة، وقرّبَ لك البعيد، وكفاكَ المهمّ، وحفظَ لك دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملك، ووجّهَكَ لكلّ خير. عليك بتقوى الله، استَودِعِ اللهَ نفسَك، سِرْ على بركة الله عزّ وجلّ**».

وينبغي أن يقرأ في أُذنه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ..﴾ القصص:٨٥، **ثم يؤذّن خلفَه ولْيُقم** (أذان، وإقامة) كما هو المشهور عملاً (لا فتوى).

٢- وينبغي رعاية حقّه في أهله وعياله وحُسن الخلافة فيهم، لا سيّما مسافر الحجّ. فعن الباقر عليه السلام: «مَن خلفَ حاجّاً (في أهله) بخير كان له كأجرِه كأنّه يستلمُ الأحجار».

"..." ويختصّ سفر الحجّ بأمور أُخَر.

١- منها: اختيار المَشي فيه على الرّكوب على الأرجح، بل الحفاء على الانتعال إلّا أن يضعفَه عن العبادة، أو كان لمجرّد تقليل النّفقة. وعليهما يُحمل ما يستظهر منها أفضليّة الرّكوب. ورُوي: ما تقرّب العبد إلى الله عزّ وجلّ بشيءٍ أحبّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمَين، وإن الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة، وما عُبد الله بشيءٍ مثل الصّمت والمشي إلى بيتِه.

٢- ومنها: **أن تكون نَفَقة الحجّ والعمرة حلالاً طيّباً**، فعنهم عليهم السلام: «**إنّا أهلُ بيتٍ حجُّ صَرورتنا** (الصّرورة: الذي يحجّ أوّل مرّة) **ومهور نسائنا وأكفاننا من طَهور أموالنا**».

وعنهم عليهم السلام: «**مَن حجّ بمالٍ حرام، نُوديَ عند التّلبية: لا لبّيكَ عبدي ولا سعدَيك**».

٣- ومنها: **استحباب نيّة العَود إلى الحجّ عند الخروج من مكّة، وكراهة نيّة عدم العود.**

فعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن رجعَ من مكّة وهو ينوي الحجّ من قابل زيدَ في عمره، ومَن خرج من مكّة ولا يريدُ العودَ إليها، فقد اقتربَ أجلُه ودنا عذابُه**»، وعن الصّادق عليه السلام مثله مستفيضاً.

وقال (الإمام الصّادق عليه السلام) لعيسى بن أبي منصور: «يا عيسى، إنّي أحبُّ أن يراك اللهُ فيما بين الحجّ إلى الحجّ وأنت تتهيّأ للحجّ».

٤- ومنها: **أن لا يخرج من الحرمَين الشّريفَين بعد ارتفاع النّهار إلّا بعد أداء الفرضَين بهما.**

٥- ومنها: **البدءة بزيارة النّبي صلى الله عليه وآله لمن حجّ على طريق العراق.**

٦- ومنها: **أن لا يحجّ ولا يعتمر على الإبل الجَلّالة** (التي تتغذّى بغائط الإنسان) ولكن لا يبعد اختصاص الكراهة بأداء المناسك عليها، ولا يسري إلى ما يُسار عليها من البلاد البعيدة في الطّريق.

٧- **ومن أهمّ ما ينبغي رعايته في هذا السّفر**، احتسابه من سفر آخرتِه بالمحافظة على تصحيح النّيّة، وإخلاص السّريرة، وأداء حقيقة القُربة، والتّجنّب عن الرّياء والتّجرّد عن حبّ المدح والثّناء، وأن لا يجعل سفرَه هذا على ما عليه كثيرٌ من مترَفي عصرنا من جعله وسيلةً للرّفعة والافتخار، بل وصلةً إلى التّجارة والانتشار ومشاهدة البلدان وتصفّح الأمصار، وأن يراعي أسرارَه الخفيّة ودقائقَه الجليّة.

العروة الوثقى: ج ٤، ص ٣٢٢ - ٣٤١.

***

وسعْ نفسَك: فإذا تصدّقوا أو أعطوا فضاقَ أعطِ معهم

مناسك الحجّ
الآداب، والأسرار

الفقيه الشَيخ النّراقي، صاحب (جامع السّعادات)

*** «ولْيَتَذكّرْ عند تردّده بين الصّفا والمروة تردُّدَه بين كفّتَي الميزان في عَرَصات القيامة، وليمثّل الصّفا بكفّة الحسنات والمَروة بكفّة السّيّئات. ولْيَتَذكّرْ تردّدَه بين الكفّتَين ناظراً إلى الرّجحان والنّقصان متردّداً بين العذاب والغفران». (الغزالي، إحياء علوم الدّين: ج ٣، ص ٤٩٠)**

*** في هذه الآفاق المعنويّة والمَرامي الملكوتيّة لمناسك الحجّ، أورد الفقيه النّراقي في (جامع السّعادات)، ما يلي:**

الميقات: إذا خرج عن وطنه، ودخل إلى البادية، متوجّهاً إلى الميقات، وشاهد العقبات، فليتذكّر فيها ما بين الخروج من الدّنيا بالموت إلى الميقات يوم القيامة، وما بينَهما من الأهوال والمطالبات، وليتذكّر من هول قطّاع الطّريق هولَ منكر ونكير، ومن سباع البوادي وحيّاتها وعقاربها حيّات القبر وأفاعيه، وعقاربه وديدانَه، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشةَ القبر ووحدته وكربتَه، وليَكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر.

ما ينبغي في الميقات

إذا دخل الميقات، ولبس ثوبَي الإحرام، فليتذكّر عند لبسهما لبسَ الكفن ولفّه فيه، وأنّه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكَفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلّا بهيئةٍ وزيٍّ يخالف عادته، فكذلك لا يلقى الله بعد الموت إلّا في زيٍّ يخالف زيَّ الدّنيا، وهذا الثّوب قريبٌ من ذلك الثّوب، إذ ليس مخيطاً، كما أنّ الكفن أيضاً ليس مخيطاً.

* وإذا أحرم ولبّى، فليَعلم أنّ الإحرام والتّلبية إجابةُ نداء الله، فلْيَرْجُ أن يكون مقبولاً، ولْيَخْشَ أن يكون مردوداً، فيُقال: لا لبّيكَ ولا سعدَيك! فليَكن بين الخوف والرّجاء متردّداً، وعن حوله وقوّته متبرّئاً، وعلى فضل الله وكرمه متّكلاً، فإنّ وقت التّلبية هو بداية الأمر، وهو محلّ الخطر. **وقد رُوي: «أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام لمّا أحرَم، واستوَت به راحلتُه، اصفرّ لونه وانتفَض، ووقعتْ عليه الرّعدة، ولم يستطع أن يلبّي. فقيل له: لِمَ لا تلبّي؟ فقال: أخشى أن يقول ربّي: لا لبّيكَ ولا سعدَيك! فلمّا لبّى غُشِيَ عليه وسقطَ من راحلته، فلم يزلْ يعتريه ذلك حتّى قضى حجَّه».**

فليَتذكّر المُلبّي عند رفع الأصوات في الميقات خائفاً راجياً، أنّه إجابةٌ لنداء الله تعالى، إذ قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا..﴾ الحج:٢٧.

ويتذكّر من هذا النّداء، نداءَ الخلق بنَفخ الصّور، وحشرَهم من القبور وازدحامَهم في عرَصات القيامة لنداء الله، منقسمين إلى مقرّبين ومبْعَدين، ومقبولين ومردّدين في أوّل الأمر بين الخوف والرّجاء، مثل تردّد الحاجّ في الميقات، حيث لا يدرون أيتيسّر لهم إتمامُ الحجّ وقبوله أم لا.

وَاسْعَ لِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنّاً، وَإِذَا نَزَلْتَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ

ما ينبغي عند دخول مكّة

ينبغي أن يتذكّر عند دخوله مكّة: إنّه قد انتهى إلى حَرَمٍ مَن دخلَه كان آمناً، ولْيَرجُ عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، ولْيَضطربْ قلبه من ألّا يكون أهلاً للقُرب والقبول فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقّاً للمَقت، وَلْيَكُن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، إذ شرفُ البيت عظيم، وربُّ البيت كريم، والرّحمةُ واسعة، والفيوضاتُ نازلة، وحقُّ الزّائر منظور، واللّائذُ المستجيرُ غير مردود.

* وإذا وقع البصر على البيت، فليُحضر في قلبه عظَمته، ويقدّر كأنّه مشاهد لربّ البيت لشدّة تعظيمه، ولْيَرجُ أن يرزقه لقاءَه كما رزقَه لقاءَ بيته، وليَشكر الله على تبليغه إيّاه إلى بيته، وإلحاقه إيّاه بزُمرة الوافدين إليه، ويتذكّر عند ذلك إيصال الخلائق إلى جهة الجنّة آمنين لدخولها كافّة، ثمّ انقسامهم إلى مأذونين في الدّخول ومصروفين عنها، انقسام الحاجّ إلى مقبولين ومردودين.

ما ينبغي عند الطّواف

وينبغي عند الطّواف أن يمتلئ قلبُه من التّعظيم والمحبّة والخوف والرّجاء ويعلم أنّه في الطّواف متشبّهٌ بالملائكة المقرّبين الطّائفين حول العرش، وَلْيَعلم أنّ المقصود طواف قلبه بذكر ربّ البيت، دون مجرّد طواف جسمه بالبيت، فَلْيَبتدأ الذِّكر به ويختم به، كما يبتدأ الطّواف من البيت ويختم بالبيت، فروح الطّواف وحقيقتُه هو طواف القلب بحضرة الرّبوبيّة، والبيت مثالٌ ظاهرٌ في عالم الشّهادة لتلك الحضرة التي لا تشاهَد بالبصر، وهي عالَم الغيب، وعالَم المُلك والشّهادة مَدْرَجَةٌ إلى عالَم الغيب والمَلكوت لمن فُتح له الباب.

* وما ورد من «البيت المعمور» في السّماوات بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت، ربّما كان إشارةً إلى ما ذكرناه من المماثلة، ولمّا قصُرت رتبة الأكثرين عن مثل ذلك الطّواف، أُمروا بالتّشبّه بهم بقدر الإمكان، ووُعدوا بأنّ مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم.

ما ينبغي عند استلام الحجر

ينبغي أن يتذكّر عند استلام الحجر الأسود، أنّه بمنزلة يمين الله في أرضه، وفيه مواثيقُ العباد. قال رسول الله ﷺ: «**استلموا الرُّكن، فإنّه يمينُ الله في خلقه، يصافحُ بها خلقَه مصافحةَ العبد أو الدّخيل، ويشهدُ لَمن استلمَه بالموافاة**»، ومرادُه ﷺ بالرّكن: الحجر الأسود لأنّه موضوعٌ فيه، وإنّما شبّه باليمين لأنّه واسطةٌ بين الله وبين عباده في النّيل والوصول والتّحبب والرّضا، كاليَمين حين التّصافح.

وقال الصّادق عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أخذَ مواثيقَ العباد، أمرَ الحجرَ فالتقمَها، فلذلك يُقال: أمانتي أدّيتُها، وميثاقي تعاهدتُه، لتشهدَ لي بالموافاة**».

وقال عليه السلام: «**الرّكنُ اليماني بابٌ من أبواب الجنّة، لم يُغلقه اللهُ منذ فتحَه**».

وقال عليه السلام: «**الرّكنُ اليمانيّ بابُنا الذي يُدخَل منه الجنّة، وفيه نهرٌ من الجنّة تُلقى فيه أعمالُ العباد**».

قيل: إنّما شُبِّه بباب الجنّة لأنّ استلامه وسيلةٌ إلى وصولها. وبالنّهر، لأنّه تغسَل به الذّنوب.

* ثمّ لْتَكن النيّة في الاستلام والالتصاق بالمستجار، بل المماسّة لكلّ جزءٍ من البيت، طلب القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت، وتمسّكاً وتبرّكاً بالمماسّة، ورجاءً للتّحصّن عن النّار في كلّ جزءٍ [من بدنك]

لاقى البيت.

* ولْتَكن نيّته في التّعلّق بأستار البيت الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمقصّر المتعلّق بثيابِ مَن قصَّر في حقّه، المتضرّع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنّه لا ملجأَ منه إلّا إليه، ولا مفزعَ إلّا عفوه وكرمُه، وأنّه لا يفارق ذيلَه حتّى يعفو عنه، ويعطيه الأمان في المستقبل.

السّعي

السّعي بين الصّفا والمروة في فِناء البيت يضاهي تردّد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرّة بعد أخرى، إظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاءً للملاحظة بعين الرّحمة، كالذي دخل على الملك وخرج، وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقّه من قبولٍ أو ردّ، فلا يزال يتردّد على فناء الدّار مرّةً بعد أخرى، ويرجو أن يرحمَه في الثّانية إنْ لم يرحمه في الأولى، وَلْيتذكّر عند تردّده التّردد بين الكفّتَين، ناظراً إلى الرّجحان والنّقصان، مردّداً بين العذاب والغفران.

ما ينبغي عند الوقوف بعرفات

وأمّا الوقوف بعرفات، فَلْيتذكّر بما يرى من ازدحام الخَلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللّغات، واتّباع الفرق أئمّتَهم في التّردّد على المشاعر، عَرَصاتِ يوم القيامة وأهوالَها، وانتشارَ الخلائق فيها حَيارى، واجتماعَ الأمم مع الأنبياء والأئمّة، واقتفاء كلّ أمّة نبيّهم، وطمعَهم في شفاعته لهم، وتحيّرهم في ذلك الصّعيد الواحد بين الرّدّ والقبول.

وإذا تذكّر ذلك، فليَتضرّعْ إلى الله تعالى ويَبتهلْ إليه، ليقبلَ حجَّه ويحشره في زمرة الفائزين المرحومين، وينبغي أن يحقّق رجاءَه إذ اليوم شريفٌ والموقف عظيم، والنّفوس من أقطار الأرض فيه مجتمعة، والقلوب إلى الله سبحانه منقطعة، والهمم على الدّعاء والسّؤال متظاهرة، وبواطن العباد على التّضرع والابتهال متعاونة، وأيديهم إلى حضرة الرّبوبيّة مرتفعة، وأبصارهم إلى باب فيضِه شاخصة، وأعناقهم إلى عظيم لطفه وبرّه ممتدّة، ولا يمكن أن يخلو الموقف عن الأخيار والصّالحين وأرباب القلوب والمتّقين، بل الظّاهر حضور طبقات الأبدال وأوتاد الأرض فيه، فلا تَستبعدنّ أن تصلَ الرّحمة من ذي الجلال بواسطة القلوب العزيزة والنّفوس القادسة الشّريفة إلى كافّة الخليقة، ولا تظنّنّ أنّه يخيّب آمالَ الجميع، ويضيّع سعيَهم، ولا يرحم غربتَهم وانقطاعَهم عن الأهل والأوطان، فإنّ بحر الرّحمة أوسع من أن يظنّ به في مثل هذه الحالة، ولذا وردَ أنّه من أعظم الذّنوب أن يحضر عرفات ويظنّ أن الله لم يغفر له.

المشعر الحرام، (ويسمّى «جَمْع» و«مُزدلفة»).

وإذا فاضَ من عرفات ودخلَ المَشعر، فليتذكّر عند دخوله فيه أنّ الله سبحانه قد أذِن له في دخول حَرَمِه بعد أن كان خارجاً عنه، إذ المشعر من جملة الحَرَم، وعرفات خارجةٌ عنه، فليَتفاءل من دخول الحَرم بعد خروجه عنه، بأنّ الله سبحانه قرّبه إليه وكساه خِلَعَ القبول، وأجارَه وآمنَه من العذاب والبُعد، وجعلَه من أهل الجنّة والقُرب.

ما ينبغي عند الرّمي والذّبح

وإذ ورد مِنى، وتوجّهَ إلى رَمْي الجمار، فَلْيَقصد به الانقيادَ والامتثال، إظهاراً للرّقّ والعبوديّة، وتشبُّهاً بالخليل الجليل عليه السلام، حيث عرض له إبليسُ اللّعين في هذا الموضع ليفسدَ حجّه، فأمره الله تعالى أن يرميَه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله. وينبغي أن يقصد أنّه يرمي الحَصا إلى وجه الشّيطان، ويقصم به ظهرَه، ويُرغم به أنفَه، إذ امتثالُ أمر الله تعالى تعظيماً له يقصمُ ظهرَ اللّعين ويُرغم به أنفَه.

* **وإذا ذبح الهَدْيَ فليَستحضر** أنّ الذّبح إشارةٌ إلى أنه بسبب الحجّ قد غلب على الشّيطان والنّفس الأمّارة وقتلَهما، وبذلك استحقّ الرّحمة والغفران، ولذا ورد أنّه: يعتَق بكلّ جزء من الهَدي جزءٌ منه النّار. فليَجتهد في التّوبة والرّجوع عمّا كان عليه قبل ذلك من الأعمال القبيحة، حتّى يصير حالُه أحسنَ من سابقه، ليصدقَ عليه إذلالُه الشّيطان والنّفس الأمّارة في الجملة، ولا يكون في عمله من الكاذبين. ولذلك ورد أنّ علامة قبول الحجّ: أن يصير حالُه بعد الحجّ، أحسن ممّا كان عليه قبله.

وفي الخبر: أنّ علامة قبول الحجّ تركُ ما كان عليه من المعاصي، وأن يستبدلَ بإخوانه البطّالين إخواناً صالحين، وبمجالس اللّهو والغَفلة مجالس الذّكر واليَقظة.

النّراقي، جامع السّعادات: ج ٣/ ص ٣١١

صَلاةُ رَكعَتَينِ وَدُعاء

فَإذا عَزَمَ عَلَى الخُرُوجِ صَلّى في مَنزِلِهِ رَكعَتَينِ فَإنَّهُما أفضَلُ مَا استَخلَفَهُ الرَّجُلُ عَلَى أهلِهِ، وَيَقُولُ بَعدَهُما:

"اللّهُمَّ إنّي أستَودِعُكَ نَفسِي وَأهلِي وَمَالِي وَذُرِّيَّتِي وَدُنيَايَ وَآخِرَتِي وَأمَانَتِي وَخَاتِمَةَ عَمَلِي".

فَيُعطِيهِ اللهُ مَا يَسأَلُ، كَمَا وَرَدَ في الخَبَر.

الشّهيد الثّاني ـ أقلّ ما يجب معرفته ... رسائل الشّهيد ٣٥٨

وإذا ارتحلت فصل ركعتين، ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ..﴾

تعزيزُ التّوحيد، وتظهير الوحدة

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره

*** «.. ثمّ تتّحدُ المجتمعاتُ لتُكوِّن مجتمعاً وسيعاً له من القوّة والعُدّة ما لا تقوم له الجبالُ الرّواسي، ولا تقوى عليه أيّ قوّة جبّارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حلّ مشكلات الحياة كالتّعاضد، ولا سبيل إلى التّعاضد كالتّفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدّين».**

*** ما تقدّم، بعض ما أكّده العلّامة الطّباطبائيّ قدّس سرّه حول المنافع التي يشهدها الحُجّاج، والتي جعلها القرآن الكريم من غايات الحجّ.**

قولُه تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ..﴾ الحج:٢٨، إلخ، اللّام للتّعليل أو الغاية، والجار والمجرور متعلّق بقوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ [قوله تعالى في الآية السابقة: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا..] والمعنى يأتوك لشهادة منافع لهم، أو يأتوك فيَشهدوا منافع لهم.

وقد أُطلقت المنافع ولم تتقيد بالدّنيويّة أو الأُخرويّة.

والمنافعُ نوعان:

منافعُ دنيويّة، وهي التي تتقدّم بها حياة الانسان الاجتماعيّة، ويصفو بها العيش، وتُرفع بها الحوائج المتنوّعة، وتكمل بها النّواقص المختلفة من أنواع التّجارة والسّياسة والولاية والتّدبير، وأقسام الرّسوم والآداب والسُّنَن والعادات، ومختلف التّعاونات والتّعاضدات الاجتماعيّة، وغيرها.

فإذا اجتمعت أقوامٌ وأُمَمٌ من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها -على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسُّنن والآداب- ثمّ تعارفوا بينَهم وكلمتُهم واحدة هي كلمة الحقّ، وإلهُهم واحدٌ، وهو الله عزّ اسمُه، ووجهتُهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام، حملَهم اتّحادُ الأرواح على تقارب الأشباح، ووحدةُ القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذاك ما يرتضيه، وأعطاه ما يُرضيه، واستعان قومٌ بآخرين في حلّ مشكلتهم، وأعانوهم بما في مقدرتهم، فيتبدّل كلُّ مجتمعٍ جزئيّ [غير مكتمل خصائص الاجتماع] مجتمعاً أرقى، ثمّ تتّحد المجتمعات لتكوِّن مجتمعاً وسيعاً له من القوّة والعدّة ما لا تقومُ له الجبالُ الرّواسي، ولا تقوى عليه أيّ قوّة جبّارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حلّ مشكلات الحياة كالتّعاضد، ولا سبيل إلى التّعاضد كالتّفاهم، ولا تفاهمَ كتَفاهم الدّين.

***

ومنافعُ أُخرويّة: وهي وجوه التّقرّب إلى الله تعالى بما يمثّل عبوديّة الإنسان من قولٍ وفعل، وعملُ الحجّ بما له من المناسك يتضمّن أنواعَ العبادات من التّوجّه إلى الله وترْك لذائذ الحياة وشواغل العيش والسّعي إليه بتحمّل المشاقّ، والطّواف حول بيته والصّلاة، والتّضحية والإنفاق والصّيام وغير ذلك.

[ثمّ] إنّ عمل الحجّ بما له من الأركان والأجزاء يمثّل دورةً كاملةً ممّا جرى على إبراهيم عليه السّلام في مساره في مراحل التّوحيد ونَفي الشّريك وإخلاص العبوديّة لله سبحانه.

فإتيانُ النّاس إبراهيمَ عليه السّلام، أي حضورهم عند البيت لزيارته، يستعقبُ شهودَهم هذه المنافع: أُخْرَوِيِّها ودُنيويِّها، وإذا شهدوها تعلّقوا بها، فالإنسان مجبولٌ على حبّ النّفع.

عملُ الحجّ بما له من الأركان والأجزاء يمثّل دورةً كاملةً ممّا جرى على إبراهيم عليه السّلام في مساره في مراحل التّوحيد ونَفي الشّريك وإخلاص العبوديّة لله سبحانه.

في (الكافي) أيضا بإسناده عن الرّبيع بن خثيم قال: «**شهدتُ أبا عبد الله عليه السّلام وهو يُطاف به حول الكعبة في محمَلٍ وهو شديدُ المرض، فكان كلّما بلغَ الرُّكنَ اليمانيّ أمرَهم فوضَعوه بالأرض، فأخرجَ يدَه من كُوّة المحمل حتى يجرّها على الأرض ثمّ يقول: ارفعوني.**

فلمّا فعل ذلك مراراً في كلّ شوطٍ قلتُ له: جُعِلْتُ فِداك يا ابنَ رسول الله، إنّ هذا يشقّ عليك، فقال: إنّي سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ..﴾، فقلت [الرّبيع]: **منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟ فقال** [الإمام عليه السلام]: **الكلّ**».

وفي (المجمع) في الآية: «وقيل: منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السّلام».

أقول: وإثبات إحدى المنفعتَين لا ينفي العموم، كما في الرّواية السّابقة.

وفي (العيون) في ما كتبه الإمام الرّضا عليه السّلام إلى محمّد بن سنان في جواب مسائله في العِلل:

«**وعلّة الحجّ الوفادةُ إلى الله عزّ وجلّ، وطلبُ الزّيادة، والخروجُ من كلّ ما اقترف، وليكونَ تائباً ممّا مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتَعَب الأبدان، وحَظْرِها عن الشّهوات واللّذّات، والتّقرّب بالعبادة إلى الله عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذّلّ شاخصاً في الحرّ والبرد، والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً. وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرّغبة والرّهبة إلى الله تعالى، ومنه تركُ قساوة القلب وجسارة** [وخساسة] **النّفس، ونسيان الذِّكر وانقطاع الرّجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحَظْر النّفس عن الفساد، ومنفعة مَن في شرق الأرض وغربها، ومَن في البرّ والبحر ممّن يحجّ ومن لا يحجّ، من تاجرٍ وجالبٍ وبائعٍ ومشترٍ وكاسبٍ ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافعَ لهم**».

أقول: وروى فيه أيضاً ما يقرب منه عن الفضل بن شاذان عنه عليه السلام.

السّيّد الطّباطبائيّ، تفسير الميزان: ج ١٤/ ص ٣٦٩ - ٣٧٨ (ملخّصاً)

كيَومِ وَلَدَتْهُ أمُّه ...

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

مَن حَجَّ هٰذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه.

وعلّمك بقراءة كتاب الله ما دمت راكباً

سَفرُ الحجّ وسَفرُ الحياة الطّيّبة

تأمّلاتٌ عمليّة للسَّفَرَين

الفقيه الشّيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ قدس سره

* «يجب التّأمّل والتّنبّه إلى أنّ هذا السّفر سفرٌ جسمانيّ إلى الله، وأنّه سيُسافر سفراً روحانيّاً إلى الله (بالموت). إنّه لم يأتِ إلى الدّنيا من أجل الطّعام والشّراب، بل خُلق للمعرفة، وتكميل النّفس».

* في سياق ما تقدّم تحدّث الشّيخ البهاريّ الهمدانّي عن أبعاد الحجّ المعنويّة، وأضاف قدس سره:

في ذلك السّفر (الجسمانيّ) يحتاج الى الزّاد والرّاحلة، والرّفيق وأمير الحاجّ، والدّليل والخَدَم، وغير ذلك.وعدم توفّر أيّ من ذلك يُحدث خللاً في سَفره، وقد لا يصل إلى المقصد، بل قد يقع في التّهلكة، وفي هذا السّفر (الروحانيّ) يحتاج إلى ذلك بعينه وإلّا فإنّه لن يستطيع أن يخطوَ خطوةً واحدة، وإذا توهَّم أنّه يُمكنه السّفر بدون هذه المقدّمات، فإنّه قد ضلّ الطّريق قطعاً وليس متوجّهاً إلى الكعبة الحقيقيّة.

أما الرّاحلة في هذا السّفر (الرّوحانيّ) إلى الله تعالى، فهي البدن، فيجب أن لا يقصِّر في خدمته بنحو الاعتدال، فلا يُشبعه إلى حيث يتمرّد ويطغى ولا يُمكنه ترويضُه، ولا يجوّعه بحيث يستولي عليه الضّعف، فيقصّر في العبادة. خيرُ الأمور أوسطُها، والإفراطُ والتّفريطُ مذمومان.

وأمّا زادُه فهو أعماله الخارجيّة، التي يعبّر عنها بالتّقوى، من فعل الواجبات وتَرْك المحرّمات والمكروهات والإتيان بالمستحبّات. وأصل معنى التّقوى «الحُمْيَة» وأدنى درجاتها الحُمية عن المحرّمات، وآخرها الحُمية عن ما سوى الله جلّ جلاله، وبينهما متوسّطات.

فحاصلُ الكلام أنّ كلّاً من ترك المحرّمات والإتيان بالواجبات بمنزلة الزّاد الذي يحتاج كلّ شخص إلى قسمٍ منه في منزلٍ من المنازل الأخرويّة بدرجات الحاجة المتفاوتة، واذا لم تكن قد حملْتَه معك ابتُليت، نستجيرُ بالله من هذه البلوى العظيمة.

وأمّا الرّفقاء في هذا السّفر (الروحانيّ) فهم المؤمنون الذين يستطيع الشّخص بهمّةِ كلٍّ منهم واتّحاد قلوبهم أن يقطعَ هذه المنازل (مراحل الطريق) بالطّيران، وإليه يشيرُ قوله عزّ من قائل: ﴿..وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ..﴾.

***

وأمّا أميرُ الحاجّ في هذا السّفر إلى الآخرة فهم الأئمّة الطّاهرون سلام الله عليهم أجمعين الذين يجب أن تكون ظلالُهم فوق رأسِك، وتتمسّك بحبل ولايتهم المتين، مُلتجئاً كلَّ الالتجاء إليهم باعتبارهم آل العصمة والطّهارة، لتستطيعَ أن تخطوَ بعض الخطوات، وإلّا اختطفَك شياطينُ الجنّ والإنس في القدم الأوّل، كما هو الأمر في السّلب الذي يقوم به العربُ البَدو، وغاراتهم على الحجّاج الذين يسيرون بدون أمير، كما هو واضح خصوصاً كلّما اقترب الحُجّاج من الحَرَم.

نعم إذا أوصلَ الشّخصُ نفسَه [دون توسّل] إلى الحَرَم فإنّه بمَأمنٍ من كلّ خوف: ﴿..وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا..﴾.

ولكنْ هيهاتَ أن يستطيعَ الوصول، إنّ ذلك لن يكون، واللهُ العالم.

التّلبية

لَبّيكَ اللّهُمّ لَبّيك..
لَبّيكَ لا شريكَ لكَ، لَبّيك

❖ يُعتبر في التّلبية مقارَنَتُها للنيّة كتكبيرة الإحرام بالنّسبة إلى نيّة الصّلاة، وترتيبُها على الوجه المذكور، وموالاتُها، وإعرابُها.

❖ **ومعنى لَبّيْكَ**: «إجابةً بعدَ إجابةٍ لكَ يا ربّ»، أو «إخلاصاً بعدَ إخلاصٍ» أو «إقامةً على طاعتِك بعدَ إقامةٍ».

❖ **ومعنى أللّهُمّ**: «يا الله».

❖ ويجوز كسر «إنّ» في قوله: «إنّ الحمدَ» وفتحَها، والأوّلُ أجوَدُ.

وقد ورد في الخبر أنّ هذه التّلبية جواب للنّداء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ..﴾ الحج:٢٧، حيثُ صَعِدَ إبراهيمُ عليه السّلام أبا قُبَيْسٍ ونادَى بالحجّ.

❖ وفي «**لا شَريكَ لك**» إرغامٌ لأُنوف الجاهليّة الذين كانوا يُشْرِكونَ الأصنامَ والأوثانَ بالتّلبيَة.

وفي تَكرارها بَعْثٌ للقلب على الإقبال على خالِصِ الأعمال، وتَلافٍ لِما لعلَّه وقعَ من الإخلال بوظائف عبوديّة المَلِك المُتعالِ، كتَكرار الرّكعات والتّسبيحاتِ والتّكبيراتِ وغيرِها من الأفعال.

❖ ويُسْتَحَبّ الإكثارُ منها ومن باقي التّلبياتِ المستحبّة خصوصاً «**لَبّيْكَ ذا المعارِجِ، لَبّيْك**»، فقد كان النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله يُكْثِرُ منها، ومِنَ [التّلبية] المستحبّةِ:

«لَبّيْكَ ذا المَعارِجِ إلى دَارِ السّلام لَبّيْكَ، لَبّيْكَ غَفّارَ الذّنُوبِ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ أَهْلَ التّلبيَةِ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ ذا الجَلالِ والإكرامِ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ تُبْدِئُ والمَعادُ إليكَ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ تَسْتَغْني ويُفْتَقَرُ إليك لَبّيْكَ، لَبّيْكَ مَرهوباً ومَرغوباً إليك لَبّيْكَ، لَبّيْكَ إلهَ الحقّ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ ذا النَّعْماءِ وذا الفَضْلِ الحَسَنِ الجَميل لَبّيْكَ، لَبّيْكَ كَشّافَ الكُرَبِ العِظامِ لَبّيْكَ، لَبّيْكَ عبدُك وابنُ عَبدَيْك لَبّيْكَ، لَبّيْكَ أَتَقَرّبُ إليكَ بمُحمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ صَلّى اللهُ عليهم لَبّيْكَ، لَبّيْكَ يا كريمُ لَبّيْك، لَبّيْكَ بالعُمرةِ المُتَمتَّعِ بها إلى الحجّ لَبّيْك».

(الشّهيد الثّاني، الرّسائل، أقلّ ما يجب معرفتُه عن الحجّ والعُمرة)

وعليكَ بالتّشبيهِ مادُمتَ عامِلاً عَمَلاً، وعليكَ بالدّعاءِ مادُمتَ خائفاً.

هَا وربِّ الكعبة
هذا وليُّ اللّٰهِ، فطُوبى لَه

السّيّد ابن طاوس قدس سره

دعاءٌ جامعٌ لمولانا أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام أورده السّيّد ابن طاوس في كتابه (مُهَج الدّعوات) نقلاً عن (كتاب فضل الدُّعاء) لسعد بن عبد الله، والأخير رواه بأسناد متعدّدة: عن الصّديقة الكبرى عليها السلام، وعن سلمان الفارسيّ، وعن أبي ذرّ، وغيرهم. وأيضاً عن مجاهد عن ثلاثين رجلاً، كلُّ هؤلاء الثّلاثين يقولون: «سَمعنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وهو مُستقبل الرّكن اليمانيّ وهو يقول: ها وربِّ الكعبة. [ها: كلمة بمعنى التّنبية. وقيلَ أيضاً إنّها للتّنبيه، تُستَعمل في غير موضع، أحدها عند القسم بالله تعالى] **ثمَّ جاز إلى الحجر الأسود فقال: ها وربِّ الكعبة. حتى مرَّ بالأركان الأربعة وهو يقول: ها وربِّ الكعبة. ثمّ قال: ها وربِّ الأركان كلِّها، ها وربِّ المَشاعر، ها وربِّ هذه الحُرُمات، لقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول هذا الحديثَ الّذي أُحدِّثُكم به أنَّه مكتوبٌ في زَبورَ داود وفي توراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمَّد صلّى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء والمُرسَلين، وفي ألف كتاب نَزلَ من السَّماء إلى ألف نبيٍّ عليهم السلام أنَّه قال:**

مَن قال: لا إلَهَ إلَّا اللهُ في عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ بعدَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ. اللهُ أكْبَرُ في عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، اللهُ أكْبَرُ بعدَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، اللهُ أكْبَرُ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ. الحَمْدُ للهِ في عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، الحمدُ لله بعدَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، الحَمْدُ للهِ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ. سُبحانَ اللهِ في عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، سُبحانَ اللهِ بعدَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ، سُبحانَ اللهِ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى رِضاهُ. والحَمْدُ للهِ بِجميعِ مَحامِدِهِ على جَميعِ نِعَمِهِ، وسُبحانَ اللهِ وبِحَمدِهِ مُنتَهى رِضاهُ في عِلمِهِ، واللهُ أكبرُ وحُقَّ لَهُ ذلك.

لا إلَهَ إلَّا اللهُ الحليمُ الكريمُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ العليُّ العظيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ نورُ السَّماواتِ السَّبعِ ونورُ الأرَضينَ السَّبعِ ونورُ العَرْشِ العَظيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ تَهليلاً لا يُحْصِيهِ غيرُه قبلَ كُلِّ أحَدٍ وبعدَ كُلِّ أحَدٍ ومَعَ كُلِّ أحدٍ، واللهُ أكْبَرُ تكبيراً لا يُحْصِيهِ غيرُه قبلَ كُلِّ أحَدٍ وبعدَ كُلِّ أحَدٍ ومعَ كُلِّ أحدٍ، والحَمْدُ للهِ تَحْميداً لا يُحْصِيهِ غيرُه قبلَ كُلِّ أحَدٍ وبعدَ كُلِّ أحَدٍ ومع كُلِّ أحدٍ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العظيمِ تَمْجيداً لا يُحْصِيهِ غيرُه قبلَ كُلِّ أحَدٍ، وبعدَ كُلِّ أحَدٍ، ومَعَ كُلِّ أحدٍ، وسُبْحانَ اللهِ تَسْبيحاً لا يُحْصِيهِ غيرُه قبلَ كُلِّ أحَدٍ، وبعدَ كُلِّ أحَدٍ، ومع كُلِّ أحدٍ.

اللّٰهُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ وكَفى بِكَ شهيداً فاشْهَدْ لي بأنَّ قَوْلَكَ حَقٌّ وفعْلَكَ حَقٌّ وأنَّ قَضاءَكَ حَقٌّ وأنَّ قَدَرَكَ حَقٌّ وأنَّ رُسُلَكَ حَقٌّ، وأنَّ أوْصِياءَكَ حَقٌّ وأنَّ رَحْمَتَكَ حَقٌّ وأنَّ جَنَّتَكَ حَقٌّ وأنَّ نارَكَ حَقٌّ، وأنَّ قِيامَتَكَ حَقٌّ وأنَّكَ مُميتُ الأحْياءِ وأنَّكَ مُحْيِي المَوْتى وأنَّكَ باعِثُ مَنْ في القُبُورِ، وأنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وأنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ.

اللّٰهُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ وكَفى بِكَ شَهِيداً، فاشْهَدْ لي أنَّكَ ربِّي وأنَّ محمَّداً رَسُولَكَ نَبِيِّي والأوْصِياءَ مِن بَعدِهِ أئمَّتي، وأنَّ الدِّينَ الّذي شَرَعْتَ دِيني وأنَّ الكتابَ الّذي أنْزَلْتَ على مُحمَّدٍ رَسُولِكَ صلّى الله عليه وآله نُوري.

اللّٰهُمَّ إنِّي أُشهِدُكَ وكَفى بِكَ شهيداً فاشْهَدْ لِي، فإنَّكَ أنتَ المُنْعِمُ عَلَيَّ لا غَيْرُكَ، لَكَ الحَمْدُ وبِنِعْمَتِكَ تتِمُّ الصَّالِحاتِ. لا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكْبَرُ والحَمْدُ للهِ وسُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ وتَبارَكَ اللهُ وتَعالَى ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العظيمِ، ولا مَنْجَى ولا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلَّا إليهِ، عَدَدَ الشَّفْعِ والوَتْرِ وعَدَدَ كَلِماتِ ربِّي الطَّيِّباتِ التَّامَّاتِ المُبارَكاتِ، صَدَقَ اللهُ وصَدَقَ المُرْسَلُونَ.

ثمَّ قال: مَن قال هذا في عمرِه مائة مرّة حُشِرَ أمّةً واحدةً، ثمَّ أُرسِلَ إليه مائةُ ألفِ ألفِ مَلَكٍ على رأسِهم ملَكٌ يقال له مجديال، مع كلِّ ملَكٍ ألفُ دابّةٍ ليس منها دابّةٌ تُشبِهُ الأخرى، وألفُ ثوبٍ ليس فيه ثوبٌ يُشبه الآخَر، حتّى إذا انتَهوا إليه وقفوا، فيقول لهم مجديال: دُونَكُم وليّ الله، وينهضون نهضةَ ملَكٍ واحد، وتُسخَّر له الدّوابُّ كدابّةٍ واحدة والثّيابُ كذلك، وتحفُّه الملائكةُ عن يمينه وعن يسارِه، يَسيرون ويَسير معَهم وهم يقولون: هذا وليُّ الله فطُوبى لَه..» إلى آخر الحديث.

الإمامُ الحسينُ عليه السلام راوياً النّصّ النّبويّ على الأئمّة الاثنَي عشر عليهم السلام

..أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم

إعداد: شعائر

*** (كفايةُ الأثر في النّصّ على الأئمّة الاثنَي عشر) للشّيخ أبي القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز القمّيّ الرّازيّ، من أعلام القرن الرّابع الهجريّ، أوّلُ كتابٍ في موضوعه، جمعَ فيه مؤلّفُه الأحاديثَ الواردةَ عن أكثر من عشرين من مشاهير الصحّابة، وما ورد عن العترة الطّاهرة عليهم السلام، وعَقَد لكلّ واحدٍ منهم باباً أدرجَ فيه نصوصَ كلّ واحدٍ من الأئمّة عليهم السلام على مَن بعدَه.**

*** اقتصرنا في هذه المقالة على إيراد بعضِ ما ورد في الكتاب عن طريق سيّد الشّهداء عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في النّص على الأئمّة المعصومين عليهم السلام.**

* أخبرنا الحسين بن محمّد بن سعيد، قال حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمّد بن شبنوذ، قال حدّثنا عليّ بن حمدون، قال حدّثنا عليّ بن حكيم الأوديّ، قال أخبرنا شريك عبد الله بن سعد، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «أخبرني جبرئيلُ عليه السلام: لمّا ثبّت اللهُ عزَّ وجلَّ اسمَ محمّدٍ على ساقِ العرش، قلتُ: يا ربِّ هذا الاسمِ المكتوبِ في سُرادقِ العرش، أرِني أعزَّ خلقِك عليك، قال: فأراه اللهُ عزَّ وجلَّ اثنَي عشر أشباحاً أبداناً بلا أرواحٍ بين السّماءِ والأرض. فقال: يا ربِّ بحقِّهم عليك إلّا أخبرتَني مَن هم؟ قال: هذا نورُ عليِّ بنِ أبي طالب، وهذا نورُ الحسنِ والحسين، وهذا نورُ عليِّ بن الحسين، وهذا نورُ محمّدِ بنِ عليّ، وهذا نورُ جعفرِ بن محمّد، وهذا نورُ موسى بنِ جعفر، وهذا نورُ عليِّ بنِ موسى، وهذا نورُ محمّدِ بن عليّ، وهذا نورُ عليِّ بن محمّد، وهذا نورُ الحسن بن عليّ، وهذا نورُ الحجّةِ القائمِ المنتظَر. قال: فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يقول: ما أحدٌ يتقرَّبُ إلى الله عزَّ وجلَّ بهؤلاء القومِ إلّا أعتقَ اللهُ تعالى رقبتَه من النّار».

***

* أخبرنا أبو المفضّل، قال: حدّثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطّائيّ، قال حدّثني أحمد بن عبدان، قال حدّثني سهل

بن صيفيّ، عن موسى بن عبد ربّه، قال سمعتُ الحسينَ بن عليّ عليهما السلام يقول في مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وذلك في حياة أبيه عليّ عليه السلام: «سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: أوّلُ ما خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ حُجُبَه فكتَب على حواشيها (لا إله إلّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله عليٌّ وصيُّه)، ثمّ خلق العرشَ فكتبَ على أركانِه (لا إله إلّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله عليٌّ وصيُّه)، ثمّ خلقَ الأرَضين فكتبَ على أطوادِها (لا إله إلّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله عليٌّ وصيُّه)، ثمّ خَلق اللّوحَ فكتب على حُدوده (لا إله إلّا اللهُ محمّدٌ

رسولُ الله عليٌّ وصيُّه)، فمَن زَعمَ أنَّه يُحبُّ النّبيَّ ولا يحبُّ الوصيّ فقد كذَب، ومَن زعم أنَّه يعرفُ النّبيَّ ولا يعرفُ الوصيَّ فقد كَفر. ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: ألا إنَّ أهلَ بيتي أمانٌ لكم، فأَحِبّوهم لِحُبِّي، وتمسَّكوا بهم لن تضلُّوا. قيل: فمَن أهلُ بيتِك يا نبيَّ الله؟ قال: عليٌّ وسبطايَ وتسعةٌ من وُلد الحسينِ أئمّةٌ أمناءُ معصومون، ألا إنَّهم أهلُ بيتي وعِترتي من لحمي ودَمي».

***

* أخبرنا محمّد بن عبد الله بن المطّلب الشّيبانيّ رضي الله عنه، قال حدّثنا محمّد أبو بكر بن هارون الدّينوريّ، قال حدّثنا محمّد بن العبّاس المصريّ، قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاريّ، قال حدّثنا حريز بن عبد الله، قال إسماعيل بن عبد الله، قال: قال الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: «لمّا أَنزلَ اللهُ تبارك وتعالى هذه الآية ﴿..وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ..﴾ الأنفال:٧٥، سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله عن تأويلِها، فقال: واللهِ ما عَنَى غيرَكُم، وأنتُم أُولو الأرحام، فإذا مِتُّ فأبوك عليٌّ أَوْلى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسنُ أَوْلى به، فإذا مضى الحسنُ فأنت أَوْلى به. قلتُ: يا رسولَ الله فمَن بعدي أَوْلى بي؟ فقال: ابنُك عليٌّ أَوْلى بك من بعدك، فإذا مضى فابنُه محمّدٌ أَوْلى به من بعده، فإذا مضى فابنُه جعفرٌ أَوْلى به من بعده بِمكانِه، فإذا مضى جعفرٌ فابنُه موسى أَوْلى به من بعدِه، فإذا مضى موسى فابنُه عليٌّ أَوْلى به من بعده، فإذا مضى عليٌّ فابنُه محمّدٌ أَوْلى به من بعده، فإذا مضى محمّدٌ فابنه عليٌّ أَوْلى به من بعده، فإذا مضى عليٌّ فابنُه الحسنُ أَوْلى به من بعده، فإذا مضى الحسنُ وقعتِ الغَيْبةُ في التّاسعِ من وُلدك، فهذه الأئمّةُ التّسعةُ من صُلبك، أعطاهم علمي وفَهمي، طِينتُهم من طِينتي، ما لِقومٍ يُؤذونني فيهم؟ لا أنالَهُم اللهُ شفاعتي».

***

* حدّثنا هارون بن موسى، قال حدّثنا محمّد بن إبراهيم النّحويّ، قال حدّثنا الحسين بن عبد الله البكريّ، عن أبيه، عن عطا، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: أنا أَوْلَى بالمُؤمنينَ منهم بأنفسهم، ثمّ أنت يا عليُّ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَك الحسنُ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه الحُسينُ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه عليٌّ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه محمّدٌ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، وبعدَه جعفرٌ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه موسى أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه عليٌّ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه محمّدٌ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه عليٌّ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، ثمّ بعدَه الحسنُ أَوْلَى بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهم، والحجّةُ بنُ الحسنِ أَولى بالمؤمنين من أنفسِهم، أئمّةٌ أبرارٌ، هم مع الحقّ والحقُّ معهم».

***

* حدّثنا محمّد بن الحسين بن الحكم الكوفيّ ببغداد، قال حدّثني الحسين بن حمدان الخصيبيّ، قال حدّثني عثمان بن سعد العمويّ، قال حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن مهران، قال حدّثني محمّد بن إسماعيل الحسنيّ، قال حدّثني خلف بن المفلس، قال حدّثني نعيم بن جعفر، قال حدّثني أبو حمزة الثّماليّ، عن أبي خالد الكابليّ، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام، قال: «دخلتُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وهو متفكِّرٌ مغمومٌ، فقلتُ: يا رسولَ الله ما لي أراكَ متفكِّراً؟ قال: يا بُنيّ إنَّ الرُّوحَ الأمينَ قد أتاني فقال: يا رسولَ الله، العليُّ الأعلى يُقرئك السّلامَ ويقولُ لك: إنّك قد قضيتَ نُبوّتَك واستكملتَ أيّامَك، فاجعلِ الاسمَ الأكبرَ وميراثَ العلم وآثارَ علم النّبوّةِ عند عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي لا أتركُ الأرضَ إلّا وفيها عالِمٌ يُعرفُ به طاعتي ويُعرف به ولايتي، فإنّي لم أقطعْ على النّبوّة من الغيب من ذرّيّتك كما لم أقطعْها من ذريّات الأنبياء الّذين كانوا بينَك وبين أبيك آدم. قلتُ: يا رسولَ الله، فمَن يملكُ هذا الأمرَ بعدَك؟ قال: أبوك عليُّ بن أبي طالب أخي وخليفتي، ويملكُ بعدَ عليٍّ الحسنُ، ثمّ تَملكُ أنتَ وتسعةٌ من صُلبك، يَملكُهُ اثنا عشر إماماً، ثمّ يقومُ قائمُنا يملأُ الدّنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جَوراً وظلماً، ويشفي صدورَ قومٍ مؤمنين، هُم شيعتُه».

الصّلاة المرغّبة
يُجابُ في وقتِه وليلتِه

الشّيخ الطّبرسيّ قدّس سرّه

«الصّلاة المرغّبة» -وهي صلاةٌ يليها دعاء- مرويّةٌ عن الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، أوردها الشّيخ أبي نصر الطّبرسيّ (من أعلام القرن السّادس) في كتابَيه (كنوز النّجاح) و(مكارم الأخلاق)، وفي الأخير أدرَجَها تحت عنوان (النّوادر من الصّلوات)، وسمَّاها «صلاة الكفاية».

وأوْرَد هذه الصّلاة أيضاً القطب الرّاونديّ في (الدّعوات)، والسّيّد ابن طاوس في (مهج الدّعوات) و(جمال الأسبوع)، والمحدّث النّوريّ في (المستدرك) و(النّجم الثّاقب)، جميعُهم عن (كنوز النّجاح).

وأوردها كذلك المحدّث القمّيّ في (مفاتيح الجنان)، والميرزا الأصفهانيّ في (مكيال المكارم)، كلاهما عن (النّجم الثّاقب)، والسّيّد البروجرديّ في (جامع الأحاديث) نقلاً عن (المستدرك).

وقد ورد في فضل هذه الصّلاة أنّه «ما مِن مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ صلّى هذه الصّلاة ودعا بهذا الدُّعاء إلّا فُتحت له أبواب السَّماء للإجابة..».

النّصّ المدرج هنا، برواية المحدّث النّوريّ في (مستدرك الوسائل) عن (كنوز النّجاح):

«استحباب الصّلاة المرغّبة ليلة الجمعة: الشّيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ في كتاب (كنوز النّجاح): عن أحمد بن الدّربيّ، عن خزامة، عن أبي عبد الله الحسين بن محمّد البزوفريّ قال:

خرج عن النّاحية المقدّسة:

مَنْ كانت لهُ إلى اللهِ حاجة فليَغْتَسِل ليلة الجُمعة بعد نصفِ اللَّيل، ويَأتي مُصلّاه ويصلّي ركعتَين يقرأُ في الرّكعة الأولى (الحمد)، فإذا بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يكرّرُها مائة مرّة، ويتمّ في المائة إلى آخِرِها، ويَقرأ سُورة (التّوحيد) مرّةً واحدة، ثمَّ يَركَع ويَسجُد ويُسبّح فيها سَبعةً سَبعة، ويُصلّي الرَّكعةَ الثّانية على هيئتِهِ [أيْ مثل الأولى]، ويدعو بهذا الدُّعاء، فإنَّ اللهَ تعالى يَقضي حاجتَهُ البتّة كائناً ما كان، إلّا أنْ يكون في قطيعةِ رَحم. والدُّعاء:

أللّهُمَّ إنْ أطعتُك فالمَحمَدةُ لك، وإنْ عَصيتُك فالحُجَّةُ لك، منكَ الرَّوح، ومنكَ الفَرَج، سبحانَ مَنْ أنعَمَ وشَكَر، سبحان مَن قَدَرَ وغَفَر، أللّهُمَّ إنْ كنتُ قد عَصيتُكَ فإنّي قد أَطعتُكَ في أَحبِّ الأشياءِ إليكَ وهو الإيمانُ بك، لم أتّخذ لكَ ولداً ولم أدْعُ لكَ شريكاً، منّاً منكَ به عليَّ لا منّاً منّي به عليكَ، وقد عَصيتُك يا إلهي على غيرِ وجهِ المُكابرة، ولا الخُروجِ عن عبوديّتك، ولا الجُحُودِ بِرُبوبيّتك، ولكن أطعْتُ هوايَ وأزلّني الشّيطانُ، فلكَ الحُجَّةُ عليَّ والبَيان، فإن تُعذّبني فبذنوبي غيرُ ظالمٍ، وإنْ تَغفر لي وترحمني فإنَّك جوادٌ كريمٌ، يا كريمُ.. حتّى ينقطع النّفس، ثمّ يقول: يا آمِناً من كلِّ شيءٍ وكلُّ شيءٍ منك خائفٌ حَذِرٌ، أسألُك بأمنِكَ من كلِّ شيءٍ، وخوفُ كلِّ شيءٍ منكَ، أنْ تُصلّيَ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وأنْ تعطيَني أماناً لِنفسي، وأهلي، ووُلْدي، وسائرِ ما أنْعَمْتَ به عليَّ حتّى لا أخافَ أحداً، ولا أحذرَ من شيءٍ أبداً، إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوَكيل، يا كافيَ إبراهيمَ نمرودَ، ويا كافيَ موسى فرعون، ويا كافيَ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله الأحزاب، أسألُك أنْ تُصلّيَ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ، وأن تكفيَني شرَّ فلانِ بن فلان، فيَستكفي شرَّ مَن يخافُ شرَّه، فإنّه يُكفى شرّه إنْ شاء الله تعالى، ثمّ يسجد ويسأل حاجتَه، ويتضرَّع إلى الله تعالى، فإنّه ما مِن مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ صلّى هذه الصّلاة ودعا بهذا الدُّعاء إلّا فُتحت له أبواب السَّماء للإجابة، ويُجاب في وقتِه وليلتِه كائناً ما كان، وذلك من فضلِ الله علينا وعلى النّاس».

الذّكر بعد الصّلاة

أفضلُه تسبيح الزّهراء عليها السلام

المحقّق الحلّيّ قدس سره

أفضل التّعقيب وفقاً لما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام هو تسبيح الزّهراء عليها السّلام، وكذلك التّسبيحات الأربع ثلاثين مرّة، هذا ما تحدَّث عنه المحقّق الحلّيّ في الجزء الثّاني من كتابه (المعتبَر في شرح النّافع المُختصَر).

[من مندوبات الصّلاة] التّعقيب، سواء كان ممّا ورد به الأثر أو غيره ممّا يختار الإنسان لدينِه ودنياه، لكنَّ ما ورد به الأثر أفضل "..".

روى أنَسٌ قال: جاءت أمُّ سليمان إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقالت: يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: **اِحمدي الله عشراً، وسبِّحي اللهَ عشراً، ثمّ اسألي ما شئتِ.** [وفي الاستدلال على جواز الدّعاء بما لم يرِد به الأثر أنّ] أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانوا يدعون بما لم يتعلَّموه ولم يُنكره [صلّى الله عليه وآله]، والتّابعون بعده كذلك ولم يَتناكروه.

وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لرجلٍ: **ما تقول في صلاتِك؟** قال: أشهدُ ثمّ أسألُ اللهَ الجنّة وأعوذُ به من النّار، وصوَّبه [رسول الله صلّى الله عليه وآله].

ومن طريق الأصحاب روايات، منها ما رواه زرارة، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام: قال: «**الدُّعاء بعد الفريضة أفضل من الصَّلاة تَنفُّلاً**»، وعن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله [الصّادق] عليه السلام قال: «**التّعقيبُ أبلغ في طَلَبِ الرِّزق من الضَّرب في البلاد**».

قال الرّاوي: يعني بالتّعقيب الدُّعاء عقيب الصّلوات، والأذكار المنقولة في ذلك كثيرة أفضلها تسبيح الزّهراء عليها السلام، وإنَّما نُسِبَ إليها لأنَّها السّبب في تشريعه. روى صالح بن عقبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضل من تسبيح الزّهراء عليها السّلام، ولو كان شيءٌ أفضل منه لَنَحلَهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام**»، وكان يقول: «**تسبيح فاطمة عليها السّلام في كلِّ يومٍ دُبر كلّ صلاةٍ أحبُّ إليَّ من صلاة ألف ركعة في كلِّ يومٍ**».

وروى محمّد بن عذافر قال: «دخلتُ مع أبي على أبي عبد الله عليه السّلام، فسأله عن تسبيح فاطمة عليها السّلام، فقال: **اللهُ أكبر**، حتّى عدَّ أربعاً وثلاثين مرّة، ثمّ قال: **الحمدُ لله**، حتّى بلغ سبعاً وستّين، ثمَّ قال: **سبحان الله**، حتّى بَلغ مائة، يُحصيها مائة بيده جملةً واحدة».

وروى أبو بصير قال: «يبدأ بالتّكبير أربعاً وثلاثين، ثمّ بالحمد ثلاثاً وثلاثين، ثمّ بالتّسبيح ثلاثاً وثلاثين». ومثله رَووه عن كعب بن عجرد قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **معقِّبات لا يَخيب قائلُهُنَّ دُبرَ كلّ صلاة مكتوبة: ثلاثاً وثلاثون تسبيحة، وثلاثاً وثلاثون تحميدة، وأربعاً وثلاثون تكبيرة**».

[ورُوي أنّ نفراً من الفقراء جاؤوا] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالوا: ذهب أهلُ [الدّثور] من الأموال بالدّرجات العُلى والنّعيم المُقيم، يُصلُّون كما نصلِّي، ويَصومون كما نصوم، ولهم فضولُ أموال يحجُّون بها ويَعتمرون ويَتصدَّقون، فقال: **ألا أُحدِّثكُم بحديثٍ إنْ أخذتُم به أدركتُم مَن سَبَقَكُم، ولمْ يُدرككُم أحدٌ بعدكُم، وكنتُم خير مَن أنتُم بين ظهرانيهم إلَّا مَن عَمِلَهُ بمثلِه؟ تُسبِّحون وتَحمدون وتُكبِّرون خلف كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين**، [تقولون]: **سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبر، حتّى يكون منهنّ كلّهنّ ثلاثاً وثلاثين**.

وروى أبو بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السّلام: **إنَّ رسول الله عليه السّلام قال لأصحابه: أرأيتُم لو جمعتُم ما عندكم من الثّياب والآنية ووضعتُم بعضَه على بعضٍ، تَروْنَه يبلغ السَّماء؟ قالوا**: لا يا رسول الله، **فقال: يقول أحدُكم إذا فَرغ من صلاته: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ ثلاثين مرّة، وهنَّ يَدفَعْنَ الهدمَ، والغَرَقَ، والحرقَ، والتَّرَدِّي في البئر، وأكل السّبع، ومِيتةَ السّوء، والبليّة الّتي تنزل من السّماء على العبد في ذلك اليوم..**».

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مَن سبَّح تسبيح الزَّهراء عليها السّلام قبل أن يَثني رجلَيه من صلاة الفريضة غَفَرَ اللهُ له، ويبدأ بالتّكبير**».

المرجع الدّينيّ الميرزا جواد التّبريزيّ قدس سره:

* مَن يقلِّل من أهميّة الشَّعائر الحسينيّة، فهو من الآثمين في حقِّ أهل البيت عليهم السلام

* مضامين دعاء التَّوسُّل مصداقُ قوله تعالى: ﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾

* وزرُ تأخير الصّلاة لا يُتدارَك

إعداد: «شعائر»

وردت في كتاب (الأنوار الإلهيّة في المسائل العقائديّة) للمرجع الرّاحل الميرزا جواد التّبريزيّ قدس سره جملة أسئلة عقائديّة محلّ حاجة، لا نكاد نحصل في غيره على إجاباتٍ وافيةٍ عليها، ومنه اختارت «شعائر» ما يلي:

المرجع الدّينيّ الميرزا جواد التّبريزي قدس سره

* ما هو الطّريق لأخذ العقائد الشّرعيّة؟

اللّازم على المكلَّف في أصول الدّين والمذهب تحصيل العلم واليقين بالأدلّة المذكورة في الكُتُب المعتبرة الكلاميّة ولو بالتّعلّم والدّراسة عند أهلها، وأمّا سائر العقائد الدّينيّة فلا يجب تحصيل المعرفة بها تفصيلاً، بل يكفي الاعتقاد بما هو عليه في الواقع المعبّر عنه بالاعتقاد الإجماليّ كخصوصيّات القيامة وأمثالها، هذا بالنّسبة إلى من لا يحصل له العلم واليقين إلّا بالدّراسة، وأمّا إذا حصل اليقين بالأدلّة الإجماليّة، فيكفي كقول الأعرابيّ: «البعرة تدلّ على البعير وأثر الأقدام يدلّ على المسير، أَسَماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج لا يدلّان على اللّطيف الخبير؟» وأمثاله، وهكذا الأدلّة الإجماليّة الّتي يستدلّ بها على النّبوّة والإمامة.

ولا يَخفى أنّ ما ذَكرنا من مراجعة الكُتب الكلاميّة ما نريد به مؤلّفات العلماء المتبحّرين في الأمور الدّينيّة من الاعتقادات وغيرها، لا قول مَن يدّعي العلم وليس له حظٌّ من مسائل الدّين أصولاً وفروعاً، ويعتمد في آرائه وأفكاره على مجرّد عقله الفاتر، ويترك ظواهر الكتاب والسّنّة ويطرح الرّوايات المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام الّذين هم عدلٌ للكتاب في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتابَ الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض»، والله العالم.

* ما هو القدر الّذي يجب على المكلّف تعلُّمه من معرفة الحقّ تبارك وتعالى، وإذا كان يتوقّف على مقدّمات فهل يجب عليه تعلُّمها أم لا؟

الواجب على المكلَّف من المعرفة ما يقنع نفسه به، هذا في الواجب العينيّ، وأمّا الواجب الكفائيّ بأن يكون أشخاص يتمكّنون من إثبات العقائد الحقّة بالأدلّة في مقام المخاصمات، فيجب على جماعة من المؤمنين القيام بذلك ولو توقّف ذلك على تحصيل العلم لسنوات.

* ما هو رأي الشّارع الكريم في مَن يرى أنّ الصّراط أمرٌ رمزيّ فيقول: إنّ الكلمة لا تعبّر عن شيء ماديّ، فلم يَرِد في القرآن الحديث عن الصّراط إلّا بالطّريق أو الخطّ الّذي يعبّر عن المنهج

الّذي يَسلكهُ الإنسان إلى غاياته الخيِّرة أو الشّرّيرة في الحياة، وبذلك يكون الحديث عن الدّقّة في تصوير الصِّراط في الآخرة كناية عن الدّقّة في التّمييز بين خطّ الاستقامة وخطّ الانحراف؟

الواجب على المسلم الاعتقاد بالصِّراط والميزان وغيرها من أمور الآخرة، على ما هي عليه في الواقع إجمالاً، وأنّها حقٌّ لا رَيب فيه، وأمّا القول بأنّ الصِّراط أمرٌ رمزيّ فهو قولٌ بغير عِلمٍ، بل ظاهر بعض النُّصوص كون الصِّراط أمراً عينيّاً.

*** الرّجاء ذكر معنى التَّوكُّل؟**

التَّوكُّل هو إيكال الأمر إلى اللهِ تعالى بعد تهيئة المقدِّمات المتمكّن منها بحسب العادة، وإلّا فلا يكون توكُّلاً، واللهُ العالم.

*** ما معنى هذه الفقرة المختارة من أحد الأدعية المستحبّ قراءتها: «أللّهمّ لا تَمكُر بي ولا تَخدعني ولا تَستدرجني..»، ما معنى المكر، وما معنى الخديعة، وما معنى الاستدراج؟ وهل -العياذُ بالله- الله سبحانه يَخدع؟!**

معنى مكر الله سبحانه وخدعته هو جزاؤه الإنسان الماكر والخادع على مَكْره وخديعته، كما ورد في الخبر أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَسخر ولا يَستهزئ ولا يَمكر ولا يُخادع، ولكنّه عزَّ وجلَّ يُجازيهم جزاء السّخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة؛ فمعنى لا تمكُر بي ولا تخدعني هو: لا تُجزني بمكري ولا بخديعتي.

والاستدراج هو الاستدناء إلى الهلاك، وفي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿..سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:١٨٢، قال: «**قَالَ هُوَ الْعَبْدُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَتُجَدَّدُ لَه النِّعْمَةُ مَعَه تُلْهِيه تِلْكَ النِّعْمَةُ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ**»، فمعنى (ولا تَستدرجني) هو: لا تَجعلني ممّن يذنب الذَّنب ويجدِّد اللهُ له النّعمة، فتُلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار.

*** ذَكَر البعضُ أنّ قوله تعالى: ﴿..وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ..﴾** الأنبياء:٢٨، **معناه أنّ الإنسان إذا كان مرضيّاً مستحقّاً للمغفرة، فإنّ اللهَ يكرّم نبيّه تكريماً صوريّاً بقبول شفاعته فيه، وإذا لم يَكُن مرضيّاً فلا شفاعة له، فالشّفاعة منصب صُوريّ، وما ذكره بعض العرفاء من أنّنا لا نملك قابليّة الخطاب مع الله تعالى فنتوسّل بالأئمّة في ذلك باطل، بل الحقّ أنّه ليس بيننا وبين الله حجاب. ما رأيكم في هذه المقالة؟**

المُراد من الشّفاعة في الآية المباركة ﴿..وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ..﴾ الأنبياء:٢٨ معناها الظّاهر، هو أن يُطلب من صاحب الحقّ الإغماض عن تقصير المقصِّر وعدم أخذه به لكرامة الشّفيع ووجاهته عند الله، فإغماضُه عن تقصير المقصّر وعدم أخذه به لكرامة الشّفيع ووجاهته عنده أمرٌ حَسَنٌ عند العقل والعقلاء، وليست الشّفاعة بهذا المعنى أمراً صوريّاً.

وحيث إنّ ظاهر الآية المباركة ما ذَكَرنا، فيؤخَذ به ولا تُرفع اليدُ عنه إلّا بقرينةٍ عقليّةٍ أو نقليّةٍ، والعقل لا يرى مانعاً من شمول الرّحمة الإلهيّة للعُصاة بواسطة شفاعة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، تكريماً لهم لمقامهم عند الله تعالى وبذل أعمارهم الشّريفة في نشر الدّين وإبلاغ أحكامه وإعلاء كلمته، ولا مانع عقلاً من قبول الشّفاعة -بل مطلق العفو- على نحو التّفضّل لا على نحو الاستحقاق.

كما أنّ المراد بـ ﴿..لِمَنِ ارْتَضَىٰ..﴾ الأنبياء:٢٨ في الآية هو ارتضاءُ دينه، فلا يعمّ العفوُ المُشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ..﴾ النساء:٤٨، وليس المراد بالارتضاء استحقاق دخول الجنّة كما ذُكر في السُّؤال.

وأمّا النّقل، فالرّوايات الواردة في شفاعة النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام كثيرة، بل هي متواترة، فلا مجال للنّقاش فيها، وهذه هي عقيدة الشّيعة المُستفادة من الآيات والأخبار الشّريفة، وخلافها خروج عن عقيدة الشّيعة.

*** ما معنى الحديث القائل: «المؤمن ينظرُ بنور الله»؟ وكيف ينظرُ بنورِ الله؟**

المقصود به أنَّ اللهَ يفتح أمامه أبواب الرّحمة ويسدِّده في سَيره كما هو مضمون قوله تعالى: ﴿..وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التّغابن:١١، والله العالم.

الصّدّيقة الكبرى عليها السلام

*** جاء في الحديث: «لَوْلاك يا محمّد ما خلقْتُ الأفلاك، ولولا عليّ ما خَلقتُك، ولولا فاطمة ما خلقتُكُما»، كيف نوجِّه هذا الحديث؟**

المُراد ممَّا ذكرتم أنَّه لو كان في علمِ الله سبحانه عدم وجود هذه السّلسلة من الذّوات المقدّسة الطّاهرة المطهّرة عليهم السلام، لَمَا خلق اللهُ العالَم على ما في الخبر، وكان الأمر كما كان قبل العالم، والله العالم.

*** أين تقع رتبة الزَّهراء عليها السلام بين سائر الأئمّة؟ رُوي أنَّ الإمام العسكريّ قال في الزَّهراء عليها السلام: «هي حُجَّة اللهِ علينا»، ما المراد بالحجَّة؟ هل الحديث الدّالّ على أنَّ الزَّهراء كُفؤ عليّ، يدلّ على اتِّحاد الرّتبة؟ هل حديث «روحي الّتي بين جنبيّ» يدلّ على اتّحاد رتبة الزّهراء عليها السلام مع الرّسول صلى الله عليه وآله؟ وورد في زيارة الإمام الباقر عليه السلام: «يا ممتحنة امتحنك اللهُ الذي خلقك قبل أن يخلقك»، ما المُراد بذلك؟**

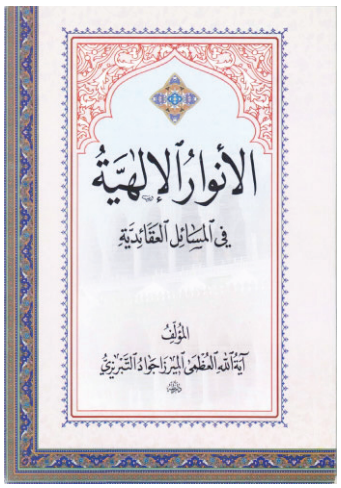

ممّا روي عن الإمام العسكريّ عليه السلام أنّه كان عند الأئمّة مصحف فاطمة عليها السلام وهو حجّةٌ على الأئمّة في بعض أمورهم؛ لأنَّ فيه علم ما كان وما يكون، كما في الرّواية الواردة عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**وعندنا مصحفُ فاطمة..**»، وأمّا كمالات النّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والزّهراء عليها السلام، كلّ في رتبة مقام نفسه تامّة، إلّا أنَّ رتبة أحدهم بالإضافة إلى الآخَر مختلفة، فرتبة النّبوّة متقدِّمة على رتبة الوصاية، ورتبة الوصاية متقدِّمة على رتبة الكفاءة المذكورة في الحديث الوارد في حقِّها، فكما لا يعني قوله تعالى في آية المباهلة ﴿..وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ..﴾ آل عمران:٦١، ثبوت النّبوّة لأمير المؤمنين عليه السلام، كذلك لا يعني الحديث المذكور في حقّ الزّهراء عليها السلام أنّها كُفؤ لعليّ عليه السلام وأنَّ عليّاً عليه السلام كُفؤ لها عليها السلام، لا يدلّ على أنَّ لها عليها السلام رتبة الوصاية، وكذا ما ورد من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله بحقّ الزّهراء عليها السلام وأنّها روحُه الّتي بين جنبَيْه لا يدلُّ على أنَّ لها عليها السلام رتبة النّبوّة. وأمّا الامتحان المذكور في زيارة الزّهراء عليها السلام فالمُراد به علمُ الله بما يجري عليها وصبرها على جميع الابتلاءات السّابقة على وجودها المادّيّ الخارجيّ، ما أوجبَ إعطاءَها المقام الخاصّ بها كما هو جارٍ في سائر الأئمّة عليهم السلام، ويدلُّ على ذلك جملة من الأدلّة منها ما ورد في حقِّهم في دعاء النُّدبة المعروف المشهور، والله العالم.

*** ذكرَ بعضُ المؤلّفين أنّ الزّهراء عليها السلام أوّل مؤلِّفة في الإسلام، فإنّها كانت تكتب ما تسمع من أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله من أحكامٍ ومواعظ وجُمِعت في كتابٍ وسُمّي مصحف فاطمة، ما رأيكم في هذه المقالة؟ وهل هي موافقة لمعتقد الشّيعة في مصحف فاطمة؟**

المُراد بمصحف فاطمة عليها السلام ما ورد في الرِّوايات المعتبرة في الكافي من **أنّ ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها ويسلّيها ويحدّثها بما يكون من الأمور، وكان عليّ عليه السلام يكتبُ ذلك الحديث، فسُمِّي ما كُتب مصحف فاطمة**. فهو ليس قرآناً كما توهّمه أو افتراه أعداء الشّيعة، ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام كما ذكر في السّؤال، بل ذلك غريب مخالف للنّصوص المعتبرة، كما أنّه لا غرابة في حديث فاطمة عليها السلام مع الملائكة، فقد ذَكَر القرآنُ أنّ الملائكة حدَّثت مريم ابنة عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران:٤٢، ومن المعلوم عندنا نحن الشّيعة أفضليّة الزّهراء عليها السلام على مريم ابنة عمران، كما ورد في النّصوص المعتبرة من أنّ مريم سيّدةُ نساء عالمِها وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالَمين.

*** حبّ أهل البيت عليهم السلام وبغض أعدائهم بحدّ ذاته، إذا لم ينجرّ إلى عمل ولم يدفع إلى عبادة، هل يفيد الإنسان؟**

إنَّ حبَّ أهل البيت، صلوات الله عليهم، وموالاتهم ومودّتهم فريضةٌ واجبةٌ بنصّ القرآن والسنّة، والنَّاصبُ لهم العداءَ خارجٌ عن الإسلام. وقد أَمَرَنا أهلُ البيت عليهم السلام بعدم الاكتفاء بحبّهم عن العمل، وما يُفترى على الشّيعة من أنّهم يكتفون بالولاية عن العمل تهمةٌ كاذبةٌ، أمّا حساب الّذين يحبّونهم ولا يعملون الصّالحات ويعملون السيّئات، فهو موكولٌ إلى الله تعالى، ويؤمّل لهم الخير بسبب حسنة حبّهم وولايتهم، وقد تشملهم رحمةُ الله تعالى وشفاعة نبيّه وأهل بيته الطّاهرين، ولعلّ الحديث المروي «**حبّ عليّ حَسَنة لا تضرّ معه سيّئة**» ناظرٌ إلى هذا الأصل، وليس معناه الوعد أو العهد القطعيّ بشمول الشّفاعة.

الإمام الحسين عليه السلام

*** تعوَّدنا من خلال التزامنا بمحبّة أهل البيت عليهم السلام على إقامة الشّعائر الدّينيّة من احتفالات المواليد أو إقامة مجالس التّعزية على أرواحهم الطّاهرة، والملاحظ أنَّ الخطباء يبدأون قراءتهم دائماً**

بقولهم: «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز والله فوزاً عظيماً..». وكما هو معروف فإنَّ (ليتَ) أداة تمنٍّ، والسُّؤال: هل حاجز البُعد الزّمانيّ بيننا وبين الإمام الحسين عليه السلام عذرٌ كافٍ لعدم النُّصرة؟ أم أنّنا ما زلنا مكلَّفين شرعيّاً بالنُّصرة؟ وكيف يمكننا أداء هذا التّكليف ونحن في هذا العصر؟

المرجع الميرزا جواد التّبريزي في ذكرى شهادة الصدّيقة الكبرى عليها السلام

الكلُّ مكلَّف بالنّصرة وفي كلِّ زمانٍ، إلّا أنَّ النّصرة في زمانه عليه السلام كانت بنحوٍ يختلف عن النّصرة له عليه السلام في زماننا هذا، فإنَّ نصرة الإمام الحسين عليه السلام في زماننا هذا عبارة عن ذكر جهاده وتبليغ ظلامته بكلِّ وسيلةٍ من وسائل التّبليغ، فإنَّ الدِّين أعزّ من كلِّ شيءٍ، فقد بذل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أنفسهم الطّاهرة الزّكيّة في سبيل بقائه. نعم المرتبة الخاصّة للشّهداء مع الحسين عليه السلام لا نصل إليها، ولذلك نتمنّى أن نكون معهم لِنَصل إلى بعض ثواب أعمالهم. وفَّقنا اللهُ وإيّاكم لهذه النُّصرة، إنّه سميعٌ مجيبٌ.

*** ما هو رأيكم المبارك في لبس السّواد واللّطم على الصُّدور أثناء إحياء مراسيم العزاء لسيِّد الشُّهداء عليه السلام في شهر محرَّم الحرام وباقي الأئمّة الأطهار عليهم السلام ؟**

لا إشكالَ ولا ريبَ ولا خلاف بين الشِّيعة الإماميّة في أنَّ اللَّطمَ ولبسَ السَّواد من شعائر أهل البيت عليهم السلام ومن المصاديق الجليّة للآية: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الحجّ:٣٢، كما أنّها من مظاهِرِ الجَزَع الّذي دلَّت النُّصوص الكثيرة على رجحانه في مصائب أهل البيت عليهم السلام ومآتمهم، ومَن يحاول تضعيف هذه الشَّعائر أو التَّقليل من أهمّيّتها بين شباب الشّيعة فهو من الآثمين في حقِّ أهل البيت عليهم السلام، ومن المسؤولين يوم القيامة عمّا اقترفه في تضليل النّاس من جهة مظالم الأئمّة عليهم السلام، ثبّت اللهُ المؤمنين على الإيمان والولاية واللهُ الهادي إلى سواء السَّبيل.

*** عند زيارة أئمَّة أهل البيت عليهم السلام عن بُعد، هل يجب قراءة الاستئذان للدُّخول إلى الحَرَم الشّريف؟ علماً أنّي في دولة بعيدة وأقرأ الزّيارة عن بُعد.**

يكفي قراءة الزّيارة نفسها دون الاستئذان، ويُجزي في زيارة الحسين عليه السلام أن يقول: **صلّى الله عليك يا أبا عبد الله**، ثلاثاً، والأحوط استحباباً الصُّعود على السّطح للزّيارة، والله العالم.

*** هل يجوز إضافة بعض العبارات إلى زيارة المعصوم مثلاً (من مكاني) عند قراءة هذا المقطع (قاصداً إلى حرمك)؟**

لا بأس بإضافة بعض العبارات لا بِقَصد الوُرود والنّسبة إلى المعصوم عليه السلام، بل بقصد الإنشاء.

*** بالنّسبة إلى تأخير الصّلاة عن وقتها هناك حديث للرّسول صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أخّر الصّلاة عن وقتها بدون عذرٍ فقد حَبط عملُه» فما معنى هذا الحديث؟ هل معناه: أنّه لا خير في كلِّ عملِ خير فعلهُ في ذلك اليوم؟**

معنى هذا الحديث أنَّ مَن أخّر الصّلاة عمداً عن وقتها حتّى أصبَحَت قضاءً، فإنَّ ذلك غيرُ جائز ولا يُتدارك وزرُه بعملِ خيرٍ آخَر.

*** هل دعاء التّوسُّل وارد عن أهل البيت عليهم السلام ؟**

دعاء التّوسُّل لا يحتاج إلى السَّند؛ فإنَّ مضامينه التَّوسُّل بالأئمّة عليهم السلام الّذي يدخل في قوله سبحانه وتعالى ﴿..وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ..﴾ المائدة:٣٥، ولا نعرف وسيلة غيرهم وغير مَن يتعلّق بهم، ومع ذلك فالمحكيّ عن المجلسيّ رحمه الله أنّه مرويّ عن الأئمّة عليهم السلام، مضافاً إلى ذلك أنّه دعاءٌ مجرَّب لا ينبغي التّردّد فيه.

بعضُ أسرارِ الحجّ
المؤتمرُ الاجتماعيُّ العامُّ

الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله

مقتطفٌ مُختصرٌ من كتاب (الفردوس الأعلى) للشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله، اختارته «شعائر» في أجواء أشهر الحجّ، شرح فيه بعض أسرار الحجّ، مقسّماً إيّاها بين خاصّة تُكشف للسّالكين، وعامّة متاحة لكلّ متدبّرٍ متفكّر.

بما أنَّ الإنسان مُتكوِّنٌ من جوهرَين، جسم ورُوح، فقد جعل شارع الشّريعة الإسلاميّة لكلٍّ من الجوهرَين فرائضَ وتكاليف، ليس الغرض منها سوى سعادة الإنسان وتعاليه في معارجِ الكرامة ومدارجِ العظَمة، وأهمّ فرائض الرُّوح العقيدة والإيمان. وأهمّ فرائض البدن، أعمال خاصّة يُسمِّيها الشَّرعُ بالعبادات والفروع، أي فروع الدِّين، كما يُسمِّي تلك [فرائض الرُّوح] بأصول الدِّين.

وتلك العبادات خمسة: الصَّلاة والصَّوم، وهي بدنيّة مَحْضة [ومنها الجهاد أيضاً]، والخُمس والزَّكاة، وهي ماليّة مَحْضة، والحجّ يَتَضمنَّهما معاً، فهو عبادةٌ ماليّة وبدنيّة.

وقد جمعت كلّ واحدةٍ من هذه العبادات أسراراً وحِكَماً، إذا لم يكن الحجّ أكبرها مقاصد وأكثرها أسراراً وفوائد، فليس هو بأقلِّها، وقد أشارت الآيات إلى بعض تلك الأسرار والمزايا، وهي مادّيّة اقتصاديّة، وأخلاقيّة اجتماعيّة، ورموز عِلْويّة، ورياضات روحيّة.

نعم، النّاظرُ إلى أعمال الحجّ نظرة سطحيّة قد ينسبق إلى ذهنه أنّها ألاعيبُ من العبث؛ ولكن لا تلبث تلك النّظرة العابرة حتّى تعود عِبرةً وفكرة، تذهلُ عندها الألباب وتطيشُ في سُبُحات جلالها العقول.

أمّا الّذي فيه من الفوائد المادّيّة، والاجتماعيّة، والأخلاقيّة، فلعلَّ سطحه الأوّل ظاهر مكشوف، والتّوسُّع فيه يحتاج إلى مجالٍ أوسع ونظرٍ أعلى وأرفع، وهي الّتي أُشير إليها بقوله عزَّ شأنُه ﴿..لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ..﴾ الحجّ:٢٧، ولكن إذا لم يتّسع لنا المجال للإشارة إلى تشريح هذه المنافع أفلا يمكن التّلويح إلى بعض تلك النّفحات الّتي تهبُّ نسائمُها من الكنوز والرّموز الرّوحيّة الّتي تتضمنَّها أعمال الحجّ؟

النّاظر إلى أعمال الحجّ نظرة سطحيّة قد يتراءى له أنّها ألاعيب من العبث، ولكن لا تلبث تلك النّظرة العابرة حتّى تعود عِبرةً وفكرة، تذهل عندها الألباب وتطيش في سُبُحات جلالها العقول.

...مع الحاجّ في مناسكه

أوّلُها الإحرام؛ أرأيتَ المُحرم حين يتجرّد من ثيابه الّتي يتجمّل بها بين النّاس، فيَستبدل بها قطعتَين من القطن الأبيض، إشارة إلى قَطْعه جميع علائق هذه الحياة وزخارفها، واكتفائه بثوبَين، كمَن ينتقل من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى، لابساً أكفانه، منصرف النّفس عن كلّ شهواتها، وعازفاً عن كلّ لذّاتها.

أتراه حين يرفع صوتَه كلَّما علا جبلاً أو هبط وادياً أو نام أو استيقظ: **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ**، كأنَّه يُجيب داعياً، ويُخاطب منادياً؛ نعم يجيبُ داعي الضّمير، ويُخاطبُ الوجدان خطاباً يجيبُ به نداء ربِّه، وأذانَ أبيه إبراهيم، ودعوةَ نبيّه محمّدٍ صلّى الله عليه وآله. أتراه كيف يتجرَّد من الدُّنيا ويتخلّى عن الرّوح الحيوانيّة فيصير روحاً مجرَّداً، وملاكاً بشراً فيحرّم على نفسه التّمتّع حتّى من النّساء والطِّيب والطّيّبات.

أرأيتَه حين يَطوف حول الكعبة رمز الخلود، ومركز الأبديّة، وتمثال العرش الّذي تطوف حوله الملائكة ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ

حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ..﴾ الزمر:٧٥ طالباً أن تُفتحَ أبوابها فيدخل في فردوسها الأبهى، ويخلد في نعيمها الأبديّ، مع الخالدين.

أتراك حين تبتدئ بطوافك من الحجر فتلمسه قاصداً أنَّك تبايعُه وتأخذ العهد منه وتقبّله كأنَّك تقبّلُ يدَ الرّحمن، وإنَّه قد نزل أبيض من اللُّجين ولكنَّ ذنوب العباد كَسَته حلَّةَ السَّواد، كناية أنّه تحمَّل ذنوبهم وتعهَّد بغفرانها من خالقهم.

أرأيتَ كيف ينقلب الطَّائف حول الكعبة بعد الفراغ من طوافه إلى مقام إبراهيم فيصلّي فيه، إشارة إلى أنَّه بعد طوافه على القلب قام مقام أبيه إبراهيم في دعائه إلى الرَّبّ: ﴿.. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ البقرة:١٢٧ ﴿..وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة:١٢٨.

أتراه حين يَنفلت بعد الفراغ من الطَّواف إلى السَّعي بين الصَّفا والمروة مُهرولاً يدفعه الشَّوق، حذار أن تعرضَه خطراتُ الوسواس فتكون حجرَ عثرةٍ في طريقه إلى مشاهدة الحقّ، وتُكدِّر عليه ذلك الصَّفا المتجلّي عليه من أشعّة تلك اللّمعات. والصّفا هو الصّخرة الّتي وقف عليها نبيُّ الرّحمة في أوَّل دعوته النّاسَ إلى التّوحيد، والدّخول في دين الإسلام، والتّخلّي عن عبادة الأصنام، وما بين الصَّفا والمروة هو الموقع الّذي سعت فيه هاجر أمّ إسماعيل سبع أشواطٍ في طلب الماء لولدها الّذي تركته في المسجد الحرام حول الكعبة، ولمّا أَيِسَت رَجعت لِولَدها، رجعت إليه فوَجدت ماء زمزم قد نبَع من تحت قدميه.

ثمّ بعد إكمال السّعي يقصِّر من شعره، ولعلّه إشارة إلى أنَّ السَّالك إلى الحقّ مهما جَدَّ في المسير، فإنَّ مصيره ومنهاه إلى القصور في شعوره، أو التّقصير. فإذا عَرف قصوره، واعترَف به، حلَّ من إحرامه، وأحلَّ اللهُ له الطّيّبات الّتي حرَّمها عليه، ورجع من الحقّ إلى الخلق، وهو أحد الأسفار الأربعة، وإلى هنا تنتهي عُمرَتُه.

ثمَّ يوم الثّامن يوم التّروية يعقد الإحرام ثانياً، وهو إحرام الحجّ، ويتوجَّه إلى مِنى وقبل ظهر يوم التّاسع يكون في عرفات من الظّهر إلى غروب الشّمس، ثمّ يفيض إلى المشعر، وقبل طلوع الشّمس يعود إلى منى، فيأتي بمناسكها الثّلاثة: الرّمي، والذّبح، والحلق يوم عيد الأضحى، وبعد الحلق يحلّ من كلّ ما حُرِّم عليه بالإحرام إلّا الطِّيب، والصَّيد، والنِّساء.

ثمّ يعود إلى مكّة، لإحرام الحجّ ويحلّ له بعده الصّيد، والطِّيب؛ ثمّ يعود إلى منى ويَبيت فيها ليالي النّفر؛ الحادية والثّانية عشرة ويرمي الجمرات في اليومين، أو الثّلاث بعد الأضحى ثمّ يطوف طواف النّساء فتحلّ له.

وهنا تنتهي أعمال الحجّ والمناسك بأجمعها وفي كلِّ واحدٍ من هذه الأعمال رموز وأسرار وحِكَم ومصالح، لو أردنا شرح بعضها فضلاً عن كلِّها، لاحتَجنا إلى مؤلَّفٍ مستقلٍّ لا نستطيع القيام به، وقد وهن العظم منّي واشتعل الرّأسُ شَيباً.

أسرار الحجّ: خاصّة وعامّة

ولكنّ ليعلم أنَّ الأسرار والمصالح الّتي في الحجّ، بل وفي كلِّ عبادة، نوعان: خاصّة وعامّة.

أمَّا **الخاصّة**، فهي الأسرار الّتي يتوصَّل إليها السّالكون، والعلماء الرّاسخون، والعرفاء الشّامخون، ولا تنكشف أستارُها وكنوزُها لعامّة النّاس، بل ولا يتصوَّرها بلمحِ الخيال أحدٌ منهم.

وأمَّا **العامّة**، فهي الواضحة المكشوفة الّتي يستطيع كلُّ متفكِّرٍ ومتدبِّرٍ أن يعرفها ويتوصَّل إليها. وأعظمها وأهمّها وأجلى المصالح والأهداف الّتي يرمي إليها ويتطلّبها على الظّاهر المكشوف والّتي يدركها كلّ ذي شعور هي النّاحية الاجتماعيّة، ومن المعلوم أنَّ الإسلام دينٌ اجتماعيٌّ وقد أعطى للنّواحي الاجتماعيّة أعظم الأهمّيّة؛ فشرّع صلاة الجماعة في مسجد المحلّة كلّ يوم ثلاث مرّات أو خمس، وصلاة الجمعة في المسجد كلّ أسبوع، وصلاة العيدَين لعموم أهل كلّ بلد وضواحيها كلّ سنة مرَّتين. ولم يكتفِ بذلك كلّه، حتّى دعى إلى مؤتمرٍ عامٍّ من المسلمين المتفرّقين في أقطار الأرض الشّاسعة في صعيدٍ واحدٍ، ليتعارفوا أوّلاً، فإذا تعارفوا تآلفوا، وإذا تآلفوا تكاتفوا، وصار كلُّ واحدٍ منهم قوّةً للآخر يتفقَّد شؤونه، ويشاركه في سرّائه وضرّائه، ونعيمه وشقائه، فتكون من ذلك للمسلمين قوّة هائلة، لا تقاومها كلّ قوّة في العالم.

والمسلمون يا للأسف، لو كان يُجدي الأسف، إنّهم لمّا فاتهم الحجى واللّبّ أصبحت أعمالهم بل وعباداتهم قِشراً بلا لبّ، يجتمعون وهم متفرّقون، ويتقاربون وهم متباعدون، متقاربة أجسامُهم متضاربة أحلامُهم، يحجُّون ولا يتعرَّف أحدُهم إلى أخيه ولا يرى إلّا صورته، ولا يعرف شيئاً من أحواله بل ولا اسمه، وبهذا ومثله وصلنا إلى الحال الّتي نحن فيها اليوم، فلا حول ولا قوّة، وبالله المستعان على هذا الزّمان وأهل الزّمان.

(مختصَر)

من أخطر مسوّغات المعصية
التّقصيرُ في معرفة المعصومين عليهم السلام

الشّيخ فوزي آل سيف

مقتطف من كتاب (الحياة الشّخصيّة عند أهل البيت عليهم السلام) للشّيخ فوزي آل سيف من علماء الحجاز، يتناول خطورة التّقصير في معرفة المعصومين عليهم السلام، وإنزالهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله تعالى فيه، شارحاً أسبابه ومبيّناً أنّه أشدُّ خطراً من نقيضه -الغلوّ- وإن كانا يلتقيان في إخراج معتنقِيهما عن الصّراط القويم.

خطَّان يُمكنُ للباحث أن يَلحظهما في التَّعامل مع المعصومين عليهم السلام، بالرّغم من كَونهما على طرفَي نقيض، إلَّا أنَّهما ينتهيان إلى نتيجةٍ واحدة هي إخراجُ النّاس من محيط الاتِّباع والاقتداء. خطَّان يخرجان من الحدِّ الوَسَط والجادّة إلى حاشيتَي الطّريق، إفراطاً وتفريطاً.

هذان الخطّان هما: الغُلُوّ والتّقصير.

فالمُغالي لا يُغالي إلَّا وهو مصمِّمٌ على عدم الاتِّباع، فيرفع درجة الشّخص إلى مراتب لا يدَّعيها الشّخصُ لنفسه، فيُخرجه من حالته البشريّة إلى نموذج (إله – أو نصف إله)، وحينئذٍ لا يُطالب نفسَه بالاقتداء به، [متذرِّعاً بالعجز عن الاقتداء بإلهٍ أو ما يُشبهه].

وفي الطَّرف المقابل لخطِّ الغُلوّ والإفراط في الأنبياء والأوصياء كان هناك خطّ التّقصير والتّفريط، حيث إنَّ هذا الخطّ، ليس فقط لم يغالِ فيهم، بل بخسَهم حقوقهم، ونَسبَ إليهم أقوالاً أو أفعالاً لا تليق بالعاديِّين من مُحترَمي العلماء أو أصحاب العلم، بل أشراف القبائل. ولقد أفرط أصحابُ هذا الخطّ في التّركيز على بشريّتهم بحيث حصروا الجانب الغَيبيّ، وما يتّصل بالوَحي والرّسالة في زاويةٍ ضيِّقة جدّاً من حياتهم.

وسوف نتحدَّث عن العوامل الّتي ساعدت على انتشارِ أفكار هذا الخطّ، والّذي يبدو أنَّه لا يتَّصل فقط بتفسير حياة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، بل يتعدَّى إلى تفسير حياة الأنبياء السّابقين عليهم السلام، فضلاً عن الأوصياء. وبالرّغم من أنَّ النّصوص التّالية -والّتي نعتقد بخَطئها وفسادِها- لا تليق بمقام الرّسالة والنّبوّة، إلَّا أنَّها لمّا كانت قد وَرَدت في كُتُب الحديث، بل و(الصّحاح)، فلا بدَّ من الإشارة إلى بعضها، لنرى كيف أنَّ هذا الاتِّجاه أيضاً وقع في التّطرُّف الّذي وقع فيه خطُّ الغُلاة، ولكنَّ من الجهة المقابلة.

ونرى كيف أنَّ هذا الخطّ لمّا كان قائماً على أساسٍ غير سليم، أدَّى به ذلك إلى أن يدَّعي هذه الأحاديث على الرّسول صلى الله عليه وآله والرُّسُل السّابقين.

وإليك بعض هذه الأحاديث:

* عن أبي هُرَيرة أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أللَّهمَّ إنَّما محمَّدٌ يَغضب كما يَغضب البشر، وإنِّي قد اتَّخذْتُ عندك عهداً لم تُخلفنِيه، فأيُّما عبدٍ آذيْتُه أوسبَبْتُه أو لعنْتُه أو جلَدْتُه، فاجعلْهَا كفَّارةً وقُربةً تُقرِّبُه إليك». (صحيح مسلم: ٨/ ٢٦، دار الفكر، بيروت؛ البخاري، التاريخ الكبير: ٤/ ١٠٩، المكتبة الإسلامية، ديار بكر)

* عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «سَمع النّبيّ صلى الله عليه وآله رجلاً يقرأ في المسجد فقال: رَحِمَه الله، أذكَرَني كذا وكذا آية أسقطتُها في سورة كذا وكذا». (صحيح البخاري: ٧/ ١٥٣، دار الفكر، بيروت ١٩٨١م؛ عنه البيهقي في السّنن: ٣/ ١٢، دار الفكر؛ وغيرهما)

* عن عائشة: «إنَّ أبا بكر دخل عليها والنّبيّ عندها يوم فطرٍ أو أضحى، وعندها مغنِّيتان تُغنِّيان بِما تقاذفت الأنصار يوم بغاث، فقال أبو بكر: مزمار الشّيطان؟! (مرّتين قالها) فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: دعهما يا أبا بكر، إنَّ لكلِّ قومٍ عيداً وإنَّ عيدَنا هذا اليوم». (صحيح البخاري: ٤/ ٢٦٦، دار الفكر، بيروت ١٩٨١م)

ولو تتبَّعنا بقيّة الأحاديث لَطالَ بنا المقام، ونحن هنا لا نريد أنْ نناقش كلَّ حديثٍ بمفرده، سواء من ناحية سَنَده، أو من ناحية مخالفته لأحاديث أُخَرَ تنقلها هذه الصِّحاح في ما يَرتبط بسيرة الرّسول صلى الله عليه وآله.

إلّا إنّنا ومن النّظرة الأولى نستطيع أن نرى أنَّ هذه الأحاديث لا تليق في مؤدِّياتها بأيِّ مؤمنٍ عاديٍّ فضلاً عن سيِّد الخَلْق، وأفضل

الأنبياء، وأكمل المرسلين، و«أديب الله». فلو لم تَرِد هذه الأحاديث في (الصّحاح)، وأغفلنا الإسم المذكور فيها، ثمّ عرضناها على علماء المسلمين على أنّها وقائع حياة عالمٍ من العلماء، فإنّهم لا شكّ يتنفّرون منه، ويتقزّزون!!

ثمّ إنّنا في مسألة اللّعن لا نستطيع أن نقبل ذلك من شخصٍ عاديٍّ، لأنّ اللّعن من دون استحقاقٍ والسّبّ والشّتم هكذا عبثاً خلاف العدالة والأخلاق، فكيف نقبله من الرّسول وهو الّذي أُثِرَ عنه أنّه لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً، حتّى في مقابل اليهود الّذين كانوا يَشتمونه ويَدعون عليه بالموت، ولا في مقابل الكفّار في غزوة أُحُد، لأنّه لم يُبعَث لعّاناً وإنّما بُعِثَ رحمةً للعالمين، فكيف يقوم، والحال هذه، بِلَعنِ أشخاصٍ من المسلمين من دون استحقاقٍ؟!

وشخصٌ يَلعنُ عبثاً، ويَسبُّ، ويَجلدُ، ويَخضعُ لعواطفه ومشاعره في ما يرتبط بعقوبات النّاس من دون دليلٍ ولا جنايةٍ، كيف يؤتَمَن على كلام الله وعلى تطبيق أحكامه؟!

جواب هذا السُّؤال في الحديث الثّاني الّذي يرى أنّ الرسول ﷺ يَنسى، ويُسقِط آياتٍ من القرآن من السُّوَر!!

وقد تحوّلت هذه المسائل في جهتَين: الأولى أنّها توسّعَت لتشمل بقيّة الأنبياء عليهم السلام، والثّانية أنّها تبلوَرَت في صورة عقيدة، بعد أن كانت (أخباراً). قال ابن ابي الحديد ما خلاصته : «قال قومٌ من الخوارج «..» ومن الأشعريّة إنّه يجوز بعثةُ مَن كان كافراً..»!

وقال ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء): «فذَهَب طائفةٌ إلى أنّ رُسُلَ الله يعصون في جميع الكبائر والصّغائر حاشا الكذب في التّبليغ فقط «..» وأنّ كلّ ذنبٍ دَقّ أو جَلّ فإنّه جائزٌ على الرّسول حاشا الكذب في التّبليغ فقط، وقال [بعضهم]: جائزٌ عليهم أن يكفروا!! وقال: إذا نهى النّبيُّ عن شيءٍ ثمّ فَعَلَهُ، فليس دليلاً على أنّ ذلك النّهي قد نُسِخَ لأنّه قد فعله عاصياً لله تعالى!! وليس لأصحابه أن يُنكروا عليه، وجوّز أن يكون في أمّةٍ محمّدٍ مَن هو أفضل من محمّد ﷺ منذ بُعِث إلى أنْ مات»!! ونوجّه القارئ الكريم إلى أنّ هؤلاء القائلين: من «المسلمين»! لِكيلا يشتبه عليه الأمر.

ونحن هنا لا نريد أن نناقش المسألة عقيديّاً، لإبطالها، إنّما كنّا في صددِ بيانِ شيء مِن تعامل خطّ التّقصير مع الأنبياء عليهم السلام

> **يبقى الغلوّ محصوراً في فئةٍ قليلةٍ معزولةٍ يَسهلُ رصدُ فكرِها ومواجهتُه لأنّه يخالف مسلّمات المسلمين. أمّا التّقصير فيشكّل خطراً على صعيد الجمهور، وهو يُشبه الدّاء الدّفين الّذي يصعب رصدُه وهو يَفتكُ بجسد المجتمع.**

وسيّدهم رسول الله ﷺ ثمّ يهون عليك معرفة نظرهم في الأوصياء والأئمّة عليهم السلام.

دوافع التّقصير

أ- **المعرفة النّاقصة**: المعرفة النّاقصة بشأن الرّسول أو المعصوم، تجعل هؤلاء المفرطين يغلّبون الجانب البشريّ الى الحدّ الّذي ينعدم فيه تأثير الجانب الرّساليّ (الوحي) في شخصيّة المعصوم.

إنّهم يتصوّرون أنّ النّبوّة أوالإمامة لباسٌ يلبسُه صاحبه في أوقات الدّوام ليُعرَف من أيّ صنفٍ هو، أو وظيفةٌ يؤدّيها كما يؤدّيها غيرُه لو كان هناك غيره، وأنّه لا ميزة له إطلاقاً و«أنّ الرّسول ما هو إلّا مجرّد وسيلة لا غاية، فضلُه من الوَحي، ومآثرُه من الرّسالة، وعظمتُه في الجهاد، وقدوتُه في الأخلاق مثل أيّ قائدٍ أو زعيمٍ؛ فاختيارُه للرّسالة ليس ميزةً لِشخصه، بل لأنّ الرّسالة لا بدّ أن تُبلّغ من خلال رسولٍ تتوفّر فيه شروطُ الأداء والتّبليغ، والتّركيز على الاختيار والاصطفاء ليس من الوحي في شيءٍ، وهو أقرب إلى الاصطفاء اليهوديّ، والوحي يرمي إلى ما بعد الاختيار وهو التّبليغ، وليس إلى اختيار الشّخص ذاته»، كما يقول الدّكتور حسن حنفي في كتابه (من العقيدة إلى الثّورة).

يضيف حنفي معبّراً عن رأي هذا الخطّ في ما يرتبط بالرّسول: «وإنّ إثبات أنّ الرّسول خاتم الأنبياء والمُرسَلين لا يعني أيضا تركيزاً على فضائل شخص، أوعلى مزايا فرديّة لأحد، بل يعني أنّ النّبوّة قد انتهت، وأنّ الإنسانَ قد استقلّ».

هذه النّظريّة تتجاوز الكثير من حقائق التّاريخ وثوابت العقيدة،

ويَتجلّى فيها نقصُ المعرفة الّذي يؤدّي إلى تضخيم الجانب البشريّ، وإلغاء جانب الوحي والرّعاية الإلهيّة بالتّدريج.

إنَّ اختيارَ محمّدٍ ﷺ لأداء الرّسالة ميزةٌ مهمّةٌ لِشخصه، لأنَّه كان أفضل خَلقِ الله لأداء هذه الرّسالة وتبليغها، ولو كان في خَلْقِ الله من أوّل الخلق إلى قيام السّاعة أفضل منه، لكان هو الّذي يتحمّل مسؤوليّة تبليغ الرّسالة. وكونه خاتماً للنبيّين يعني، إضافةً إلى خَتمِه للنّبوّات والرّسالات، خَتمِه للفضائل.

إنّنا نجد أنفسَنا أمام منطقٍ متميّزٍ عندما يُخاطب اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه محمّداً ﷺ، فهذا النّبيّ الّذي أدّبه اللهُ حتّى بلغَ مبلغاً قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤ آنئذٍ أعطاه سِمَةً لم يتحدَّث عنها القرآن لِأحدٍ من النّبيّين حينما قال مخاطباً البشر -والمسلمين خصوصاً- ﴿..وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟..﴾ الحشر:٧، بل أدّب المسلمين بأدبٍ خاصٍّ مع الرّسول، إنّه أمَرَهُم بالصّلاة عليه، لأنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلُّون عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:٥٦، ووَضَع مجموعة قوانين وآداب، تحدَّثت عنها سورة «الحُجُرات». وهذا لم يتمّ إلّا بعد أن تهيَّأ الرّسول ﷺ بعونِ الله إلى المقام الّذي أُريدَ له، فمنذ البدايات كان يتقلَّب في السّاجدين بنصّ القرآن الكريم.

لقد كان الأنبياء والأوصياء بَشَراً، وهذا صحيح، ولكن بشر «أعلى في الصّفات» بحيث يستطيعون أن يصبحوا «**مَحالّ معرفة الله، ومساكنَ بركةِ الله، ومعادنَ حكمةِ الله، وحَفَظَةَ سرِّ الله**». ميزتُهم لم تكن في الصّفات الجسميّة الخارجيّة، والتّركيبُ البدنيّ، وخطأُ مُعاصريهم -وربّما مَن جاء بعدَهم أيضاً- أنّهم أرادوا أن يكون هناك علامات فارقة تدلّ على نبوّة هؤلاء وإمامة أولئك: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ..﴾ الفرقان:٧، أرادوا ملَكاً يمشي على الأرض، بينما ميزتهم كانت في صفاتهم النّفسيّة، في علمهم، وحِلمهم، وقدرتهم القياديّة، في عمق إيمانهم بالله، وإخلاصهم لِدِينه.

ب- العامل السّياسيّ: النّاظر بعمقٍ يلاحظ بوضوحٍ آثارَ العامل السّياسيّ في تشكيل هذه النّظرة ونشرها بين المسلمين. ذلك أنّ إظهار الأنبياء والمعصومين -والعياذ بالله- بمظهرِ المتساهلين والبشر الّذين ينساقون وراء عواطفهم وانفعالاتهم، يُسهِّل على الحكّام الّذين يريدون الاستمرار في طريق العبث، الإغراق في فِسقهم وشهواتهم.

ومن المعلوم أنَّ مرتكَزَ المسلمين قائمٌ على أنَّ المخالفات الدّينيّة وتَجاوز الأحكام والتّشريعات، لا تنسجم مع مقام الزّعامة الدّينيّة و«خلافة المسلمين»، ونظراً لِكَون هؤلاء الزّعماء قد مَرَدُوا على الانحراف، لذلك لا بدَّ من مخرج، وأفضلُ مخرجٍ ادّعاء تلك الأعمال -بنسبةٍ مّا- للرّسول ﷺ والتّأكيد عليها، ليُصبح القيام بها من قِبَل الخليفة والحاكم امراً معقولاً.

ج- أفكار الخارج: شجَّع المستشرقون هذا التّوجّه في كتابة السّيرة وفي عرضِ شخصيّة الرّسول ﷺ، سواء منهم المُنصفون أو المُغرِضون؛ أمّا المغرضون فالسّبب واضح، وأمّا المُنصفون فلأنّ التّركيبة الثّقافيّة الّتي ينطلقون منها، تركيبةٌ ماديّةٌ لا تستطيع أن تفهم كامل العوامل الغيبيّة، ولا تستطيع إدراك شخصيّة الرّسول بالتّالي.

والملاحظ أنّهم يتعاملون مع الرّسول ﷺ من خارج الدّائرة الّتي وَضَعه اللهُ تعالى فيها، لذلك فإنّ تحليلاتهم تُبنى على هذا الأساس، خصوصاً أنّهم ينطلقون من واقع تهميش الدِّين المسيحيّ في حياتهم، وإلغاء دور السّيّد المسيح عليه السلام.

وفي المحصّلة، يمكنُ القول: بقدر ما يشكِّل الغلوّ من خطرٍ حقيقيٍ -عموديّاً- على صفاء العقيدة وسلامتِها، فإنَّ التّقصير يشكِّل خطراً آخَر -أفقيّاً- على صعيد الجمهور والنّاس، بل ربّما قيل بأنَّ التّقصير، ولأنّه يتحرّك في مساحةٍ واسعةٍ عند النّاس (بينما يبقى الغلوّ محصوراً في فئةٍ قليلةٍ معزولةٍ يَسهلُ رصدُ فكرِها ومواجهتُه لأنّه يخالف مسلّمات المسلمين) فإنّه يُشبه الدّاء الدّفين الّذي يصعب رصدُه وهو يَفتكُ بالجسم. هذا إضافة إلى كونه قريباً من النّفس السّقيمة، ومُحبَّباً إليها، كونه يغذّي في الإنسان مشاعرَ الغرور، وأنّه يُشبهُ الرُّسل والأوصياء تماماً [فَهُم بشرٌ مثله]، وعندما يتنازل تحت ضغط نقاط ضعفه فيُذنب، يجد «العزاء» -في هذه النّظرة- أنَّ الرُّسل أيضاً خضعوا لنقاط ضَعفِهم!! وبالله المستعان.

الصّحابيّ القائد الشّهيد حُجر بن عَدِيّ الكنديّ

يومُ معاوِيةَ والتّكفيريّين منه طويل..

إعداد: سليمان بيضون

*** من كبار عباد الصّحابة ورؤوس التّابعين، ومن خُلّص حَواريّي أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام.**

*** صحابيٌّ، قائد طليعيّ شارك في الفتح الإسلاميّ لبلاد فارس، وكان أوّل مَن وطأتْ قدماه أرضَ الشّام من جيش المسلمين، ومن قادة معسكر الحقّ في الجمل وصفّين والنّهروان.**

***قال ابنُ سيرين: «بلغَنا أنّ معاوية لمّا حضرَتْه الوفاةُ جعلَ يقول: يومي منكَ يا حجرُ طويل»!**

(ابن الأثير، الكامل: ج ٣/ ص ٤٨٨)

حُجْرُ بنُ عَدِيّ بنِ معاوية بن جبلة بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكِنديّ، المعروف بحُجر بن الأدبر، وحُجر الخير. قبيلته «كِنْدة» من كبريات قبائل العرب، كانت لها دولة في اليمن، ثمّ في الحجاز، توطّنت بطونٌ منها في الكوفة زمنَ الفتوحات الإسلاميّة، فكان حُجْر من زعماء قومه فيها.

مولده وأسرته

لم يذكر المؤرّخون عام ولادة حُجْر بن عدي، لكنّه كان شابّاً حينما وفد على النّبيّ صلى الله عليه وآله يعلن إسلامه بعد فتح مكّة. قال ابن سعد في (الطّبقات): «ذكر بعض رواة العلم أنّه وفد إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله مع أخيه هانئ بن عديّ». وقال ابن عبد البرّ في (الاستيعاب): «وكان حُجْر من فضلاء الصّحابة وصَغُر سنُّه عن كبارهم..».

وفي (الإصابة) لابن حجر: «وكان لِحُجْر بن عديّ ولدان: عبد الله، وعبد الرّحمن، قُتلا مع المختار، لمّا غلب عليه مصعب».

وقد انفرد المرزبانيّ الخراسانيّ في (مختصر أخبار شعراء الشّيعة) بذكر ولدٍ لِحُجْر قدّمه ليُقتَل أمامه خشية أن يرجع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام إذا ما سَبقه إلى القتل.

بعض عبادته

عُرف حُجْر بن عديّ بكثرة العبادة، واشتُهر ذلك عنه حتّى قيل إنّه «راهب أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله»، ويكفيه شهادةً في هذا الباب وصفُ سيّد الشّهداء عليه السلام له ولأصحابه في رسالته الّتي بَعَثَ بها إلى معاوية يُنكر عليه قتله إيّاهم أنّهم من «المُخبّتين»، أي الخاشعين، وقد رُوي أنّه كان كثير الصّلاة والصّيام، وأنّه ما أحدث إلّا توضّأ، وما توضّأ إلّا صلّى، ولم يفارقه هذا الالتزام حتّى قُبيل استشهاده حينما دعا بماءٍ فتوضّأ وصلّى ركعتين، ثمّ

الضريح قبل أن تمتدّ إليه أيدي الغدر

قال: «لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببتُ أن يكونا أنفسَ ممّا كانتا». وقال عنه المؤرّخون «إنّه كان صاحب كرامة واستجابة دعاء». ووصفه الشّيخ الطّوسيّ بأنّه «كان من الأبدال»، وهم «قومٌ من الصّالحين لا تخلو الدّنيا منهم، إذا مات واحدٌ أبدَل الله مكانه آخَر» كما في (مجمع البحرين) للطُّريحيّ.

مواقفه الجهاديّة

لم يرِد من مواقف حُجْر بن عديّ ومشاركته في الحياة العامة قبل «خلافة» الإمام علي عليه السلام إلّا بعض المقتطفات. فقد ذكر المؤرّخون أنّه شارك في حركة الفتح الّتي ذهبت للشّام، وأنّه هو الّذي فتح «مرج عذراء»، -كما صرّح هو نفسه- وأنّه قد شارك في معركة القادسيّة، وكان من الّذين كتبوا إلى عثمان من الكوفة ينصحونه، وأنّه من الّذين شهدوا موت أبي ذرّ في الرّبذة.

وأمّا في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان حُجْر من الجنود المخلصين في كلّ المعارك في مواجهة المتمرّدين من النّاكثين، والقاسطين، والمارقين.

في معركة الجمل

يظهر من التّاريخ أنّ حُجْراً لم يكن جنديّاً عاديّاً فيها، وإنّما كان مقاتلاً أميراً، وقائداً لبعض الفِرَق، فإنّه كان من شيوخ الشّيعة في الكوفة، وزعيماً من زعماء كندة. وحين قدم الإمام الحسن عليه السلام الكوفة داعياً أهلها لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام، قام وجوهُها الموالون يحرّضون النّاس على الاستجابة له؛ قال ابن الأثير: «.. وقام حُجْر بن عديّ فقال: أيّها النّاس، أجيبوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقالاً، مُرّوا وأنّا أوّلكم. فأذعن النّاس للمسير..».

في صفّين

حين استشار أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في حرب معاوية قاموا واحداً بعد الآخر يبذلون الطّاعة والنّصرة. ومن هؤلاء حُجْر؛ جاء في (وقعة صفّين) لنصر بن مزاحم: «ثمّ قام حُجرٌ فقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب، وأهلُها الّذين نُلْقِحُها ونُنتِجُها، وقد ضاربتْنا وضاربناها، ولنا أعوانٌ ذوُو صلاح، وعشيرةٌ ذات عدد ورأي بحربٍ وبأسٍ محمود، وأَزِمّتُنا منقادةٌ لك بالسّمع والطّاعة، فإنْ شرّقتَ شرّقْنا، وإنْ غرّبتَ غرّبْنا، وما أمرتَنا به من أمرٍ فعلناه».

في سائر الحروب

لم نجد تفاصيل لمشاركته في حرب الخوارج وإن كان من قادة جيش الإمام عليه السلام فيها. فقد ذكر ابن عبد البرّ في (الاستيعاب): «كان حُجر من فُضلاء الصّحابة.. وكان على الميسرة يوم النّهروان». وأمّا مواقفه الجهاديّة الأخرى، ففي أواخر حياة الأمير عليه السلام، كانت غارة سفيان بن عوف الغامديّ على الأنبار من قبل معاوية، وقد تقاعس النّاس وتكاسلوا عن الاستجابة للإمام والتّهيّؤ لمحاربة معاوية، إلّا أنّ حُجْراً وبعض المخلصين وقفوا موقف الولاء الحقّ. أورد الشّيخ الطّوسيّ في (أماليه): «فقام حُجْر بن عديّ الكنديّ وسعيد بن قيس الهمدانيّ، فقالا: لا يسوؤك اللهُ يا أميرَ المؤمنين، مُرنا بأمرك نتّبعه، فوَاللهِ ما نُعظم جزَعاً على أموالنا إن نفِدت، ولا على عشائرنا إن قُتلت في طاعتك، فقال لهم: **تجهّزوا للسّير إلى عدّونا**».

عند شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

كان حُجْر مِمّن حضر في مسجد الكوفة بعدما ضرب اللّعين ابن ملجم أميرَ المؤمنين عليه السلام على رأسه بالسّيف، وكان قد أدرك المؤامرة قبل وقوعها ولم يمكنه الحؤول دون ذلك لسبق القدَر. قال الشّيخ المفيد في (الإرشاد): «وكان حُجْر بن عديّ -رحمة الله عليه- في تلك اللّيلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث [بن قيس] يقول لابن ملجم: «النّجاء النّجاء لحاجتك فقد فَضَحَك الصّبح»، فأحسّ حُجْر بما أراد الأشعث، فقال له: قتلتَه يا أعور. وخرج مبادراً ليمضيَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويخبره الخبر، ويحذِّره من القوم، وخالفه [فاتَه] أميرُ المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم فضربه بالسّيف، وأقبل حُجر والنّاس يقولون: قُتل أميرُ المؤمنين، قُتل أمير المؤمنين».

ونقل العلّامة المجلسيّ في (بحار الأنوار): «أنّ الإمام عليه السلام لمّا ضربه ابنُ ملجم، دخل النّاس عليه، فقال: **أيّها النّاس سَلوني قبل أن تفقدوني، وخفِّفوا سؤالكم لِمصيبة إمامكم**. قال الرّاوي: فبكى النّاس عند ذلك بُكاءً شديداً وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حُجْر بن عديّ الطّائي، فقال أبياتاً مطلعُها:

فيا أسفي على المولى التّقيّ ... أبي الأطهار حيدرةِ الزّكيّ
قَتَله كافرٌ حِنثٌ زنيمٌ ... لعينٌ فاسقٌ نغلٌ شقيّ

فلمّا بَصر به وسَمع شِعرَه، قال له: **كيف بك إذا دُعيتَ إلى البراءة منّي فما عساك أن تقول؟** فقال: واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو قُطّعت بالسّيف إرباً إرباً، وأُضرمَ لي النّار وأُلقيتُ فيها، لآثرتُ ذلك على البراءة منك، فقال عليه السلام: **وُفّقتَ لكلّ خير يا حُجر، جزاك اللهُ خيراً عن أهل بيت نبيّك**».

مع الإمام الحسن عليه السلام

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ظلّ حُجْر بن عديّ وفيّاً للنّهج العلويّ، فكان من أركان جيش الإمام الحسن عليه السلام في مسيره لقتال معاوية. قال أبو الفرج الأصفهانيّ في (مقاتل الطالبيّين): «فاجتمَعَت العساكر إلى معاوية بن أبي سفيان، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسنَ خبرُ سَيْره، وأنّه بلَغ جسر منبِج، فتحرّك لذلك، وبعث حُجْرَ بن عديّ يأمر العمّال والنّاس بالتّهيّؤ للمسير..».

وبعد الصّلح كان لحُجْر وبعض الأصحاب مواقفُ مع الإمام الحسن عليه السلام يظهر منها الألمُ الشّديد لِما صارت إليه الأمور، فلمّا خلا به الإمام الحسن عليه السلام، قال له: «**يا حُجْر!** «..» **ليس كلُّ إنسانٍ يحبّ ما تحبّ، ولا رأيُه كرأيك، وإنّي لم أفعل ما فعلتُ إلّا إبقاءً عليكم، والله تعالى كلّ يوم هو في شأن**».

حُجْر ومعاوية

بعد أنِ استتبّ الأمرُ لمعاوية بعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام، أرسلَ وُلاته إلى الأمصار لينفّذوا سياساته التي عبّر عنها بقوله: «إنّما قاتلتُكم لأتأمّر عليكم». وكان من موجبات هذا التّأمّر أنْ يسعى لِطمسِ كلّ ما يمثّل حقيقة الدّين ويفضح جاهليّته الأمويّة؛ فولّى على الكوفة المغيرة بن شعبة وأوصاه بأشياء، أبرزها أن لا يدَعْ سبّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر، فقد روى الطّبريّ في (تاريخه): «أنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا وَلّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١، دعاه ثمّ قال: «..» وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركُها اعتماداً على بصرك بما يُرضيني ويُسعد سلطاني، ويصلح به رعيّتي، ولستُ تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تَتَحَمَّ عن شتمِ عليّ، وذمّه، والتّرحُّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم..».

ولكنّ حُجْراً لم يكن ليَسكت عن ذلك، فكان كلّما سمع المغيرة يسبّ أمير المؤمنين عليه السلام قام معترضاً، وقال: «بل إيّاكم فذمّمَ (فذمَّ) اللهُ ولعَن «..» وأنا أشهدُ أنّ مَن تذمّون وتُعيّرون لأَحقُّ بالفضل، وأنّ من تُزكّونه وتُطرونه أولى بالذّمّ». فيقول له المغيرة: «يا حُجْر! وَيْحَك، اتّقِ السّلطان، اتّق غضبَه وسطوته، فإنّ غضبةَ السّلطان أحياناً ممّا يُهلك أمثالَك كثيراً».

ولمّا مات المغيرة عيّن معاوية زيادَ ابن أبيه على الكوفة، بالإضافة إلى ولايته على البصرة، وقد حاول زياد، بدايةً، استمالة حُجْر ليثنيَه عن مواقفه المعترضة على سياسات معاوية، ملوّحاً له بالتّهديد من عاقبة استمراره في المعارضة، فأرسل إليه وقال له: «قد بَلَغني ما كنتَ تفعله بالمغيرة، فيحمله منك، وإنّي واللهِ لا أحتملك على مثل ذلك أبداً».

ولكنّ حُجْراً لم يَستسلم، ولم يَسكت، وسار بسيرته الّتي كانت في زمن المُغيرة، ويذكر الطّبريّ موقفاً لِحُجْر كان من أوثقِ أسباب نقمة زياد عليه، يقول: «خَطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصّلاة، فقال له حُجْر بن عديّ: الصّلاة. فمضى في خطبته. ثمّ قال: الصّلاة. فمضى في خطبته. فلمّا خشي حُجْرٌ فَوْتَ الصّلاة ضرب بيده إلى كفٍّ من الحصى وثار إلى الصّلاة وثار النّاسُ معه، فلمّا رأى ذلك زيادٌ نزل فصلّى بالنّاس، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثّرَ عليه».

قفص الضّريح مهشّماً

فكتب معاوية إلى زياد أن يرسل إليه حُجْراً مع جماعته مقيَّدين ليرى رأيه فيهم، ولمّا حضرت الشُّرَط (أي رجال الشرطة) لـتنفيذ المهمّة وقعت مواجهة بينهم وبين أصحاب حُجْر، ولجأ زياد إلى أعيان الكوفة طالباً منهم أن يخذّلوا أولادهم عن نصرة حُجْر ففعلوا، فلمّا رأى حُجْرٌ ما آلت إليه الأمور، آثر أن يسلّم نفسه رفقاً بأصحابه مشترطاً لذلك أن يعطيه زياد الأمان ويحمله إلى معاوية، وهكذا كان، فقد جيء بِحُجْر إلى قصر زياد فحَبَسه، وتتّبع رؤوس أصحابه حتّى وقع بيده منهم اثنا عشر رجلاً.

شهادة الزّور

ثمّ أراد زياد أن يحمل إلى معاوية مع حُجْر وأصحابه ما يكفي لإدانتهم بما يوجب لهم القتل، فبعث إلى رؤوس الأرباع –وهم زعماء المناطق الأربع في الكوفة– وطَلَب منهم أن يَشهدوا على حُجْر بما رأوه، فشهدوا أنّه «جَمَع إليه الجموع، وأظهر شتمَ الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزَعم أنّ هذا الأمر –الخلافة– لا يصلح إلّا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عُذر أبي تراب والتّرحُّمَ عليه، والبراءةَ من عدوّه وأهل حربه، وأنّ هؤلاء الّذين معه رؤوسُ أصحابه، وعلى مِثل رأيِه وأمرِه..».

لكنّ زياداً لم يجد في هذه الشّهادة، وفي عدد الشّهود ما يكفي لتحقيق مُراده من الانتقام من حُجْر وأصحابه، وأراد أن يذكر في متن الشّهادة بعض الأسباب الّتي تسوّغ لمعاوية أمام الرّأي العامّ قتلهم، فأمر بوضع شهادة تبرّع بنَصّها أبو بردة بن أبي موسى الأشعريّ –وكان زعيم ربع مِذحج وأسد– جاء فيها: «أنّ حُجْر بن عديّ خَلع الطّاعة، وفارق الجماعة، ولَعَن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجَمَع إليه الجموع يدعوهم إلى نَكْثِ البَيعة وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية، وكفر باللهِ كفرةً صلعاء». وشهد مع

أبي بردة رؤوس الأرباع الباقون، ثمّ طلب زياد من النّاس تأييد هذه الشّهادة، قائلاً: «أما والله لأجهدنّ على قطع عُنق الخائن الأحمق».

مرج عذراء

دفع زيادُ حُجْرَ بن عديّ وأصحابه إلى قائدَين من جنده هما وائل بن حجر الحضرميّ، وكثير بن شهاب، وأمَرَهُما أن يسيرا بهم إلى الشّام، وبعث معهما إلى معاوية كتاباً، جاء فيه: «إنّ طواغيتَ من هذه **التّرابيّة السّبائيّة** رأسُهم حجر بن عديّ خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونَصَبوا لنا الحرب، فأظهرَنا اللهُ عليهم وأمْكَنَنا منهم، وقد دعوتُ خيارَ أهل المصر وأشرافَهم وذوي السّنّ والدِّين منهم فشهدوا عليهم بما رأَوا وعملوا».

فساروا حتّى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق، ولمّا عَلِمَ معاوية بوصولهم، بعث إلى قائدَي الرَّكب أن يأتيا إليه، فقرأ رسالة زياد ثمّ استَشارَ بعض حاشيته حول الموقف الّذي ينبغي اتّخاذه من حُجْر وجماعته، فأشار عليه البعض بِنَفْيِهم إلى بعض قرى الشّام، فتردّد معاوية في قتلهم، فكتب إلى زياد رسالة نصّها: «أمّا بعد، فقد فهمتُ ما اقتصصتَ به من أمرِ حُجْر وأصحابه وشهادة مَن قِبَلك عليهم فنظرتُ في ذلك، فأحياناً أرى قتلَهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفوَ عنهم أفضل من قتلهم، والسّلام». فكتب إليه زياد: «أمّا بعد، فقد قرأتُ كتابك، وفهمتُ رأيَكَ في حُجْر وأصحابه، فعجبتُ لِاشتباهِ الأمر عليك فيهم، وقد شَهِدَ عليهم بما قد سمعت مَن هو أعلم بهم، فإن كانت بك حاجة في هذا المصر -الكوفة- فلا تردّنّ حُجْراً وأصحابه إليّ».

فعَزَمَ حينئذٍ معاوية على قتلهم، يقول الطّبريّ: «حينما قدموا إلى مرج عذراء، قال لهم رسولُ معاوية: إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللّعن له، فإنْ فعلتم تركناكُم، وإن أَبَيْتُم قتلناكُم، فابرؤوا من هذا الرَّجل نُخْلِ سبيلَكم. قالوا: اللّهمّ إنّا لسنا فاعلي ذلك».

وجاء في (مروج الذّهب) للمسعوديّ: «فلمّا وصل إليهم -رسول معاوية- قال لحجر: إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضّلال ومعدن الكفر والطّغيان والمتولّي لأبي تراب، وقَتْلِ أصحابك إلّا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرّؤوا منه. فقال حُجْر وجماعتُه ممّن كان معه: إنّ الصّبر على حدّ السّيف لأَيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ المَقدَمُ على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النّار».

الشّهادة

قال ابن الأثير في (الكامل): «وقام حُجْر وأصحابُه يصلُّون عامّة اللّيل، فلمّا كان الغد قدّموهم ليقتلوهم، فقال لهم حُجْر بن عديّ: اتركوني أتوضّأ وأصلّي، فإنّي ما توضّأت إلّا صلّيت، فتركوه فصلّى، ثمّ انصرف منها، وقال: واللهِ ما صلّيتُ صلاةً قطّ أخفّ منها، ولولا أن تظنّوا فيّ جَزَعاً من الموت لاستكثرتُ منها، ثمّ قال: أللّهمّ إنّا نَستعديك على أمّتنا، فإنّ أهل الكوفة شَهدوا علينا، وإنّ أهل الشّام يَقتلوننا، أما واللهِ لئن قتلتموني بها فإنّي لأَوّلُ فارس من المسلمين هلّلَ في واديها، وأوّلُ رجلٍ من المسلمين نبحَته كلابُها».

...وبعد الاعتداء الأثم

وقال ابن عبد البرّ: «ثمّ قال لَمَن حضرَ من أهله: لا تنزعوا عنّي حديداً ولا تغسلوا عنّي دماً، فإنّي لاقٍ معاوية على الجادّة [يريدُ الصّراط يوم القيامة]». وفي (الغارات) للثّقفيّ أنّ معاوية لما قدم المدينة دخل على عائشة فعابت عليه قتل حُجر، وكانت أرسلت إليه من قبلُ تحذّره من قتله وأصحابه، فقال لها: «دعيني وحجراً حتّى نلتقي عند ربّنا».

وهكذا كانت شهادة حجرٍ رضوان الله عليه سنة ٥١ للهجرة، فقد قُتل مع ستّة من أصحابه بعد أن كان توسّط للآخرين قومُهم عند معاوية فأطلقهم. وصار حُجْرُ بن عديّ وأصحابه رمزاً للولاء الصّادق، وغَدَت قبورُهم معلمَ إدانةٍ لمعاوية والنّهج الأمويّ المنقلب على الأعقاب. لذلك ما إن قُيّض لأحفاد أبي سفيان ودَعِيّه زياد أن تكون لهم قدرةٌ على النّيل من حُجْر، ولو بعد مقتله بقرونٍ، حتّى نبشوا قبره تصريحاً بعدائهم لنهج أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وحقداً على رسول الله صلى الله عليه وآله.

الأديان والسّلام العالميّ
الإيمان كشَرطٍ لحوارٍ خلّاق

كريم عبد الرّحمن*

تبدو الحياة الإنسانيّة اليوم بحاجة إلى آفاق واسعة من المبادئ، تستمدّ رحمانيّتها من الإيمان بالله الواحد الأحد. وأيّاً تكُن الاجتهادات في هذا المجال، فالدّيانات قادرة بلا شكّ على توفير المصادر الضّروريّة لصياغة عالميّة جديدة بالتّعاون المستمرّ بين أتباعها، حتّى في ظلّ الانقسام والصّراع والعنف والتّعصُّب. كذلك بإمكانها تقديم رؤية شاملة أو ربّما عالميّة، تؤكّد الحاجةَ للتّضامن الإنسانيّ ومواجهة مواقف الانقسام. وإذا ما توافرت إمكانيّة واقعيّة لصياغة أخلاق عالميّة جديدة، يتوجّب على عالم الإيمان أن يلتمس التّحديات الدّاخليّة الجوهريّة.

وبهذا يستطيع المسلمون والمسيحيّون الوصول إلى وفاقٍ فكريٍّ استراتيجيٍّ، ينبني على احترام التّغاير في التّعبير عن الإيمان، وصولاً الى بلورة منظومة قِيَمِيّة إيمانيّة تُفضي إلى حلّ إشكالات النّظام العالميّ الرّاهنة.

وبما أنَّ إجراءات هذا العمل لم تُنجَز بعد، فبالإمكان وضع تصوُّر إجماليّ يستند إلى مفهومَين دينيَّين أساسيَّين: الأوّل هو التّوحيد، والثّاني هو الخلافة، وهما معاً يمثّلان جوهر صلة العبد بربِّه. ولأنَّ الله منح الإنسان الخلافة، فعلى الإنسان بالمقابل أن يشتغل في قوله وسلوكه وسيره على مستوى الصّفات الّتي ينسبها الله لذاته. وهذان المفهومان، التّوحيد والاستخلاف، يشكّلان أساساً لرؤيةٍ تؤدّي مباشرة إلى استعادة التّوازن لكافّة أبعاد الحياة «لعيال الله». وفي الواقع فإنَّ نقد الإسلام في بدايته الأولى للمجتمع المكّيّ المُضطرب قيمياً وأخلاقياً وإيمانياً، قابل لأن يسري اليوم على حاضر النّظام العالميّ الرّاهن.

يعزّز مفهوما التّوحيد والخلافة رؤية يمكن ترجمتُها إلى نظامٍ لترتيب الشُّؤون الإنسانيّة المتمركزة على إنجاز العدالة العالميّة، وذلك بإيجاد توازن بين الحاجات الشّرعيّة والطموحات الفرديّة والاجتماعيّة، وكذلك إلى مسؤوليّة متبادلة بين العبد وخالقه في إطارٍ مقدَّسٍ ومُتَسامٍ. فعلى صعيد الاقتصاد العالميّ، مثلاً، يقدِّم مفهوما التّوحيد والخلافة البديل للتّوجّه الإنسانيّ النّزعة والعقلانيّ المرجعيّة. ويتضمَّن التّوحيد في هذا السّياق الامتلاك المطلَق لكلّ الثّروات، أمّا الاستخلاف فيدلّ على حرّيّة التّملّك والتّجارة كعهدة من الله. وتسعى هذه الرّؤية الاقتصاديّة إلى تحقيق المساواة القائمة على أساس الإيمان بأنَّ جميع البشر يمتلكون حقوقاً متساوية في الحياة الكريمة، حيث تُجمع الثّروة دون الإضرار بالآخرين وتُستخدم في مساعدتهم.

وإذا كان بإمكان الأديان أن تنشئ إطاراً نظريّاً للسِّلم العالميّ بين الحضارات والثّقافات، فمثل هذه الإمكانيّة لا تني، وستبقى لأمدٍ غير منظور، تحت طائلة الامتناع عن التّحوّل إلى حقيقةٍ واقعيّة. وما ذاك إلّا لأنّ الأديان في تَمَوْضعها التّاريخيّ والحضاريّ لا تغادر حقول الاحتدام. فهي في قلب تلك الحقول، بل إنّها في أحوال ومطارح شتّى تبدو مولِّدة للتّصادم والاحتراب، بل عاملاً مانعاً للسّلام بين أهل الجغرافيا الواحدة.

ذلك يفترض الرُّجوع إلى العمل على مرجعيّة الإيمان بالقصد الإلهيّ من الخلق. وهنا يُطرح السُّؤال عمّا يمكن أن يكون الإيمان هو المنفسح الّذي تنمو فيه رحمانيّة اللّقاء والتّعرُّف والحوار الخلّاق.

سيبدو الجوابُ شاقّاً وعسيراً، ربّما لأمرٍ متّصلٍ بالسِّمة اللّاتاريخيّة للإيمان، وصعوبة صيرورة الإيمان حاكماً على تاريخيّة ومكانيّة الاجتماع البشريّ، ومع ذلك فإنَّ مثل هذا التّوصيف لن يؤدّي بنا إلى المستحيل. ذاك أنَّ قاعدة الإيمان في المسيحيّة كما في الإسلام، هي القاعدة الكلّيّة الّتي منها يندرج ومن ثمّة الدِّين ومثاله في عالم الإنسان، ليأخذ ظهوراته الإلهيّة في التّاريخ.

ولأنَّ ثمّة «واحديّة غير قابلة للفصل» بين الإيمان كَوَحْيٍ، والدِّين كَقانونٍ الهيٍّ ينظّم حركة الإنسان في الزّمان والمكان، فلن يستوي الحال على ثنائيّة تناقض بين طورَين لا يقوم أحدهما إلّا على نفي الآخر. بل هناك تراتب طوليّ يجري فيه نظام الدِّين في عالم الإنسان مجرى الأصالة المتّصلة بعالم الغَيب.

* المقال نقلاً عن (مركز دلتا للأبحاث)

وصيّة الشّهيد الثّاني في طلب العلوم الدّينيّة

حَذَارِ ضعف الهِمم عن مرتبة الاجتهاد، والاكتفاء بالعلوم المستحدثة

الشّهيد الثّاني قدس سره

يرى الشّهيد الثّاني زين الدّين بن عليّ بن أحمد العامليّ الجبعيّ (توفّي عام ٩٦٦ للهجرة/ ١٥٥٩م) ضرورة الاهتمام بالعلوم الدّينيّة، والوصول إلى مرتبة الاجتهاد الّتي بها يُصان الدّين، وتُحفظ الشّريعة، فنراه في (رسائله) يشحذ الهِمَم لطلب العلم، خوفاً من اندثار العلوم الدّينيّة، وإهمال التّفقّه في الدّين.

يقول الشّهيد الثّاني في أسباب قلّة المجتهدين:

«... والموجِبُ لهذِهِ الحَيرةِ ونزولِ هذه البليّةِ [عدم وجود المجتهد] إنّما هو تقاعُدُهم عن تحصيلِ الحقّ، وفُتورُ عزيمتِهم، وانحطاطُ نفوسِهم عن الغَيرةِ على صلاحِ الدّين، وتحصيلِ مداركِ اليقين، حتّى آلَ الحالُ إلى انتقاضِ هذا البناء، وفَسادِ هذه الطّريقةِ السّواءِ، واندَرَسَتْ معالمُ هذا الشّأنِ بينَ أهل الإيمان، وقَلَّتْ أو عَدِمَتْ كُتُبُ الرّجالِ والحديثِ الّتي هي أُصولُ الشّريعةِ الغَرّاء، وشرطُ التّوصّلِ إلى تلك المرتبةِ الزّهراء. حتّى أنّ الرّجلَ من فُضَلاء هذا العصرِ ربما انْقضى زمانُهُ، وفَنِيَ عمرُهُ، ومَضى دهرُهُ، وهو لم يَنْظُرْ في كتابٍ من كُتُبِ الحديثِ مثلِ (الكافي) و(التّهذيب) و(الفقيه) وغيرها، ولا سعى إلى تملُّكِهِ مع قدرته عليه، ولا رآه، بل كثيراً ما يكون شيخُه وشيخُ شيخِه بهذه المنزلة وعلى هذه الصّفة. فلو أرادَ الرّجلُ المُسْتَيْقِظُ الآن أنْ يَتَوَصّلَ إلى تحصيل هذه الأُصول لم يَكَدْ يَقْدِرُ عليها، مع الإجماع على أنّ كتابةَ هذه الأُصول ونظائرِها وحفظِها ومقابلتِها وتصحيحِها وضبطِها ونقلِها، من الواجبات الكفائيّة لتوقُّف الواجب، وهو التّفقُّهُ، عليها».

من التّقصير ينشأ القصور

«ومِن المعلوم أنّ الواجب الكفائيّ إذا لم يَقُمْ به أحد، تَوَجّبَ العِقابُ على جميع المكلّفين، وكان في ذلك كالواجب العينيّ. فأينَ القلوبُ المستَيْقِظةُ؟! وأينَ الألبابُ المتَنَبّهةُ؟! وأينَ النّفوسُ المتوجّهةُ؟! وأيْنَ الهِمَمُ العاليةُ؟! لِتَنوحَ على هذه البليّةِ، وتُكْثِرَ العويلَ على هذه الرَّزيّة، الّتي لا يَلْحَظُها إلا المتّقون، فـ: ﴿إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾.

ومن هذا التّقصيرِ نَشَأ هذا القُصُورُ، ومن هذِهِ الغَفلةِ حَدَثَ هذا الفتورُ، وانْدَرَسَتْ مَعالِمُ الشّريعة في سائر الجهات، وصارتِ المِلّةُ المصطفويّةُ في حَيّز الشّتات، وصار الأمرُ كما تَراه: يروي إنسانُ هذا الزّمانِ ما لا يَدْري معناه، ولا يَعْرِفُ مَن رَواه على نفسه، فليَبْكِ مَنْ ضاع عُمْرُه، وليس له إلّا النّدامةُ والحَسْرةُ».

خمسمائة فقيهٍ في أقلّ من عصرَين

يعقد الشّهيد الثّاني مقارنة بين عصورٍ خَلَتْ كان فيها الفقهاء من الكثرة بما لا تحصيهم الأقلام، أمّا في زمانه، فقد ندر الفقيه المجتهد لِفتور الهمّة في تحصيل العلوم الدّينيّة المتقدّمة، وقلّة التّديُّن والتّقوى؛ وفي هذا يقول:

«وقد كان الأمرُ قبلَ ذلك على حالةٍ تَضِيق الأوراقُ ببيانها، والأوقاتُ في تحقيق شأنها، حتّى أنّ رجلًا من ذُرّيّة الصّدوق ابن بابويه، هو ولد تلميذ الشّيخ أبي جعفر الطّوسيّ، قَدّسَ اللهُ سرّه، اسمُه عليّ بْنُ عُبيدِ الله بنِ الحسنِ بنِ بابويه، جَمَعَ كتاباً في أسماءِ علماءِ الشّيعة الّذين تأخّروا عن الشّيخ أبي جعفرٍ الطّوسيّ إلى زمانه، ليكون تكملةً لفهرست الشّيخ، جَمَعَ فيه ما يَزيد على خمسمائة فقيهٍ في أقلّ مِن عصرين، وأكثرُهُم أصحابُ مصنّفاتٍ عِظامٍ وعلماءُ أجِلّة أعلام. ومَن تَأمّلَ زمانَهم ووَقَفَ على سِيرهم يَعْلَمُ أنّ توفيقهم ما كان أكثرَ مِن توفيقِ أهل زماننا. وإنّما أوجَبَ التّخلُّفَ عنهم قصورُ الهمّة وعدمُ الدِّيانة، وأوجَبَ هذه البلوى قِلّةُ التّقوى. فكيف لا تَتَوجّهُ المؤاخَذَةُ، ونَسْتَحِقّ نزولَ البليّة، ونَسْتَوجِبُ بُطلانَ العِبادة؟ إنْ لم يَتَدارَكْنا اللهُ سبحانَه بفضله ورحمته وجُودِه وكرمه».

الإعراض عن العلم الدّينيّ

والاقتصار على العلوم المستحدَثة

«وأعْظَمُ مِن هذا مِحْنَةً، وأكبرُ مصيبةً، وأوجَبُ على مرتكِبِه إثماً، ما يتداوَلُه كثير من المُتّسِمينَ بالعلمِ «..» حيث يصرِفُون عمرَهُم ويَقْضون دهرَهُم في تحصيل علومٍ [لا طائلَ منها وحدَها] على وجهٍ لو صَرَفوا جزءاً منه على تحصيلِ العلمِ الدّينيّ، الّذي يَسألُهُمُ اللهُ تعالى عنه يومَ القيامةِ سؤالًا حثيثاً، ويُناقِشُهُم على التّفريط فيه نِقاشاً عظيماً، لحَصّلوا ما يجبُ عليهم من علمِ الدّين. ثمّ هم مع ذلك: ﴿...يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف ١٠٤، بل يَزْعُمونَ أنّ ما هم فيه أعظمُ فضيلةً وأتمّ نفعاً. وذلك عينُ الخِذلانِ من الله سبحانه والبُعدِ عنه. بل الانسلاخُ من الدّين رأساً أنْ يُحْيِيَ من يَزْعُمُ أنّه مِن أتْباع سيّد المرسلين محمّدٍ وآله الطّاهرين دينَ [غيره] «.. ويُهْمِلَ الدّينَ الّذي دانَ اللهُ به أهلَ الأرضِ والسّماء. نعوذ بالله من هذه الغَفلةِ ونَسألُه العفوَ والرّحمةَ».

استنهاض الهمَم

ثمّ يستنهض الشّهيد الثّاني هِمَم الطّلبةَ والعلماء فيقول:

«فاسْتَيْقِظُوا أيّها الإخوانُ من رَقْدَتِكُم، وأفِيقُوا من سَكْرَتِكُم، وتَلافُوا تَفْريطَكُم في أيّامِ هذه المُهلة قبلَ حلول المَنيّة ونزولِ البَليّة، وقبلَ أنْ تُسْألَ الإقالةُ ولاتَ حينَ مقيلٍ، وتَطْلُبون الرَّجْعةَ ولا يوجَدُ إليها سبيل، قبلَ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الزّمر: ٥٦، ٥٧.

وإيّاكم أنْ تَغُرّكم النّفسُ الأمّارةُ المُحِبّةُ للكَسَلِ والخَسارةِ، وتقولَ لكم: إذا كان في الاشتغالِ بالفقهِ هذا الخطرُ العظيمُ وأبوابُهُ مسدودَةً في هذا الزّمان، ورجالُهُ قليلة في هذا الأوان، وطُلّابه قليلة الأنصار والأعوان، وتحصيل المرتبَة الصّالحةِ قد عَزّ إليها المثال، وفي ما دونها من المرتبَة ما ذكرتَ من الأهوال، فالاشتغالُ بعبادة الله تعالى أوْلى دُنيا، وأحْرى وأحوطُ للمتّقين ديناً».

العلم هو العبادة

«ما هذه والعياذُ بالله إلّا خَطْرة رديّة، وغرورات نفسانيّة، ومَكايدُ شَيطانيّة، وإلّا فأينَ لنا البِناء على غير أساسٍ، والمَشْيُ في ظلمة الدّين بغير مِقْباسٍ؟ وكيف تكون العِبادَةُ صحيحةً مع ما قد عَدَدْناه من الخطرات؟! وكيف تصِحّ العِبادةُ مع تَرْكِ هذه الفرائضِ الواجبات؟! وكيف تَقْصُرُ هِمّةُ العاقل على اكتسابِ فَلْسٍ إنْ حَصَلَ، وهو قادر على اكتساب نفائس الجواهر؟! وكيف لا يخافُ اللهَ من قَصّرَ مع وقوفِهِ على هذا الدّليلِ الباهر؟! **وأين مرتَبة العِبادة الخالية عن العلمِ من العلم الذي هو عبادة؟!** بل هو روح العبادة، بل العلمُ المُخْلَص علم وعبادة على تقدير سلامةِ العِبادة. فلو لم يَقْصِدِ العاقلُ لِنفسِهِ تحصيلَ منفعةٍ بالعلم، فليقصِدْ دفعَ المَضَرّة، فإنّ دفع المَضَرّةِ أوْلى من جلبِ النّفع، كما هو من المقدّماتِ المتّفقِ عليها. كيف وقد ورد في ثوابه ما قد أغنى عن التّدوين والإظهار، لمزيدِ الاشتهار. وقد روينا بإسنادنا إلى مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أنّه قال: **«مَنْ كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخْرَجَ ضُعَفاءَ شيعتِنا من ظُلْمَةِ جهلهم إلى نور العلم الذي حَبَوْناه به، جاء يومَ القيامة على رأسه تاجٌ من نور يُضِيءُ لأهل جميع العَرَصات. وعليه حُلّة لا تَقومُ لأقلّ سِلْكٍ منها الدنيا بحذافيرِها، ويُنادي منادٍ: هذا عالِمٌ من بعض تلامذة علماء آل محمّد، ألا فمنْ أخْرَجَهُ من ظُلمة جهله في الدُّنيا فَلْيَتَشَبّثْ به يُخْرِجْه من حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هذه الْعَرَصاتِ إلى نُزُهِ الجنان، فَيَخْرُجُ كُلّ من كان عَلَّمَه في الدنيا خيراً، أو فَتَحَ عن قلبه من الجهل قُفْلًا، أو أوضَحَ له عن شُبهَة».**

وعن مولانا العسكريّ عليه السلام: **«أشدّ من يُتْمِ اليتيم، يتيمٌ انْقَطَعَ عن إمامه ولا يَقْدِرُ على الوصول إليه، فلا يَدْري كيف حُكْمُه في ما ابْتُلِيَ به من شرائعِ دينِهِ، ألا فَمَنْ كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، فَهَدى الجاهِلَ بشريعتنا كان معنا في الرّفيق الأعلى».**

النّيّة الصّحيحة والقلب السّليم

«وعِماد ذلك كلّه ومِلاكُه تصحيح النّيّة، وإخلاص الطّويّة، وتوجيهُ المَقاصدِ نحوَ المحبوبِ. فليست المعاملةُ إلّا بالقلوب، فإنّ الله تعالى لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكم، وإنّما يَنْظُرُ إلى قُلُوبكم.

رَزَقَنا اللهُ تعالى وإيّاكم نَيْلَ هذه المرتبةِ، وحَلانا بأنوار هذه المنقبةِ، وجَعَلَ ما بَقِيَ من أيّام هذه المُهْلَة على الخيراتِ موقوفاً، وعن البَليّات مصروفاً، وأيْقَظَنا من سِنةِ الغافلين، وأخْرَجَنا عن عِداد الجاهلين إنّه أكْرَمُ الأكرمينَ وأجْودُ الأجودين.

وها أنا قد أدّيْتُ الأمانةَ حَسبَما أُمِرتُ، وما أرَدْتُ: ﴿... إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:٨٨.

سبعُ سنوات على نصرِ تمُّوز
عقلٌ «إسرائيليٌّ» في كهفٍ مُغلَق

محمود حيدر*

لم تَعُد الحرب الرّابعة، وهي النّعت «الإسرائيليّ» لحرب تمّوز ٢٠٠٦م، مجرّد استذكارٍ ذهنيٍّ لدى خُبراء الأمن الإقليميّ، بل هي أمسَتْ بعد سبع سنوات على انصرامها، أدنى إلى ثقافة سياسيّة ونفسيّة عميقة الجذور في الوجدان «الإسرائيليّ». ولكنّ المفارقة الّتي تنطوي عليها تلك الثّقافة، هي أنّها مركّبةٌ من شعورٍ بالهزيمة والإحباط، ورغبة في استعادة القدرة على الغلَبة.

بعد انصرام الأعوام السّبعة على حرب تمّوز، كيف يَستأنفُ العقلُ «الإسرائيليّ» مشاعره وآليّات تفكيره؟

لا يزال «الإسرائيليّ» على امتداد تلك السّنوات يستأنف كلماته وأحواله الأولى الّتي أَعقَبت النّتائج المدويّة: (علينا أنْ نبحث عن أسبابِ تدهورنا إلى الدّرك الأسفل. نحن الّذين نشنُّ حربَ أعصاب وحرباً نفسيّة ضدَّ أنفسنا، ونعاني قلّةَ الصّبر، وَوَهنَ الأعصاب، وعدم التّحمُّل، وفقدان القدرة على الصُّمود، وحالةً من اللّااستقرار. ونعاني أيضاً التّضليل واللّهاث وراء الرّأي العام، وكلّ ذلك على خلفيّة مستوًى متدنٍّ وهابط في القيادة السّياسيّة وإعلامٍ متفلّت من عِقالِه. وفي الوقت الّذي يبرزُ فيه الفردُ اليهوديّ بمستواه الأخلاقيّ وإنجازاته الفكريّة، تبدو إنجازاتُ المجتمع اليهوديّ السّياسيّة ومستواه الأخلاقيّ في أرض «إسرائيل» على مستوى هابط).

هذا المقطع نستعيده من مقالة الصّحافيّ «الإسرائيليّ» في «يديعوت أحرونوت» الياكيم هعتسني تحت عنوان «نُقاتل ضدّ أنفسنا»؛ لنُبيّن كيف تتوسّع مساحة التّشاؤم يوماً إثر يومٍ في المجتمع السّياسيّ الصّهيونيّ.

ما الّذي يدلُّ عليه هذا النّوع من الثّقافة السّياسيّة، وفي أيِّ وعاءٍ من التّفكير يمكن أن ننظر إلى تداعياته المُتسارعة؟

الجيش الّذي خيَّب أملَ نفسه في نفسه

لا يخبو النّقاش «الإسرائيليّ» حول الآثار المتمادية لحرب تمّوز ٢٠٠٦م، حتّى يعود ليَشتعل من جديدٍ، وضمن إيقاعات أشدّ وطأة وأعمق أثَراً. ولعلَّ الكلام على الحاجة إلى استعادة عامل القدرة في تحقيق التّوازن داخل الشّخصيّة «الإسرائيليّة»، هو النّقطة المحوَريّة في النّقاش المستأنَف داخل المجتمعَين السّياسيّ والعسكريّ.

مثل هذه الاستعادة، تأتي تحت ضغط الفشل الاستراتيجيّ بعد سبع سنواتٍ على الحرب، لكنّها تَستحضر سلسلةً هائلةً من الأسئلة القلقة الّتي ترتّبت على تلك الحرب ونتائجها.

ربَّما يكون الوجه الأكثر تعقيداً وخطورةً بالنّسبة إلى التّقييم الإستراتيجيّ «الإسرائيليّ»، هو التّبدّل الّذي عَصَفَ بجملةٍ من المفاهيم الأمنيّة. على سبيل المثال، ما يتّصل منها ببطلان فعاليّة الكثير من المعتقدات الّتي سادت صفوف الجيش «الإسرائيليّ» في العقدَين الأخيرَين؛ إذ بعد تعيين غابي أشكينازي رئيساً للأركان، تخلّى الجيشُ عن واحدةٍ من أهمّ نظريّاته في العقدَين الماضيَين، وهي تقليص القوّات المحاربة وتخفيض وتيرة تدريباتهم. وكانت «إسرائيل» قد أَهملَت، على الأقلّ منذ العام ٢٠٠٠م، القوّات الاحتياطيّة، واتّجهت نحو تنفيذ شعار «الجيش الصّغير والذّكيّ». وكان الميلُ العامُّ هو في اتّجاه تحويل الجيش إلى جيشٍ شبه تطوُّعيٍّ وتخفيض مساحة الخدمة الإلزاميّة.

ملخَّص التّغيير الّذي أحدَثَتْه الحرب ونتائجها على العقيدة القتاليّة «الإسرائيليّة»، يرى عددٌ من الخبراء، بأنّه الفهمُ باستحالة تحقيق الحسم عبر القوّة الناريّة، وأنّه لا مفرَّ من قوّاتٍ بريّة تُسيطرُ على الميدان. غير أنّه من البديهيّ القول إنّ نظرة المجتمع «الإسرائيليّ» للجيش الّذي قيل عنه إنّه «خيَّبَ أملَ نفسه في نفسه»، تردّت بأشكالٍ كبيرة. ولا يقوم هذا التّردّي على رؤية المجتمع لواقع هذا الجيش وحسب، وإنّما على رؤيته لنفسه أيضاً. وفي استطلاعٍ جرى مؤخّراً ونُشِرَ في صحيفة «إسرائيل اليوم»، تبيَّن أنّ ما لا يقلّ عن ثلث الذين يؤدُّون الخدمة النّظاميّة يبحثون عن بدائل عمل خارج الجيش. وكلّ ذلك رغم الجهود الهائلة الّتي بُذِلت في

* خبير في القضايا الإقليميّة

الأعوام الأخيرة، والّتي أسهَمَت في تراجع هذه النّسبة عمَّا كانت عليه في الأعوام الأولى، وهي أربعون في المائة. ولا يُخفي الّذين استُطلِعَت آراؤهم في الجيش حقيقة أنَّ أبرز الأسباب وراء الرّغبة في الخروج من الجيش، تَكْمنُ في نتائج حرب لبنان الثّانية.

نتائج تُّموز أضعفتْ الثّقة بالقيادة السّياسيّة

في هذا الصّدد يمكنُ فهم المعنى الحقيقيّ لنتائج حرب لبنان الثّانية بعد سبع سنوات على وقوعها. في استطلاعاتٍ للرّأي العامّ، كُشِف عن حقيقةٍ معاكسةٍ لِما سَعَت إليه الحكومات المتعاقبة من أولمرت إلى نتنياهو. فنتائج الحرب الّتي شُنَّت لِرَدْعِ الجانب العربيّ انعَكَسَت سلباً على «الجمهور الإسرائيليّ». لقد سَبق أنْ أشارت الاستطلاعات إلى أنّ ٥٧ في المائة من «الإسرائيليّين» لا يؤيّدون شنّ حربٍ بسبب أَسْرِ جنودٍ على أيدي منظّمات على «الحدود الشّماليّة». ولسان حالهم يقول: «إنَّه لا ينبغي لإسرائيل أن تشنَّ حرباً في الغد إذا جرى اختطافُ جنديَّين آخرَين على الحدود مع لبنان».

الأهمّ في هذا السّياق أنَّ حربَ لبنان الثّانية ونتائجها أضعفت أيضاً ثقة الجمهور بالقيادة السّياسيّة عموماً، وقد أجاب ٤٠ في المائة عن سؤالٍ يتعلّق بالثّقة، بأنّهم لا يثقون بأيٍّ من القادة السّياسيّين المُدرَجين. وتبيَّن أن ٢ ٪ يثقون بقدرة أولمرت على قيادتهم في الحرب المقبلة، مقابل ٧ ٪ بتسيبي ليفني، و١٠ ٪ بشاؤول موفاز، و١٦ ٪ بإيهود باراك، و١٩ ٪ ببنيامين نتنياهو.

سوى أنَّ ما يتعدّى المشهد الإجماليّ المُشار إليه، هو النُّزوع المُتواتِر نحو التّشاؤم بقدرة «إسرائيل» على استعادة معنى القوّة في فلسفتها السّياسيّة. ذلك أنَّ غياب الثّقة التّدريجيّ بمبدأ القوّة التّقليديّة «الإسرائيليّة» وتفوُّقها، يُضاف الآن إلى نَوازع الشّكّ القويّة في المجتمع «الإسرائيليّ». ويَعترف كثيرون من المحلّلين أنَّ المُعادين «لإسرائيل» اكتسبوا معارف سياسيّة وأمنيّة فائقة الخطورة، وهي تتمثّل أساساً باكتشاف نقاط ضعفها. ولَئن تمكّنت الآلة العسكريّة الكلاسيكيّة على مدى حروبٍ متواصلةٍ من إخضاع الجيوش العربيّة، أو على الأقل من ردعها عن تحقيق انتصارٍ كبير على «إسرائيل» -كما حصل في حرب ٧٣- فإنّها [الآلة العسكريّة] بدت عاجزة، ومشلولة حيالَ سلامٍ سياسيٍّ شديد الاضطراب والتّأرجُح، وكذلك من ضمن أجواء استمرار الانتفاضة الفلسطينيّة. ويتساءل «إسرائيليُّون» من جماعات النّقد، عمّا إذا كانت طائرات سلاح الجوّ أو دبّابات ميركافا، لا تزال قادرة على فعل أيِّ شيءٍ في مواجهة صواريخ غزّة، أو حرب عصاباتٍ متخفِّية وسريعة، أو انتفاضة عِصيّ وحجارة. وثمّة ما يُشبِهُ اليقين لدى كثير من «الإسرائيليّين»، أنَّ ديناميّات المواجهة المفتوحة مع الفلسطينيّين ستؤدِّي إلى قيام دولة فلسطينيّة معادية. أمّا الاتِّفاقات المعقودة، فهي لا تتعدّى كونها نماذج من أوراق قابلة للاشتعال في أيّة لحظة.

تحوُّلاتٌ تُعزِّز نقاط الضّعف

السّجال المُتمادي حول نقاط قوّة «إسرائيل»وضعفها يتوسّع باستمرار. ومع هذا التّوسُّع تتراكم نزعات الشّكّ في «سلام» بدأت «إسرائيل» تَفقد معه عوامل القوّة التّاريخيّة. حيث سيمنعها التّحوُّل الجيو - استراتيجيّ بعد احتلال العراق، والفشل في لبنان، وصعود الأطروحة الإيرانيّة كقوّة تهديد إقليميّة، من التّفكير الجدّيّ في شنّ حرب تعيد التّوازن والتّماسك لمجتمعها السّياسيّ والعسكريّ والمدَنيّ. والواضح أنّ أحد أبرز الأسباب الباعثة للخوف لدى «الاسرائيليّين» هو تصدُّع كتلتهم التّاريخيّة، واضمحلال مقولتهم حول الإجماع القوميّ.

على أنَّ ما يضاعف من تلك النّزعات التّشكيكيّة لدى «الإسرائيليّين»، هو التّحوّلات الهائلة الّتي عَصَفتْ بمحيطِهم العربيّ، وخصوصاً في مصر الّتي لم تعد بالنّسبة إليهم بعد ثوراتها المفتوحة، شريكاً استراتيجياً في الأمن الإقليميّ.

في الماضي مثلاً، كان الشّكُّ في القيادة السّياسيّة أو العسكريّة لا يظهر إلى العلَن، إلّا حين تبلغ عمليّات النّقد والاحتجاج والمعارضة ذروتَها. فعلى الرّغم من الاحتقان ضدّ القيادة، ظلّت تتوافر غريزة جماعيّة تدفع النّاس إلى الاتّحاد عندما يكون هناك خطر خارجيّ، أمّا الآن فقد تعرّضت تلك الغريزة الجماعيّة إلى ضربٍ من الاهتزاز نتيجةَ المراجعات الذّاتيّة بين «الإسرائيليّين»، وبعدما ولَّدت تحوُّلاتُ الأعوام العشر الأولى من القرن الحادي والعشرين مناخاتٍ عارمةً تُفضي إلى نهايةِ تاريخ كامل من القوّة والاقتدار، وبداية تاريخ جديد من المنازعات يُرجَّح أن يكون أكثر احتداماً وإيلاماً من ذي قبل.

(تحفةُ الأحباب في مناظرة الشّيب والشّباب)

«مركز الفقيه العامليّ»

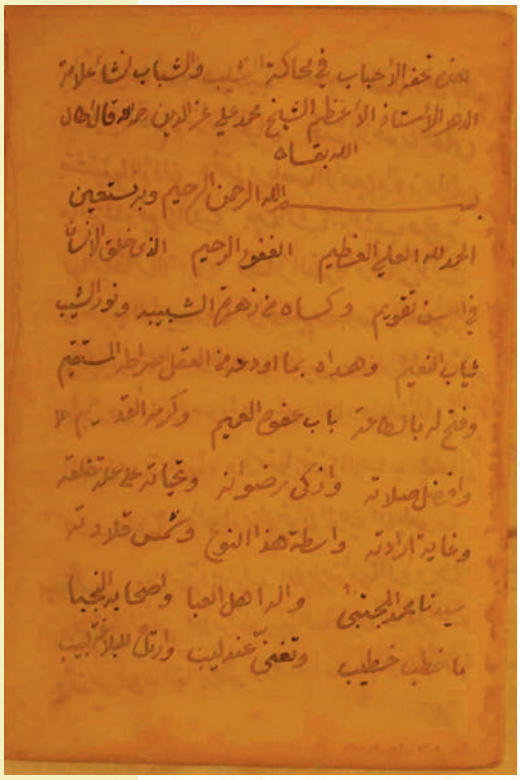

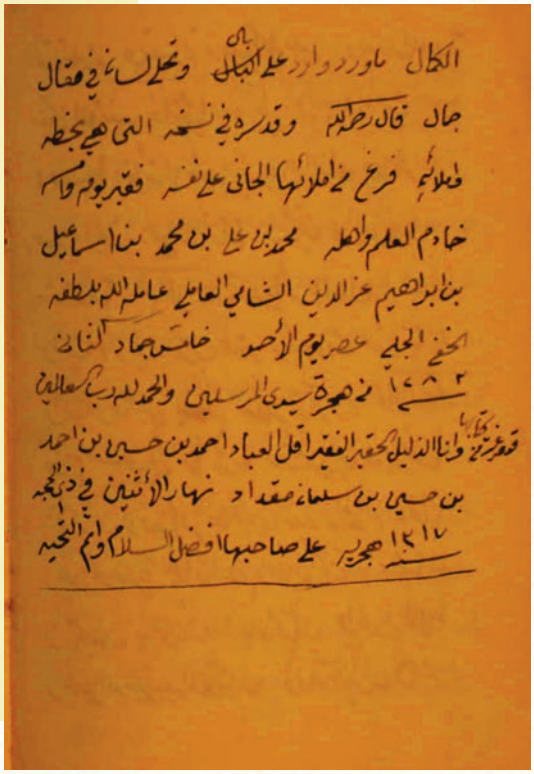

صورتا الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من مخطوط (تحفة الأحباب في مناظرة الشّيب والشّباب) لمؤلّفه الفقيه الشّيخ محمّد عليّ بن محمّد بن إسماعيل عزّ الدّين العامليّ الحنوَيهيّ الكفراويّ (ت: ١٣٠١ للهجرة)، وقد فرغ من إملائه يوم الأحد الخامس من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ للهجرة [١٨٦٦م]، والنسخة المعروضة هنا بخطّ النّاسخ أحمد بن حسين بن أحمد مقداد، فرغ منها في ذي الحجّة من العام ١٣١٧ للهجرة [١٩٠٠م].

وفي (الذّريعة) للشّيخ آقا بزرك الطّهراني ورد أنّ اسم الكتاب هو (تحفة الأحباب في المفاخرة بين الشّيب والشّباب)، وكذا في (موسوعة طبقات الفقهاء)، وفي (الذّريعة) أيضاً أنّه طُبع في صيدا. وأمّا النّاسخ المقداد المتقدّم ذكرُه فقد سمّاه (تحفة الأحباب في محاكمة الشّيب والشّباب)، وورد (تحيّة الأحباب)، لكن المشهور هو: (تحفة الأحباب في مناظرة الشّيب والشّباب).

***

ولدى تتبّع سيرة المؤلّف العلّامة الكبير الشّيخ عزّ الدّين العامليّ، يتّضح أنّه من أجلّة فقهاء جبل عامل، أدركه السّيّد محسن الأمين في مقتبل شبابه وأثنى كثيراً عليه وعلى علمه عند ترجمته له في (الأعيان).

وُلِد الشّيخ عزّ الدّين في بلدة كفرا من قضاء بنت جبيل، سنة ١٢٣١ للهجرة، وتتلمذ في بلاده على عددٍ من العلماء، ثمّ قصد النّجف الأشرف، فحضر على كبار الأعلام، وأجازه بعضُهم، وعاد إلى مسقط رأسه كفرا، فدرّس بها ثمّ انتقل إلى بلدة حَنَوَيه (الواقعة قريباً من ساحل صور)، فأنشأ فيها مدرستَه الشهيرة التي استقطبت عدداً وافراً من الطّلّاب، وقلّده كثيرون من أهل جبل عامل، وله رسالة في العبادات، وقد بلغ عدد مؤلّفاته خمسة وعشرين مجلّداً.

ورد عند التّعريف به في (تكملة أمل الآمل) للسّيّد الصّدر ما يلي: «من علماء عصرنا في جبل عامل، كان عالماً فاضلاً مُكبّاً على التّأليف والتّصنيف، لا تشغله الرّئاسة عن ذلك، ولا أعرف هكذا في جبل عامل سواه».

***

عثر «مركز الفقيه العامليّ لإحياء التّراث» على هذا المخطوط في إحدى مكتبات جبل عامل الشّخصيّة، فقام بتصويره مع باقي المخطوطات الموجودة في المكتبة وهي تزيد على السّتّين مخطوطاً.

موقف	الموتُ أعظمُ الدّواهي	الشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ قدس سره
فرائد	طولُ الصّمت، وحُسنُ الخُلُق	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(منازل الآخرة) للمحدّث القمّي	قراءة: سلام ياسين
بصائر	كرامةُ المريض، وأدبُ عيادته	صاحب الجواهر قدس سره
مصطلحات	«الكرامة»	أحمد بن أحمد السّجاعيّ
مصطلحات	«الحتميّة»	إعداد: «شعائر»
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

الموتُ أعظمُ الدّواهي
«..لضحكتُم قليلاً ولبكيتُم كثيراً»

الفقيه الشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ قدس سره

اِعلم أنَّ الموتَ داهيةٌ من الدَّواهي العظمى، ومن كلِّ داهيةٍ أشدُّ وأدهى، وهو من الأخطار العظيمة والأهوال الجسيمة، فمَن عَلِمَ أنَّ الموتَ مصرعُه، والتُّرابَ مضجعُه، والقبرَ مقرُّه، وبطنَ الأرضِ مستقرُّه، والدُّود أنيسه، والعقارب والحيَّات جليسه، فجديرٌ أنْ تطولَ حسرتُه وتدومَ عَبْرَتُه، وتنحصر فيه فكرته وتعظم بليّته، وتشتدَّ لأجله رزيَّته، ويَرى نفسَه في أصحاب القبور ويعدّها من الأموات. إذ كلّ ما هو آتٍ قريب، والبعيدُ ما ليس بآتٍ. وحقيقٌ ألَّا يكون ذكرُه وفكرُه وغمُّه وهمُّه وقولُه وفعلُه وسعيُه وجِدُّه إلَّا فيه وله؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو أنَّ البهائم يعلمون ما تَعلمون ما أكلتُم منها سميناً**»، وقال صلى الله عليه وآله لقوم يتحدَّثون ويضحكون: «**اذكروا الموت، أما والّذي نفسي بيده، لو تَعلمون ما أَعلم لضحكتُم قليلاً ولبكيتُم كثيراً**». ومرَّ صلى الله عليه وآله بمجلسٍ قد استعلاه الضّحك، فقال: «**شُوبوا مجلسكم بِذكرِ مكدِّر اللّذّات**». قالوا: وما مكدِّرُ اللّذّات؟ قال: **الموت**». [الشَّوْبُ: الخلط]

ثمَّ غفلة النّاس عن الموت لقلّة فكرهم فيه وذكرهم له، ومَن يذكره ليس يذكره بقلبٍ فارغ، بل بقلبٍ مشغولٍ بشهوات الدُّنيا وعلائقها، فلا ينفع ذِكرُه في قلبه. فالطَّريق فيه: أن يفرِّغ القلبَ من كلِّ شيءٍ إلَّا من ذكرِ الموت الّذي بين يدَيه، كالّذي يريد أن يسافر [من بلده] إلى بلدٍ بعيدٍ وما بينهما مفازة خطرة، أو بحرٌ عظيمٌ لا بدَّ أن يركبه، فإنَّه لا يتفكَّر إلَّا فيه، ومَن تفكَّر في الموت بهذا الطَّريق وتكرَّر منه ذلك، لَأَثَّر ذكرُه في قلبه، وعند ذلك يقلُّ فرحُه وسرورُه بالدُّنيا، وتَنزجِرُ نفسُه عنها، ويَنكسر قلبُه، ويَستعدّ لأجله. وأَوْقَع طريقٍ فيه: أن يُكثر ذكر أقرانه الّذين مَضوا قبله، ونُقلوا من أُنْسِ العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن ضياء المُهود إلى ظلمة اللُّحود، ومن ملاعبة أولادهم إلى مصاحبة الهوامّ والدِّيدان، ويتذكَّر مصرعهم تحت التّراب، ويتذكَّر صُوَرَهم في مناصبهم وأحوالهم، ثمّ يتفكَّر كيف مَحا التُّرابُ الآن حُسْنَ صورتهم، وكيف تبدَّدت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أَرملوا نساءهم وأَيتموا أولادهم وضيَّعوا أموالهم وخَلَت منهم مساكنُهم ومجالسُهم وانقطَعت آثارُهم و[أقفرَت] ديارُهم، فمهما تذكَّر رجلاً رجلاً، وفصَّل في قلبِه حاله وكيفيّة حياته، وتوهَّمَ صورته، وتذكَّر نشاطه وأمله في العيش والبقاء، ونسيانَه الموت، وانخداعه بمؤثّثات الأسباب [المؤثّث: المُوَثِّر]، وركونه إلى القوّة والشّباب، وميله إلى الضّحك واللّهو، وغفلته عمّا بين يديه من الموت الذّريع والهلاك السّريع، وأنّه كيف كان يتردَّد، والآن قد تهدَّمت رجلاه ومفاصله، وكيف كان ينطق وقد أكل الدُّودُ لسانَه، وكيف كان يضحك وقد أكل التُّرابُ أسنانَه، وكيف دبَّر لِنفسِه الأمور، وجَمَع من حطام الدُّنيا ما لا يتَّفق احتياجه إليه على مرِّ الأعوام والشُّهور، وكَرِّ الأزمنة والدُّهور؛ ثمَّ يتأمَّل أنَّه مثلُهم، وغفلته كَغفلتِهم، وسيصير حالُه في القبر كَحالِهم.

فمُلازمة هذه الأفكار وأمثالها، مع دخولِ المقابر وتشييعِ الجنائز ومشاهدةِ المرضى، تُجدِّد ذكرَ الموت في قلبه حتّى يغلب عليه، بحيث يصير الموت نصب عينَيه، وعند ذلك ربّما يستعدّ له ويَتجافى عن دارِ الغرور. وأمّا الذِّكر بظاهرِ القلب وعذَبَة اللّسان [عَذَبةُ اللّسان: طَرَفُه الدّقيق]، فقليل الجدوى في التّنبيه والإيقاظ. ومهما طاب قلبُه بشيءٍ من أسباب الدُّنيا، فينبغي أن يتذكَّر في الحال أنَّه لا بدَّ من مفارقته، كما نُقل أنَّ بعض الأكابر نَظَر إلى داره فأعجَبَه حُسنها، فبكى وقال: «والله لولا الموت لكنتُ بها مسروراً».

فرائد

العمل الصّالح

قال قيس بن عاصم: «وفدتُ مع جماعةٍ من بني تميم إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلتُ وعنده الصّلصال بن الدّلهمش، فقلت: يا نبيَّ الله عِظْنا موعظةً ننتفعُ بها، فإنّا قومٌ نعير في البرّيّة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: **يا قيس إنَّ مع العزِّ ذلّاً، وإنَّ مع الحياة موتاً، وإنَّ مع الدُّنيا آخرة، وإنَّ لكلِّ شيءٍ حسيباً، وعلى كلِّ شيءٍ رقيباً، وإنَّ لكلِّ حسنةٍ ثواباً، ولكلِّ سيِّئة عقاباً، ولكلِّ أجلٍ كتاباً، وإنَّه لا بدَّ لك يا قيس من قرينٍ يُدفن معك وهو حيّ، وتُدفَن معه وأنت مَيت؛ فإنْ كان كريماً أكرَمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لا يُحشر إلَّا معك، ولا تُبعث إلَّا معه، ولا تُسأل إلَّا عنه، فلا تجعلهُ إلَّا صالحاً، فإنَّه إنْ صَلُحَ آنستَ به، وإن فَسد لا تَستوحش إلَّا منه، وهو فعلُك**».

طولُ الصّمت، وحُسنُ الخُلُق

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أيُّها النّاس لا تُعطوا الحكمة غير أهلها فتَظلموها، ولا تَمنعوها أهلها فتَظلموهم، «..» ولا تُراؤوا النّاس فيَحبط عملُكم، ولا تَمنعوا الموجود فيقلّ خيرُكم، أيُّها النّاس إنَّ الأشياء ثلاثة: أمرٌ استبَانَ رشدُه فاتَّبِعوه، وأمرٌ استبَانَ غَيُّه فاجتَنِبُوه، وأمرٌ اختُلِفَ عليكم فردُّوه إلى الله، أيُّها النّاس ألَا أنبِّئكُم بأمرَين خفيفٌ مؤونتهما عظيمٌ أجرهما، لم يُلْقَ الله بمثلهما: طولُ الصّمت، وحُسنُ الخُلُق.

(المجلسيّ، بحار الأنوار)

كلماتٌ من كنزٍ تحت العرش

عن أبي ذرٍّ قال: «أوصاني خليلي بسبع: أمَرَني بحبِّ المساكين والدُّنوِّ منهم، وأمَرَني أنْ أَنظرَ إلى مَن هو دُوني ولا أَنظر إلى مَن هو فوقي، وأمَرَني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمَرَني أنْ أَصِلَ الرّحم وإنْ أدْبَرَت، وأمَرَني أنْ أقولَ الحقّ وإن كان مُرّاً، وأمَرَني أنْ لا أخافَ في اللهِ لومةَ لائمٍ، وأمَرَني أَن أُكثِرَ مِن لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله، فإنَّهنّ من كنزٍ تحتَ العرش».

(الطّبقات الكبرى، محمّد بن سعد)

الرّاغب الأصفهانيّ

هو أبو القاسم حسين بن محمّد بن المفضّل، صاحب اللّغة العربيّة والحديث من حكماء الشّيعة الإماميّة، صاحب (مفردات القرآن) و(المحاضرات) و(الذّريعة) وغيرها. ونَقل الشّيخ البهائيّ عنه أنّه قال في تفسير قوله ﴿الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾: المدحُ والحمدُ والتّعظيم لأحد وجوهٍ أربعة: إمّا لكمالِ ذاتِه وصفاتِه، وإمّا لإحسانِه وإنعامِه، وإمّا لِطمعِ الإحسانِ والإنعامِ منه في ما يَستقبل، وإمّا للخوفِ منه مِن قهرِه وغَضبِه، فكأنّه يقول: أنا الجامعُ لكلِّ وجوهه: الأوّل، لأنّي أنا الله، والثّاني، أنا ربّ العالمين، والثّالث، أنا الرّحمن الرّحيم، والرّابع، أنا مالِك يومِ الدِّين.

(مستدرك سفينة البحار، الشّيخ عليّ النّمازيّ الشّاهروديّ)

(منازل الآخرة)

رسالة عمليّة للموت، وما بعدَه من منازل

قراءة: سلام ياسين

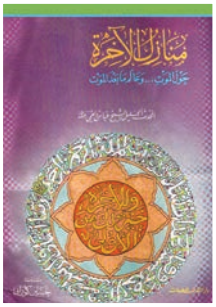

* **الكتاب**: منازل الآخرة - حول الموت.. وعالم ما بعد الموت
* **المؤلّف**: المحدّث الجليل الشّيخ عبّاس القمّيّ رحمه الله.
* **التّرجمة**: الشّيخ حسين كوراني.
* **النّاشر**: دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٠ للهجرة.

يدور كتاب (منازل الآخرة) للمحدّث الشّيخ عبّاس القمّيّ حول الموت، وعالم ما بعد الموت، وهو -أي الموت- من الحقائق الكبرى التي يتغاضى عنها عموم النّاس، ويغفل عنها حتّى الكثير من المتديّنين، لذا كان من الضروريّ التذكير بها دوماً.

كتب الشّيخ حسين كوراني في مقدّمة الكتاب:

«وكتاب (منازل الآخرة) ليس من الكُتب التي تُقرأ مرّةً واحدةً فتُترك، كما أنّه ليس من المصادر التي يرجع إليها الباحث بين الحين والآخر فحسب، بل هو ".." رسالةٌ عمليّةٌ للآخرة، ينبغي أن يُطبّق كلُّ واحدٍ منّا ما ورد فيه، فيأخذ مثلاً: ما يهوّن سكرات الموت، ويعمل على تطبيق ذلك والالتزام به؛ بهدف أن يشمله اللُّطفُ الإلهيّ، فتَهون عليه سكرات الموت.. وهكذا في سائر المنازل والمحطّات.

إنّه كتابٌ جديرٌ بأن يكون أنيسَ المؤمن الدائم، يستريح إليه كلّما هدّه التّركاض، وأثقَلَت كواهلَه منعطفاتُ الطّريق ووَعثاء السفر، وهزّه الشّوق والحنين إلى جوار الله تعالى في الحياة الباقية».

يقع الكتاب بين دفّتي مقدّمة وخاتمة، موزّعاً على تسعة فصول فيها من الشّواهد القرآنيّة والأحاديث الشّريفة والقصص الواقعيّة ما يكشف الحُجُب، فتتراءى لنا القيامة بصوَرها الحقيقيّة بدءاً من أوّل منازلها، وهو الموت، إلى الخلود في الجنّة أو في النّار.

في المقدّمة يقول المؤلّف المحدّث القمّيّ: «يحكم العقل والنّقل بإنّ الشّخص الذي نوى سفراً، يجب عليه أن يهيّء لسفره الزّاد بالمقدار الذي يحتاج إليه في في ذلك السّفر... ثمّ يسافر»، مفتتحاً بهذا الكلام الإشارة إلى صعوبة منازل الآخرة وشدّتها...

وفصول الكتاب كالآتي:

الفصل الأوّل: المنزل الأوّل، هو الموت، وفيه عقَبتان:

الأولى: سكرات الموت وشدّة نزع الرّوح؛ ثمّ يعرض المؤلّف ما يهوّن سكرات الموت، منها: صِلة الرّحِم وبرّ الوالدين، وإكساء المؤمن، وإطعامه، وقراءة سورتَي يس والصّافات (عند المحتضر)، وقراءة كلمة الفرج (**لا إله إلّا اللهُ الحليمُ الكريم... إلخ**)، وصوم آخر يوم من رجب، وصوم ٢٤ يوماً منه، وصلاة اللّيلة السّابعة عشر منه، وقراءة كلّ يوم عشراً: (**أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لا إلهَ إلاّ الله، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ ما شاء الله، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الحَمْدُ لله، وَلِكُلِّ رَخاءٍ الشُّكْرُ لله، وَلِكُلِّ أُعْجوبَةٍ سُبْحانَ الله، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله، وَلِكُلِّ مُصيبَةٍ إنّا لله وَإنّا إلَيهِ راجِعونَ، وَلِكُلِّ ضيقٍ حَسْبيَ الله، وَلِكُلِّ قَضاءٍ وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلى الله، وَلِكُلِّ عَدوٍّ اعْتَصَمْتُ بِالله، وَلِكُلِّ طاعَةٍ وَمَعْصيةٍ لا حَولَ وَلا قوةَ إلاّ بِالله العَلِيّ العَظيم**). والمداومة على هذا الذّكر: (**يا أسمعَ السّامعين، ويا أبصرَ النّاظرين، ويا أسرعَ الحاسبين ويا أحكمَ الحاكمين**)؛ والمداومة على قراءة سورة الزّلزلة.

العقبة الثّانية: العديلة عند الموت، أي العدول إلى الباطل عن الحقّ بفعل وساوس الشّيطان عند الموت، ولردّ هذا يجب استحضار الإيمان بأدلّته، والأصول الخمسة ببراهينها القطعيّة بإخلاص، ويقول بعد استحضار عقائده الصّحيحة: (**أَللّهُمَّ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ إنِّي أَوْدَعْتُكَ يَقِيني هذا وَثَباتَ دِيني، وَأَنْتَ خَيْرُ مُسْتَوْدَعٍ، وَقَدْ أَمَرْتَنا بِحِفْظِ الوَدائِعِ فَرُدَّهُ عَلَيَّ وَقْتَ حُضُورِ مَوْتِي**).

وقراءة المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام بعد كلّ فريضة: (**رَضِيتُ بِالله رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيّاً، وَبِالإسْلامِ ديناً،**

وَبِالقُرْآنِ كِتاباً وَبِالكَعْبَةِ قِبْلَةً، وَبِعَلِيٍّ وَلِيّاً وإِماماً، وَبِالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، وَعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمُوسى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالحُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَئِمَّةً. اللّهُمَّ إِنِّي رَضِيتُ بِهِمْ أَئِمَّةً فَارْضِنِي لَهُمْ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

والمواظبة على أوقات الصّلوات الواجبة.. وأيضاً قراءة الدّعاء الحادي عشر من الصّحيفة السّجّاديّة : (**يا من ذِكرُه شرفٌ للذّاكرين..**)؛ وقراءة دعاء التّمجيد المذكور في (الكافي) وفي (الباقيات الصّالحات) الملحق بـ (مفاتيح الجنان) بعد أدعية السّاعات؛ والمواظبة على هذا الذّكر: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ آل عمران:٨؛ والمواظبة على تسبيح الزّهراء عليها السّلام؛ والتّختّم بعقيق نُقِشَ عليه: (**محمّدٌ نبيّ الله وعليٌّ وليّ الله**)؛ وقراءة سورة (المؤمنون) كلّ جمعة؛ وقول، بعد صلاتي الصّبح والمغرب، البسملة ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم سبع مرّات...

الفصل الثّاني: المنزل الثّاني: القبر. ولهذا المنزل عقبات كثيرة ومحطّات مرعبة، ولتخفيف هول القبر: عليكم بالصّدقة، وصلاة الوحشة ليلة الدّفن المذكورة في كتب الأدعية والأذكار. ومن الأمور النّافعة لوحشة القبر: إتمام الرّكوع، وقول كل يوم مائة مرّة: (**لا إله إلّا الله الملِكُ الحقّ المُبين**)؛ وقراءة سورة (يس) قبل النّوم، وصلاة ليلة الرّغائب في رجب؛ وصوم اثنَي عشر يوماً من شعبان؛ وعيادة المريض.

الفصل الثّالث: البرزخ. وهو القبر منذ حين موت الإنسان إلى يوم القيامة؛ يذكر المؤلّف ما يساعد الميت في تلك المنزلة من صدقة وصلاة وصوم وحجّ وبرّ ودعاء؛ ثمّ يذكر قصصاً مؤثّرة حول تأثير تلك الأعمال في مصير الميت.

الفصل الرّابع: القيامة. هولها عظيم، فيذكر المؤلّف ما جاء من الأخبار بحقّها، ثمّ يذكر ما يُنجي من أهوالها، منها: قراءة سورة يوسف كلّ يوم أو كلّ ليلة؛ وسورتَي الدّخان والعصر في الفرائض والنّوافل؛ وسورة الأحقاف كلّ ليلة جمعة أو يومها؛ وإجلال ذي الشّيبة المسلم؛ والموت في طريق مكّة أو في الحرَمين؛ واجتناب الفاحشة والشّهوة الحرام؛ وكَظْم الغيظ؛ ومعرفة ولاية أهل البيت عليهم السّلام؛ وإغاثة الملهوف.

الفصل الخامس: الخروج من القبر. وهو ساعة شديدة على الإنسان، ولا سيّما على الشّاك في فضل أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، وعلى مَن منع حقّ الله في ماله، ومَن مشى في نميمة، ومن ملأ عينَه من امرأة حراماً، ومن شرب الخمر. ثمّ يذكر المؤلّف ما ينجي من أهوال يوم القيامة، منها: تشييع الجنائز، وتنفيس كُربة المؤمن، وإدخال السّرور عليه، وكسوته، وقراءة هذا الذّكر ألف مرّة في شعبان: (**لا إلهَ إلّا اللهُ وَلا نَعبُدُ إلّا إيّاهُ مُخلِصينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**)؛ وقراءة دعاء الجوشن الكبير أوّل شهر رمضان.

الفصل السّادس: الميزان. يقول المؤلّف إنّه لا يوجد عمل أنفع لثقل الميزان من الصّلاة على النّبيّ وآله، ومن حُسن الخلق؛ ثمّ يعرض أخباراً وقصصاً حول هذَين العنوانَين.

الفصل السّابع: الحساب. يذكر المحدّث القمّيّ عدّة أخبار من طرق أهل البيت عليهم السلام، حول يوم الحساب، منها قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**لا تزولُ قَدَما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأَل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت**». ثمّ يذكر بعض الحكايات حول ذلك.

الفصل الثّامن: صحائف الأعمال. فالموقف الذي تعرض فيه تلك الصّحائف يوم القيامة، أحد المواقف المهولة؛ فعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابُه، ثم قيل له: اقرأ**" .." قلت [الرّاوي]: فيعرف ما فيه؟ فقال: **إنّ الله يُذكّره، فما من لحظةٍ ولا كلمةٍ ولا نقْلِ قدمٍ ولا شيءٍ فعلَه إلّا ذكرَه، كأنّه فعلَه تلك السّاعة فلذلك قالوا**: ﴿...يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا..﴾ الكهف: ٤٩.

ومن منجيات ذلك الموقف: زيارة الإمام الرّضا عليه السلام.

الفصل التّاسع: الصّراط. وهو أحد منازل الآخرة المهولة، فيشرح المؤلّف معنى الصّراط وأهواله، ثمّ يذكر ما يسهّل الجواز عليه، منها صلاة اللّيلة الأولى من رجب، وصوم ستّة أيّام منه، وصلاة ليلة التّاسع والعشرين من شعبان، وزيارة الإمام الرّضا عليه السلام.

الخاتمة: حول عذاب جهنّم. يذكر المؤلّف فيها صعوبة عذاب جهنّم، وعدّة قصص من قصص الخائفين، وأمثلة لتنبيه المؤمنين. وإلى ذلك، فالكتاب يحمل أُسلوباً شيّقاً جميلاً ممتعاً، ومؤثّراً في الرّوح والقلب والضّمير، فيخرج منه القارىء على حالٍ أخرى من التّقوى والبصيرة والحَذر والخشية، والشّوق إلى العبادات والطّاعات، والمَيل إلى الأخلاق وحُسن المعاشرة، والرّغبة في كلّ خير، والامتعاض من كلّ شرّ.

بصائر

كرامةُ المريض، وأدبُ عيادته
..يؤجَر فيهم، ويؤجَرون فيه

صاحب الجواهر قدس سره

«عاد رسولُ الله صلى الله عليه وآله سلمان في علَّته فقال: يا سلمان، إنَّ لك في علَّتك ثلاثَ خصال: أنت من الله عزَّ وجلَّ بذِكرٍ، ودُعاؤكَ فيه مستجابٌ، ولا تدَع العلَّةُ عليك ذنباً إلَّا حطَّته، متَّعكَ الله بالعافية إلى انقضاء أجَلِكَ». الإمام الصّادق عليه السلام

مقتطفٌ من (جواهر الكلام) للفقيه العلَم الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ رحمه الله، حول جزيل الثّواب المذخور للمريض، لا سيّما عند كتمانه المرض وامتناعه عن الشّكوى، واستحباب عيادته والتماس الدّعاء منه.

ينبغي للمريض أن يحمدَ اللهَ ويَشكرَهُ في حالِ المرضِ كحالِ الصّحّة، إذ لعلّ مرضه يكون من أفضل النِّعم عليه وهو لا يشعر بذلك، وكيف لا وقد ورد في الخبر عن سيّد البشر صلى الله عليه وآله أنَّه «تبسَّم يوماً فقيل له: ما لكَ يا رسول الله صلى الله عليه وآله تبسَّمت؟ فقال: **عجِبْتُ من المؤمن وجَزَعه من السُّقم، ولو يَعلم ما لهُ في السُّقم من الثّواب لَأحبَّ أن لا يزال سقيماً حتّى يلقى اللهَ ربّه عزَّ وجلَّ**».

كما أنَّه وَرَد عنه صلى الله عليه وآله أنَّ [المريض] «**أنينهُ تسبيحٌ، وصياحهُ تهليلٌ، ونومهُ على الفراش عبادةٌ، وتقلُّبه جهادٌ في سبيل الله**»، وأنَّه «**تتناثرُ منه الذُّنوب كما يتناثر الورقُ من الشَّجر**»، وأنَّه «**يُوحى إلى ملَك الشّمال أن لا يَكتبَ عليه، كما أنّه يُوحى إلى ملَك اليمين أن يكتبَ له كلّ ما كان يعمل من الخير في زمان صحّته، إذ هو في حَبْسِ الله**»، وأنَّ «**حُمَّى ليلة تعدلُ عبادةَ سنةٍ، وحُمَّى ليلتَين تعدلُ عبادة سنتَين، وحُمَّى ثلاث ليالٍ تعدلُ سبعين سنة**»، وأنَّه «**إذا أحبَّ اللهُ عبداً نَظرَ إليه، فإذا نَظرَ إليه أتْحَفَهُ بواحدةٍ من ثلاث: صداعٍ أو حُمّى أو رَمَدٍ**»، إلى غير ذلك من الأمور المسطورة في محلِّها.

اجتنابُ الشّكوى، وإعلامُ الإخوان

وينبغي له [للمريض] حينئذٍ الصّبر والاحتساب لينال أجراً آخَر، فقد قال الصّادق عليه السلام: «**أيُّما رجلٍ اشتكى فصَبر واحتَسب كتبَ اللهُ من الأجرِ أجرَ ألف شهيد**»، وقال عليه السلام أيضاً: «**مَن اشتكى ليلةً فقبلَها بقبولها وأدَّى إلى الله شُكرَها، كانت كعبادةِ ستِّين سنة**»، قيل له: ما قبولها؟ قال: «**يَصبر عليها ولا يُخبر بما كان فيها، فإذا أصبحَ حمدَ اللهَ على ما كان**».

ومنه يُستفاد استحبابُ الكتمان وترك الشّكاية كما هو مفاد غيره من الأخبار، ففي خبر بشير الدّهّان عنه عليه السّلام قال: «**قال اللهُ عزَّ وجلَّ: أيُّما عبدٍ ابتليتُه ببليّةٍ فكَتَمَ ذلك عُوّادَه ثلاثاً، أبدلْتُه لحماً خيراً**

من لحمِه، ودماً خيراً من دمِه، وبَشَراً خيراً من بَشَره، فإن أبقيتُه أبقيتُه ولا ذنبَ له، وإن ماتَ ماتَ إلى رحمتي». وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ «مَن مرضَ يوماً وليلةً فلم يَشكُ إلى عوّادِه، بعثَهُ الله يوم القيامة مع خليله إبراهيم خليلِ الرَّحمن حتّى يَجوز الصِّراط كالبرقِ اللّامع»، ولعلَّ اشتمالَها على لفظ (العوّاد) يُشعِر بعدم إرادة الكتمان بمعنى عدم الإخبار بأصل المرض، بل المراد عدم الشّكوى، أي بأن يقول: لقد ابتُليتُ بما لَمْ يُبتلَ به أحد، ويقول: لقد أصابَني ما لَمْ يُصِبْ أحداً كما ورد تفسيرها بذلك عن الصّادق عليه السلام حيث سُئل عن حدِّ الشّكاة للمريض، فقال: «إنَّ الرَّجل يقول: حممْتُ اليوم وسهرْتُ البارحة وقد صدقَ وليس هذا شكاية، وإنَّما الشّكوى أن يقول: لقد ابتُليتُ بما لَمْ يُبتلَ به أحد، ولقد أصابَني ما لم يُصِبْ أحداً، وليس الشّكوى أن يقول سهرتُ البارحة وحممتُ اليوم ونحو هذا»، ومثله غيره. أو يُراد كتمان الشدَّة لا أصل المرض، أو ما يمكن كتمانُه كبعض الأمراض الخفيّة، أو كتمانه ابتداءً مقدار ثلاثة أيّام ونحو ذلك.

ويؤيِّد ما قلنا أنَّه قد وردَ استحبابُ إعلام الإخوان بالمرض، قال الصّادق عليه السلام: «وينبغي للمريض منكم أن يؤذِن إخوانَه بمرضِه، فيَعودونَه فيُؤجَر فيهم ويؤجَرون فيه، قال: فقيل له: نعم، فهم يُؤجَرون فيه بمَمْشاهم إليه، فكيف يؤجَر فيهم؟ قال: فقال: باكتسابِه لهم الحسنات، فيؤجَر فيهم، فيُكتَب له بذلك عشر حسناتٍ، ويُرفع له عشر درجاتٍ، ويُمحى بها عنه عشر سيِّئاتٍ».

كما أنَّه قد ورد استحباب الإذن بالدُّخول عليه، فقد قال أبو الحسن [الكاظم] عليه السلام: «إذا مَرِض أحدُكم فليأذن للنّاس يدخلون عليه، فإنَّه ليس من أحدٍ إلّا وله دعوةٌ مستجابة».

استغفار الملائكة لعُوّاد المرضى

ويُستفاد ممَّا قدَّمنا استحبابُ عيادة المرضى كما هو المُجمَع عليه بيننا، بل لعلَّه من ضروريّات الدِّين، وقد ورد في ثوابها من الأخبار عن النّبيّ المختار صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام ما يَقصرُ العقلُ عن إدراكه، حتّى وَرَد أنَّ «له بكلِّ خطوة خطاها حتّى يرجع إلى منزله سبعين ألف ألف حسنة، وتُمحى عنه سبعون ألف ألف سيّئة، وتُرفع له سبعون ألف ألف درجةٍ، ووُكِّل به سبعون ألف ألف ملكٍ يعودونه في قبره، ويستغفرون له إلى يوم القيامة». وفي خبرٍ آخَر: «إنَّ الله يُعَيِّرُ عبداً من عباده، فيقول له: ما مَنَعك إذا مرضتُ أنْ تعودَني، فيقول: سبحانك أنت ربُّ العباد لا تألَم ولا تمرض، فيقول: مرضَ أخوك المؤمن فلم تَعُدْهُ، وعزَّتي وجلالي لو عُدْتَهُ لوجدْتَني عنده، ثمَّ لتكفَّلتُ بحوائجك فقضَيْتُها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرَّحمن الرَّحيم»، إلى غير ذلك.

وقيل إنَّه يتأكَّد ذلك في الصّبح والمساء، ولعلَّه لقول الصّادق عليه السلام: «أيّما مؤمنٍ عاد مؤمناً حين يُصبح شيَّعه سبعون ألف ملَك، فإذا قعد غمرتْهُ الرَّحمة واستغفروا له حتّى يمسي، وإن عاده مساءً كان له مثل ذلك حتّى يُصبح». وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنَّه قال: «ما مِن رجلٍ يعودُ مريضاً مُمسياً إلّا خرج معه سبعون ألف ملكٍ يستغفرون له حتّى يُصبِح، وكان له خريفٌ في الجنّة» الحديث. والمُراد بالخريف كما فُسِّر في غيرها زاوية في الجنّة يسير الرَّاكب فيها أربعين عاماً.

ويُستحبُّ للعائد التماسُ الدُّعاء من المريض لِما وَرَد أنَّه أحدُ الثّلاثة الّذين يُستجاب دعاؤهم، وإنَّ دعاءَه مثل دعاءِ الملائكة. كما أنَّه يستحبُّ له أيضاً وضْع يده على ذراع المريض، واستصحاب هديّة له من فاكهة أو طِيب أو بَخور أو نحو ذلك، وتخفيف الجلوس عنده إلّا إذا أحبَّ ذلك وأرادَ وسَألَ، وقال الصّادق عليه السلام: «إنَّ عيادة النَّوكى [النَّوكى: الحمقى] أشدُّ على المريض من وَجَعِه»، إلى غير ذلك من الآداب الكثيرة الّتي يستدعي بسطُ الكلام في حصرها، والتَّعرُّض لكثيرٍ ممَّا يتعلَّق بها إلى رسالة مفردة، نسأل الله التّوفيق، ومَن أرادها فليَطلبها من (وسائل الشّيعة) وغيرها من كُتب الأخبار.

«الكرامة»

فعلُ اللّهِ تعالى على يدِ مَن يختارُه

أحمد بن أحمد السّجاعيّ*

الكرامات جمعُ كرامة، وهي أمرٌ خارقٌ للعادةِ غيرُ مقرونٍ بِدَعوى النُّبوَّة ولا هو مقدِّمةٌ لها، تظهرُ على يدِ عبدٍ ظاهرِ الصَّلاحِ مُلتزمٍ لِمتابعةِ نَبيٍّ كُلِّفَ بشريعته، مَصْحوبٍ بِصحيحِ الاعتقاد والعملِ الصَّالح، عَلِمَ بها أو لم يَعلمْ، فتَمتاز [الكرامة] بعدم الاقتران المذكور [دعوى النّبوّة] عن المعجزة، فلا تَلتَبِس بها، و[تمتاز] بِنَفيِ مقدِّمتها عن الإرهاص: وهو ما يَظهر على يدِ الأنبياء قبل النّبوّة: كَتظليلِ الغمام لنبيِّنا صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، و[تمتاز] بظهور الصّلاح عما يُسمَّى معونةً، كما يظهر على يد بعض عوامِّ المسلمين تخليصاً لهم من المِحَن والمكاره، و[تمتاز] بالتزام متابعة نبيّ عن الخوارق المؤكِّدة لِكَذِبِ الكاذبين وتُسمَّى إهانة، كبصق مُسَيلِمة في بئرٍ عذبةِ الماء لِيزدادَ ماؤها حلاوةً فصارَ مِلحاً أجاجاً، و[تمتاز] بالمصحوبيّة بصحيح الاعتقاد عن الاستدراج، كما خَرج السِّحرُ عن جهاتٍ عدّة.

ودليل الجواز أنَّ ظهورَ الخارقِ أمرٌ ممكنٌ في نفسه، وكلّ ما هو كذلك فهو صالحٌ لِشمولِ القدرة لإيجاده، ودليل ذلك الأمر وإمكانه أنّه لا يَلزم مِن فرضِ وقوعِه محالٌ، ودليلُ الوقوعِ ما جاءَ في الكتاب العزيز من قصّة مريم عليها السلام وولادتها عيسى -على نبيّنا [وآله] وعليه وعلى سائر الأنبياء الصّلاة والسّلام- من غير زوجٍ، مع كفالة زكريّا لها عليه الصّلاة والسّلام؛ وكان لا يَدخلُ عليها غيرُه، وإذا خَرَج مِن عندِها أَغلقَ عليها سبعةَ أبوابٍ، وكان يَجِدُ عندها فاكهة الصّيف في الشّتاء وفاكهة الشّتاء في الصّيف. ومِن قصّة آصف وإتيانِه بعرشِ بلقيس قبل ارتدادِ طَرْف سليمان عليه السلام. وقد تَواتَر وقوعُ الكرامات من الصَّحابة والتّابعين ومَن بعدهم إلى وقتِنا هذا، وقد أطال العلامة اللّقانيّ وولدُه الكلامَ على ذلك عند قوله في (جوهرته):

وَأَثْبِتَنْ لِلأولياءِ الكرامهْ ... ومَن نَفاها اِنبذَنْ كلامَهْ

أيْ لِطَرْحِ كلام مَن يَنفيها من المعتزلة ومَن جرى على طريقتِهم، وقد قال: «قال العلّامة النّسفيّ في (عقائده): كراماتُ الأولياءِ حقّ، فتَظهر الكرامةُ على طريقِ نقضِ العادةِ للوليِّ، من قَطعِ المسافة البعيدة في المدَّة القليلة، وظهورِ الطَّعام والشَّراب واللّباس عند الحاجة، والمَشي على الماءِ وفي الهواءِ، وكلام الجماد والعَجماء، وغير ذلك من الأشياء، ويكون ذلك معجزةً للرّسول الّذي ظهرت هذه الكرامة لواحدٍ من أمّته لأنّه ظَهَر بها أنّه وليّ، ولا يكونُ وليّاً إلّا إذا كان مُحقّاً في ديانته برسالة رسولِه» انتهى.

ليس للعبدِ خَلْقُ الأفعال

إذا علمْتَ هذا اتَّضح لكَ أنَّ الفاعلَ للكراماتِ كالمعجزاتِ إنّما هو اللهُ تعالى وحدَه، لكن أظهرَها اللهُ سبحانه وتعالى على أيْدي أهلِ طاعتِه الموصوفين بما تقدّم، إكراماً لهم وإذلالاً لِمُنازعيهم وخُصمائِهم، وليسَ لهُم في ذلك اكتسابٌ ولا لهم على ذلك اقتِدار؛ فمَن نَسَبَ لهم في ذلك فِعلاً فقد ضلَّ وحادَ عن الطّريق المستقيم، إذ «..» أنَّ العبدَ لا يخلقُ شيئاً من الأفعال، بل المُنفرِد بالخَلق والإيجاد هو اللهُ الفاعلُ المختارُ، وحينئذٍ لا فرق في إظهارِها على يدِ أحدٍ منهم بين كونه حيّاً أو ميتاً، وإنكارُ أهلِ الجهل والبُهتان وقوعها على يدِ الأموات لاعتقادهم الفاسد أنَّ الفاعلَ هو صاحبُ الكرامة، وقد علِمْتَ بطلانَه وأنَّه مبنيٌّ على قاعدةِ أهل الاعتزال والمَلامة. ومن المُشاهَدِ المَحسوس حِفْظُ اللهِ تعالى لِمَن أرادَ زيارتَهم بِحُسنِ إخلاصٍ واعتقادٍ صحيحٍ مِن شرِّ الأعداء المُراقبين له ومِن قطّاع الطَّريق، فلا يقعُ خلاف ذلك إلّا نادراً، فهذه كرامةٌ عظمى. وأمّا ما يقع من الأُنس الباطنيّ والإشراق الظّاهريّ وحُسن الحال لِمَن ذكر، فأمرٌ يعرفُه مَن ذاقَهُ مِن أهل الإيقان، ولا يُنكره إلّا المحرومُ المطرودُ عن بابِ الفضل والإحسان.

---

* عالم مصري أزهريّ (ت: ١١٩٩ للهجرة)، والنّص من كتابه (رسالة في إثبات كرامات الأولياء)

«الحتميّة»
لكلِّ حادث تفسيرٌ سببيّ

إعداد: «شعائر»

إطلالةٌ على مصطلح «الحتميّة»، وارتكازه على مبدأ السّببيّة، أو العلاقة بين العلّة والمعلول، اقتطفته «شعائر» من (الموسوعة العربيّة) بتصرّف يسير.

الحتميّة «determinism» مذهبٌ يرى أنَّ كلَّ ما يحدث في الكَون على الإطلاق يخضع لقانون سببيٍّ ما؛ فلكلِّ حادثٍ تفسيرٌ سببيّ، أي لكلِّ حادثٍ أسباب ضروريّة وكافية تفسِّر حدوثه. وهذا ما دعا بعض المفكِّرين إلى القول إنَّ الحتميّة بمعناها البسيط ليست غير «الارتباط العلّيّ»، فالعلّيّة هي «التّعبير الظّاهريّ للحتميّة»، وتكاد تكون مرادفاً للحتميّة وعنواناً بديلاً لها عند أكثر الباحثين. والواقع أنَّ مبدأ الحتميّة يتضمَّن مسلَّمات تسبقه وتبرِّره وتَهبه محتواه، أوَّلها أنَّ ثمّة نظاماً في الطّبيعة، وأنَّ هذا النّظام المتكرِّر الوقوع في اطِّراد، وتحكم ذلك الاطِّراد العلاقةُ بين العلّة والمعلول (العلّيّة).

ويؤمن فلاسفة الحتميّة أنّ كلّ ما يحدث في الكون قابل للتّفسير والتّنبُّؤ من حيث المبدأ. وبهذا يُفضي مفهومُ الحتميّة إلى الحقيقة القائلة إنَّ: «معرفتنا لجميع الشُّروط الّتي تعيِّن ظهور الظّاهرة تمكِّننا من التّنبُّؤ بما سيَحدث حتماً»، وهذا التّنبّؤ وليدُ اطِّراد العلاقات بين الظّواهر وترابطها؛ فتزايد معرفتنا بالظّروف الّتي تحيط بسلوك الإنسان مثلاً، كفيل بالمساعدة على اكتشاف القوانين الصّحيحة الّتي تَحكم سلوك البشر.

ويؤدِّي مبدأ الحتميّة دوراً مهمّاً في ميدان العلم، والمنهج العلميّ تحديداً، لأنَّه يُمكِّن العلماء من الاستقراء والتّعميم التّجريبيّ، بحيث أنّه ما يَصدُق على الأمثلة الملاحظة لظاهرةٍ معلومة، يَصدق على كلّ أمثلة الفئة المعيَّنة الّتي تُشبه الأمثلة الملاحَظَة.

وقد تعدّدت نظريّات الحتميّة بتعدُّد تطبيقاتها والاعتبارات الّتي دَفعت إليها، لكنَّ العنصر المشترك بينها جميعاً هي اتِّفاقها على خضوع الحوادث في الكَون لقانونٍ سببيٍّ؛ فأصحابُ الحتميّة الأخلاقيّة يقولون إنَّ الإنسان يسعى إلى اختيار الأفضل [بنظره]، ولا يمكن له أن يختار بِمَحض إرادته فعلاً ما يضرُّ به نفسه [من وجهة نظره].

أمَّا أصحاب الحتميّة المنطقيّة أمثال (ديودورس والميغاريّون والرّواقيّون) فهم يرون أنّ هناك عللاً منطقيّة تستبقها بالضّرورة نتائج منطقيّة محتومة.

وقد تطوَّرت دلالة الحتميّة، فظهرت أوَّلاً الحتميّة الميكانيكيّة الصّارمة الّتي استمدَّت أساسَها من إسحاق نيوتن، وعبَّر عنها المفكِّر الرّياضيّ الفرنسيّ بيير سيمون دو لابلاس Laplace (١٧٤٩-١٨٢٧) بمقولته المشهورة: «لو استَطاع عقلٌ ما أنْ يعلم في لحظة معينة جميع القوى الّتي تحرِّك الطّبيعة، وموقع كلّ كائن من الكائنات الّتي تتكوَّن منها، ولو كان هذا العقل من السّعة بحيث يستطيع أن يُخضِع تلك المعطيات للتّحليل، لاستطاعَ أن يعبِّر بصيغةٍ واحدةٍ عن حركة أكبر أجسام الكون، وعن حركة أخفّ الذّرّات وزناً، ولكان علمه بكلّ شيء يقينيّاً، ولأصبح المستقبل والماضي ماثلَين أمام ناظرَيه كالحاضر تماماً».

هذا، ولم تكن الحتميّة الفيزيائيّة إلّا صورة من صُوَر الحتميّة العلميّة الّتي شَمَلت مجالَ علمِ النّفس والعلوم الاجتماعيّة، فنادت الحتميّة النّفسيّة بما قاله هوبز، ومفادُه تقييد نشاط الإنسان وسلوكه الإراديّ بحالاته النّفسيّة السّابقة عليه، أي إنَّ للسُّلوك مسبِّباته. فالإرادة مشروطة دائماً بالبواعث والدّوافع الدّاخليّة الّتي تحدِّد أفعال الإنسان، وإذا ما عُرفت تلك البواعث يكون سهلاً التّنبّؤ بالأفعال. وأضاف الطّبّ النّفسيّ إلى الدّوافع الشّعوريّة دوافع أُخَرَ لا شعوريّة، قال عنها إنّها محدِّدات السّلوك الأصليّة.

واتَّخذ مبدأ الحتميّة دلالات جديدة بعد عودة الفكر الجدليّ لتاريخيّة الفلسفة الحديثة في القرن التّاسع عشر حتّى اليوم، شملت المذهب المثاليّ والمذهب المادّيّ معاً؛ ففي فلسفة الطّبيعة والمجتمع والتّاريخ البشريّ، تمحوَر مبدأ «المادّيّة الجدليّة» أو الحتميّة الجدليّة على قانونَيِ التّناقض والتّركيب، اللذين يحكمان جميع العلاقات في مستوى الوجود - المادّة، والمعرفة - الفكر، والمجتمع - العلاقات، ووسائط الإنتاج والإنتاجيّة. فظهرت في فلسفة التّاريخ الاجتماعيّ مبدأ «الحتميّة التّاريخيّة» الّتي ترى أنَّ التّاريخ يسير وفق قوانين ثابتة، وأنّ للأُمم والحضارات دورات حياة تشبه دورة حياة الكائنات الحيّة، ومن هؤلاء هيغل وشبنغلر وتوينبي.

حِكَم

سيِّدُ أخلاق الحكمة، دينُ اللّه تعالى

قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «قال لقمان لابنه:

يا بُنَيّ، إيَّاك والضَّجر وسوء الخُلُق وقلّة الصَّبر، فلا يَستقيمُ على هذه الخصال صاحبٌ، وألْزِم نفسك التَّؤدة في أُمورك، وصبِّر على مؤنات الإخوان نفسَك، وحَسِّن مع جميع النَّاس خُلُقَك.

يا بُنَيّ، إنْ عَدَمَكَ ما تَصِلُ به قرابتَك وتتفضَّل به على إخوانِك فلا يعدمنَّك حُسْنُ الخُلُق، وبَسْطُ البِشْرِ، فإنَّ مَن أحسَنَ خُلُقَه أحبَّه الأخيارُ وجانَبَهُ الفُجّار. واقنَعْ بِقِسمِ اللهِ لِيَصفوَ عيشُك، فإنْ أردْتَ أنْ تَجمعَ عزَّ الدُّنيا فاقطَعْ طَمَعَكَ ممَّا في أيدي النَّاس؛ فإنَّما بلغَ الأنبياءُ والصِّدِّيقون ما بَلَغوا بِقطْعِ طَمَعهم.

يا بُنَيّ، لا تعلِّق نفسَك بالهموم ولا تشغل قلبَك بالأحزان، وإيَّاك والطَّمع، وارْضَ بالقضاء واقنَعْ بما قَسَمَ اللهُ لك.

يا بُنَيّ، سيِّدُ أخلاق الحكمة دينُ الله تعالى، ومَثَلُ الدِّين كَمَثَل الشَّجرة الثَّابتة، فالإيمانُ بالله ماؤها، والصَّلاةُ عروقُها، والزَّكاةُ جذْعُها، والتَّآخي في الله شعبُها، والأخلاقُ الحسنةُ وَرَقُها، والخروجُ عن معاصي الله ثمرُها، ولا تَكملُ الشَّجرةُ إلَّا بثمرةٍ طيِّبةٍ، كذلك الدِّين لا يكمل إلَّا بالخروجِ عن المحارِم.

يا بُنَيّ، لكلِّ شيءٍ علامةٌ يُعرَفُ بها، وإنَّ للدِّين ثلاثُ علاماتٍ: العفَّةُ، والعلمُ، والحِلْمُ».

لغة

خرق

خَرَقَ: قوله تعالى ﴿..إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ..﴾ الإسراء:٣٧، أي تبلغَ آخرها.

يقال **خَرَقَ** العادة: إذا أتى بخلاف ما جرى في العادة.

قوله تعالى: ﴿..وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ ..﴾ الأنعام:١٠٠، أي افتَعلوا ذلك كَذِباً، أي: قالوا ما لا يَنبغي وافتَعلوا ما لا أصلَ له. وذلك في المشركين قالوا: الملائكة بناتُ الله. وأهل الكتاب قالوا: عُزَيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله.

وفي الحديث نهى عن التّضحية بالخَرْقاء وهي الّتي في أُذُنِها ثُقبٌ مستدير.

وفي الحديث: **الخُرْق شؤم، والرِّفق يُمْنٌ**، هو من قولهم: خرق خرقاً من باب تعب: إذا عمل شيئاً فلم يرفق به، فهو أخْرَق، والأنثى خَرْقَاء كأحمر وحمراء. والاسم الخُرْق بالضّمّ فالسّكون.

والخُرْق أيضاً: الحُمق وضعفُ العقل، والخُرْق: الجهل. ومنه: النّوم بعد الغداة خُرق...

والخَرق بالفتح: الثّقب في الحائط وغيره، والجمع خُروق كفلس وفُلوس. ومنه خَرق الإبرة. ومنه الحديث: **فخَرج مثل خَرق الإبرة فأغرقَ قوم نوح**.

والخِرْقة بالكسر: القطعة من الثّوب والجمع خِرَق كَسِدرة وسدر. ومنه خِرقةُ الميت. وخَرَقتُ الثّوب وخرَّقتُه، مبالغةً.

ومَخرِق: اسم رجل. ... وفي الحديث: **البرقُ مخاريقُ الملائكة**، هي جمع مِخراق وهي في الأصل: ثوبٌ يلفُّ ويَضرب به الصّبيان بعضهم بعضاً، يعني البرق آلة تزجر الملائكةُ بها السّحابَ وتسوقه...

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

ثمانيةُ نفرٍ إمامُهم ضبّ

المعلّى بن محمّد البصريّ، عن بسطام بن مرّة، عن إسحاق بن حسّان، عن الهيثم بن واقد، عن عليّ بن الحسن العبديّ، عن ابن طريف عن ابن نباتة، قال: «أمرَنا أميرُ المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة، فَسِرنا يوم الأحد وتخلّف عمرو بن حريث في سبعة نفرٍ، فخرجوا إلى مكانٍ بالحيرة يسمَّى الخورنق، فقالوا: نتنزّه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا عليّاً قبل أن يجمع [أي قبل صلاة الجمعة]. فبينا هم يتغدّون إذ خرج عليهم ضَبٌّ [صنف من القوارض بحجم الأرنب] فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفّه، فقالوا: بايعوا هذا أمير المؤمنين، فبايعه السَّبعة وعمرو ثامنهم، وارتَحَلوا ليلة الأربعاء فقَدموا المدائن يوم الجمعة وأميرُ المؤمنين يخطبُ ولم يفارق بعضهم بعضاً، كانوا جميعا حتّى نزلوا على باب المسجد.

فلمّا دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **يا أيّها النّاس، إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أسرَّ إليَّ ألف حديثٍ، في كلّ حديثٍ ألف باب، لكلّ باب ألف مفتاح، وإنّي سمعتُ الله يقول:** ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ .. ﴾ الإسراء:٧١، **وإنّي أُقسم لكُم بالله لَيُبعثنَّ يومَ القيامة ثمانية نفرٍ بإمامهم وهو ضبّ، ولو شئتُ أن أسمّيهم فعلتُ.** قال: فلو رأيتَ عمرو بن حريث سقط كما تسقط السّعفة وجيباً».

(بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

جَمْكَران

«جمكران» قريةٌ تقع على مسافة خمسة كيلومترات من مدينة قمّ المقدّسة، وفيها «مسجد جمكران» المعروف بأنّه بُني بأمرٍ خاصٍّ من الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف، وبالقرب من المسجد جبلٌ معروف يقع فيه مقامٌ للخضر عليه السلام.

جاء في المصادر التّاريخيّة أنّ منطقة «جمكران» كانت -منذ القرن الأوّل- بمنزلة ملاذٍ آمنٍ لكثيرٍ من الموالين لآل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، أو للهاربين من بطش الأمويّين، ذلك أنّ العرب الأشعريّين وهم من خواصّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، نَزحوا من الكوفة نجاةً بأنفُسهم من بطش الحجّاج الثّقفيّ، فقدموا إلى إيران واستوطنوا منطقة «جمكران»، ومن أعلامهم المدفونين بمدينة قمّ «زكريّا بن آدم الأشعريّ».

كما أنّ جماعةً من بني أسد ناصروا بني المغيرة في حربهم ضدّ الحجّاج، نزحوا من العراق في النّصف الثّاني من القرن الأوّل واستوطنوا جمكران، ويُقال إنّ الخطّاب الأسديّ هو الّذي بنى أوّل مسجدٍ في تلك النّاحية، كان ذلك في القرن الهجري الأوّل.

كذلك، تخفّى التّابعيّ سعيد بن جبير، وهو من حواريّي أمير المؤمنين عليه السلام مدّةً من الزّمن في جمكران، قبل أن يُقبض عليه ويُقتل بأمرٍ من الحجّاج.

في رثاء الإمام محمّد الجواد عليه السلام

فاقصُد جوادَ بني الهُدى بابَ المُراد

العلّامة الشّيخ جعفر النّقدي رحمه الله

أبيات مختارة من قصيدة للعلّامة الأديب الشّيخ جعفر النّقدي (ت: ١٣٧٠ للهجرة)، صاحب كتاب (الأنوار العلويّة)، و(زينب الكبرى عليها السلام)، و(مِنَن الرّحمن) في شرح قصيدة الشّيخ البهائيّ: (سرى البرقُ من نَجْدٍ...).

إمامٌ، أوجَبَ الباري ولاهُ ... وطاعَتَه على كلِّ العباد
دليلُ بني الهداية، خيرُ داعٍ ... إلى ربِّ السَّماء، وخيرُ هادي
إمامُ هُدًى، مقامُ عُلاه أضحَتْ ... به الأملاكُ رائحةً غَوادي
تُقَبِّلُ منه أرضاً، قد أنافتْ ... برفعتها على السَّبْعِ الشِّداد
إذا ما سُدَّت الأبوابُ فاقصُد ... (جَواد) بني الهُدى، بابَ المُراد
تَرى باباً، به الحاجاتُ تُقضى ... ومُنتجَعاً، خَصيبَ المستراد
لطُلّاب الحوائج من نَداه ... تَزاحمت العوائدُ والبَوادي
بحارُ علومه، علمُ البَرايا ... لَدى زخّارها شبْه الثِّماد
وكم ظَهَرتْ له مَن مُعجزات ... رآهُنَّ الحواضرُ والبوادي
وما ارتَدَعوا بنو العبّاس عَمّا ... قلوبُهُم حَوَتْهُ من عناد
فَسامُوهُ الأذى حَسَداً ببَغي ... لهم قد فاق شرّاً بغي عاد
ودَسَّ لقَتله سُمّاً ذُعافاً ... زنيمٌ، ليس يؤمنُ بالمعاد
فأغضَبَ رَبَّه في ما جَناهُ ... وأرضى (أحمدَ بن أبي دؤاد)
وباتَ الطُّهر، والأحشاءُ منه ... بها نارُ الأسى ذاتُ اتّقاد
كأنّ فؤاده، والسُّمُّ فيه ... تُقطِّعُهُ ظُبى بيضٍ حِداد
تُقَلِّبُه الشُّجون على بساط ... من الأسقام، دامي القلب صادي
أأُمَّ الفضل، لا قُدِّست رُوحاً ... ولا وُفِّقت يا بنتَ الفساد
حَكيت (جُعيدةً) في سوء فعل ... فَخَصْمُك أحمدٌ يومَ التَّناد
أمثلُ (ابن الرِّضا) يبقى ثلاثاً ... رهين الدّار، في كُرَبٍ شداد
ويَقضي فوقَ سطح الدّار فرداً ... وأنت من الغواية في تمادي
أفتيانَ العُلى من آل فهر ... وأبطالَ الوَغى، يومَ الجلاد
وأبناء المواضي والعوالي ... وفُرسانَ المطهَّمة الجياد
هَلمّوا بالمسوَّمة المذاكي ... لدَرْك الثّار، ضابحةً عوادي
عليها كلُّ مغوار جَسُور ... يزين حسامُه طول النّجاد
سقى الزّوراء غيثٌ مُستمرٌّ ... وعاهَدَ أرضَها صوبُ العهاد
رُبى أرجائها أعلى مقاماً ... وأزهى من رُبى ذات العماد
بقَبر ابن الرّضا وأبيه حَقٌّ ... لها، لو فاخَرتْ كُلَّ البلاد
هما كهفُ النّجاة لمَن رَمَتْهُ ... لَياليه بداهية تآد
كريما محتدٍ مَن كان مثلي ... يَوُدُّهما فمَن كَرَم الولاد
فما زالت قبورُهما قصوراً ... مشيَّدة، رفيعات العماد

إصدارات عربية

الكتاب: «ظلال زينب سلام الله عليها»

جمع وتحقيق: «مركز آثار الشّهداء»

النّاشر: «جمعيّة إحياء التّراث المقاوم»، بيروت ٢٠١٣

صدر حديثاً عن «جمعيّة إحياء التّراث المقاوم» كُتيّب بعنوان «ظلال زينب سلام الله عليها»، وهو عبارة عن مقتطفات من مشاهدات وخواطر عن الشّهداء والمجاهدين في معركة الدّفاع عن مقام عقيلة بني هاشم السّيّدة زينب عليها السلام، قام بجمعه وتحقيقه «مركز آثار الشّهداء».

جاء في التّعريف به: «هذه الباقة من المرويّات جمعها فريقٌ المحقّقين في مركز آثار الشّهداء في وحدة الأنشطة الإعلاميّة، وجميعها أُخذت من الرُّواة مباشرةً، لتكون متاحةً لكلِّ مَن أحبَّ هذه المقاومة وأراد أن يعرف شيئاً عن طينة شهدائها، الّذين صَدَقوا.. وأمّا البقيّة فيستمرُّ نداؤها: **لبّيكِ يا زينب**».

ينقل الكتاب شهاداتٍ حيّة لآباء الشّهداء وأمّهاتهم وزوجاتهم، وأخرى للشّهداء أنفسهم قبيل استشهادهم، نقلها عنهم الّذين كانوا معهم في ساحة المعركة.

الكتاب: «مفتاح الخير»

إعداد: «مركز نون للتّأليف والتّرجمة»

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٣

ضمن سلسلة «في رحاب الوليّ الخامنئيّ دام ظلّه»، صدر كتاب «مفتاح الخير – شذرات من عبق الإمام الخامنئيّ في الزّهد..» قام بإعداده «مركز نون للتّأليف والتّرجمة».

يضمّ الكتاب مجموعة مختارة من كلمات الإمام الخامنئيّ دام ظلّه، «تبيّن الحساسيّة الّتي ينظر بها القائد الحكيم إلى الوساوس الخطيرة للدّنيا، وقلقه على أبنائه في ساحة الامتحان الكبير. كلماتٌ غاية في الصّدق والجذب، يروي فيها وقائع من التّاريخ ببيانه العَذب وبتوجيهٍ يكتنفه الهمّ والحرص على أهل الولاية، حتّى لا تتكرّر سيرة أولئك الّذين انقلبوا»، كما جاء في تقديم الكتاب.

تصدّر الكتاب خطبةُ أمير المؤمنين عليه السلام في زهد الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وتوزّعت فصوله الخمسة بحسب العناوين التّالية:

- عصرنا بين الزّهد والنّزعة الدّنيويّة.
- سقوط الخواصّ وزهد أعمى.
- عليٌّ عليه السلام.. نموذج الزُّهد الأرقى.
- الزُّهد ثقافة وعلاج.
- كلمةٌ إلى رجال الله: راقبوا قلوبكم لتبقى القامات شامخة.

الكتاب: «الكلمات القصار – الإمام السّيّد عبد الحسين شرف الدّين»

إعداد: «مركز نون للتّأليف والتّرجمة»

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٣

صدر مؤخّراً عن «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، كتاب «الكلمات القصار – الإمام السّيّد عبد الحسين شرف الدّين» أعدّه وجمعه «مركز نون للتّأليف والتّرجمة» في بيروت.

جاء في مقدّمة الكتاب: «لقد كنّا، وأثناء إعدادنا لهذا الكتاب وقراءتنا لكلمات السّيّد، لا نتمالك أنفسنا أمام بعضها إلّا والدّمعة جارية على الخدّ والحرقة مستعرة في القلب، فكنّا نشعر وكأنّه يحدّثنا، بل وكأنّه معنا، وكنّا نجد في بعضٍ من كلماته فراسةً تُنبئ القارئ عن حال الأمّة وما سيجري عليها بعد حين، ولِمَ لا؟ **فالمؤمن ينظرُ بعين الله**، فكيف إذا كان عالِماً ربّانيّاً..».

وقد عمد «مركز نون» إلى تبويب موضوعيّ لأقوال السّيّد شرف الدّين رضوان الله عليه، معتمداً على «موسوعة الإمام السّيّد عبد الحسين شرف الدّين» من إعداد وتحقيق «مركز العلوم والثّقافة الإسلاميّة».

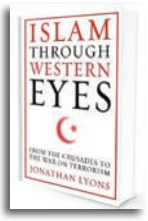

الكتاب: «الإسلام بعيون الغرب» Islam Through Western Eyes

المؤلِّف: Jonathan Lyons

النّاشر: «Columbia University Press»، نيويورك ٢٠١٢

يأتي هذا الكتاب بمنزلة حلقة جديدة تُضاف إلى سلسلة الأعمال الفكريّة - الأكاديميّة الّتي تتَّسم بقدرٍ لا يخفى من الإنصاف والحياديّة والموضوعيّة العلميّة في تناولها قضيّة العلاقة بين الغرب الأوروبيّ والأميركيّ وبين عقيدة الإسلام وجماعة المسلمين، وهي علاقةٌ شابَتْها، منذ بواكير القرن الحادي والعشرين، سلبيّات وتعقيدات نَجَمَت بالذّات بعد حادثة تفجير المركز التّجاريّ في نيويورك في ١١ سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠٠١م، وهو ما أَفْضى إلى تبلوُر وذيوع مصطلح «إسلاموفوبيا»، الّذي يجمع في دلالته بين معنى رُهاب الإسلام ومعنى كراهية الإسلام، والمسلمين بطبيعة الحال.

ورغم أنَّ هذه الظّاهرة السّلبيّة في علاقات المسلمين بالغرب، ما زالت متفشّية وتُعبِّر عن نفسها في صُوَرٍ شتّى، فالكتاب لا يذهب إلى أنّها ظاهرةٌ مُحدثة نشأت مثلاً مع مقولة صمويل هنتنغتون الشّهيرة في التّسعينات بشأن تصادم الحضارات، ولكنّه يذهب إلى أنَّ ظاهرة التّربُّص إلى حدِّ العداء والتّصادم بين الغرب والإسلام نَشَأت مع الحروب الصّليبيّة، وهي الظّاهرة الّتي جمعت بين مَوْجات الاستعمار الأوروبيّ وبين شحنات التّحريض، الّتي سبق إليها البابا الكاثوليكيّ أوروبا تحريضاً على شنِّ الحروب الصّليبيّة على بلاد الشّرق ضد الإسلام والمسلمين.

وعلى مدار الألف سنة الماضية، ظلَّت هذه الشّحنات تظهر أحياناً وتختفي أحياناً أخرى، ولكنَّها لم تَصِل إلى حدِّ الزّوال، وَهناك من وسائل الإعلام الحديث مَن لا يزال يشير إليها ويستخدمها بكلِّ ما تُفضي إليه من سلبيّاتِ سوء الفهم، ومشاعر التّربص والعداء، على نحوِ ما تفعل أحياناً قناة مثل «فوكس نيوز»، أو قناة «سي.إن.إن» في الوقت الرّاهن.

في كلِّ حالٍ تظلُّ هذه النّوعيّة من الكُتُب دعوة مستندة إلى نهج التّقصّي التّاريخيّ والبحث الأكاديميّ فضلاً عن الصّراحة العلميّة، حيث تدعو إلى أنْ يَطرح الغرب، ساسته ومُثقّفوه بالذّات، عن كواهلهم غبار فترة الألف سنة الّتي سادتها روحُ التّعصُّب والتّربُّص بل والتّجاهل لِما أنجزَهُ الإسلامُ والمسلمون من إضافاتٍ ثمينة بحقّ إلى صَرْحِ الحضارة الإنسانيّة فكراً وعِلماً وفنّاً وإبداعاً، وهو ما يَحُول بداهةً دون اسْتِشراء الظّاهرة السّلبيّة الّتي سبق إلى طرحها صمويل هنتنغتون تحت عنوان «تصادم الحضارات»، وما زال العالمُ يدفع ثمنَها حتّى الآن.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

الكتاب: «مستقبل النّفط وراء قلق الإسلام كما يراه الغرب»

Engaging The Muslim World

المؤلِّف: جوان كول Juan Cole

النّاشر: «Palgrave Macmillan»2009

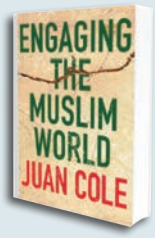

يندِّد هذا الكتاب «مستقبل النّفط وراء قلق الإسلام كما يراه الغرب» لمؤلِّفه البروفيسور جوان كول، بسياساتٍ رَسَمها المحافظون الجُدُد أيّام بوش، ومحوَرها عبارة عن حالةٍ يَصِفُها المؤلّف بأنّها «شعور التّوجُّس إزاء الإسلام»، ويصكُّ لها تعبيراً مبسَّطاً من كلمتَين وهما «قلق الإسلام»، ثمّ يوضح أنّ هذا الشّعور -قَلَقاً كان أو هاجساً- أصبح يشوب الخطاب السّياسيّ الشّعبويّ في أميركا، متمثِّلاً في خلطٍ بالجهل أو سوء النّيّة بين ما هو سياسيّ وما هو عقائديّ. أكثر من هذا، يرى مؤلِّف الكتاب أنَّ شعار «قلق الإسلام» الّذي لا يفتأ يراود لفيفاً من ساسة الغرب ومفكِّريه -في أميركا بالذّات- إنّما يرجع في رأيه، لا إلى خشيةٍ من أجندة الإسلام، ولا من تصرُّفات المسلمين، بقدر من أنَّ الخشية -على بلاطة صريحة كما قد نقول- هي على مستقبل تدفُّق النّفط من أقطاره المُنتجة في ما وراء البحار، ليصبّ في شرايين الاقتصاد في الغرب الأورو - أميركيّ، وباعتبار أنَّ معظم تلك الأقطار النّفطيّة مُسلِمة بالدّرجة الأولى.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

«الثّقافة الإسلاميّة»

عن «المستشاريّة الثّقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في دمشق» صدر مؤخّراً العدد الجديد من مجلّة «الثّقافة الإسلاميّة»، وهو عدد خاصّ بمناسبة يوم القدس العالميّ.

قدّم للعدد رئيس التّحرير سيّد عليّ موسوي زاده، أمّا المقالات والأبحاث الواردة في الملف، فهي:

- «القدس مدينة مفتوحة» للدّكتور حسين جمعة رئيس «اتّحاد الكُتّاب العرب».
- «القضيّة الفلسطينيّة وتحوّلات المنطقة العربيّة» للباحثة السّوريّة باسمة حامد.
- «القدس بين المرجعيّة الرّبّانيّة والمرجعيّة السّلطانيّة» للدّكتور تامر مير مصطفى.
- «شعراء الأمّة ينشدون القدس» للباحث أحمد مير إبراهيم.
- «القدس في الرّواية العربيّة» للباحث الفلسطينيّ حسن حميد.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

«نور القرآن»

صدر العدد الجديد من الفصليّة الّتي تُعنى بالدّراسات القرآنيّة «نور القرآن» والّتي تصدر عن «مؤسّسة القرآن الكريم» في العاصمة الألبانيّة تيرانا.

يضمّ العدد الجديد من المجلّة الّتي يرأس تحريرها الشّيخ عبّاس الألبانيّ عدداً من الدّراسات والمقالات المترجمة من العربيّة والفارسيّة إلى اللّغة الألبانيّة، وهي تدور حول قضايا قرآنيّة وثقافيّة وفكريّة إسلاميّة وعلميّة.

من أبرز مقالات العدد الجديد افتتاحيّة رئيس التّحرير، وهي تعرض البُعد الحضاريّ للكتاب الإلهيّ وخصوصاً الآيات الّتي تُشير إلى السُّنن التّاريخيّة، والأسباب الّتي تحكم مسار الحياة البشريّة، وصولاً إلى قيام الحضارة الإنسانيّة العادلة.

نقرأ أيضاً في باب المقالات والدّراسات:

-«حياة العلّامة الألبانيّ الحافظ علي كورجا وآثاره» كتبها الباحث والمؤرّخ آدمير ماجاري.

-«تأثير الإسلام في الطّبّ العالميّ» بقلم الدّكتور إبراهيم سيّد.

-«الثّروة المختزنة في قلب الجبال» للسّيّد مجتبى الموسوي لاري، ويتطرّق المقال إلى آيات التّسخير الّتي تشير إلى عظَمة الخالق في إبداع الكون وتسخيره لأجل سعادة الإنسان.

-«أدلّة علميّة حول الطّبّ في القرآن» للكاتب هارون يحيى.

-«الإسلام ضدّ الاعتقادات الباطلة» بقلم كنتيان آسلاني وخيري شهو.

-في التّفسير نقرأ مقالة الكاتب الإسلاميّ عبد الدّائم كحيل في تفسير آية: ﴿وليس الذَّكَرُ كَالأُنثى﴾ – رؤية علميّة.

يُشار إلى أنّ هذه المجلّة تصدر باللّغة الألبانيّة مع ملخّصات لموضوعاتها باللّغتين العربيّة والفارسيّة.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

«تحوّلات مشرقيّة» (١)

صدر حديثاً العدد الأوّل من المجلّة الفصليّة الثّقافيّة الفكريّة «تحوّلات مشرقيّة»، وهي مجلّة تصدر في لبنان وفلسطين في وقتٍ واحد، وتتألّف هيئة تحريرها من كُتّاب وباحثين لبنانيّين وفلسطينيّين.

في هذا العدد نقرأ مجموعة من الدّراسات والمقالات الّتي تتناول قضايا النّهضة في العالَمَين العربيّ والإسلاميّ. وقد جاءت أبرز الموضوعات على الشّكل التّالي:

ملفّ العدد: تحت عنوان: «العلمانيّة اليوم» وكتب فيه كلّ من عادل ضاهر، وعاطف عطيّة، ونصري الصّايغ، وسميح حمّودة. وأمّا أبرز العناوين فتناولت: الإسلام السّياسيّ والدّيمقراطيّة؛ الدّين والدّولة العلمانيّة؛ العروبة والدِّين والفصل بينهما؛ الاتّصال والانفصال بين الإسلام والعلمانيّة.

كما وتضمّن العدد موضوعات وأبحاثاً في الاستراتيجيّة السّياسيّة، منها:

- «حراك الجيوستراتيجيا العراقيّة» للباحث محمود حيدر.
- «سوريا والقضيّة الفلسطينيّة» للكاتب سركيس أبو زيد.
- «الوضع العسكريّ الأميركيّ الجديد في العالم» للعميد الرّكن سركيس فرحات.
- «المعاهدة الأردنيّة الإسرائيليّة» للكاتب عبد الله حمّودة.

(قبل ٤٤ عاماً)

إلى زوَّار بيت الله الحرام

فقرات من نداء الإمام الخميني، قدس سره، الّذي وجّهه إلى حجّاج بيت الله الحرام من مقرِّ إقامته في النّجف الأشرف، عام ١٣٩٠ للهجرة:

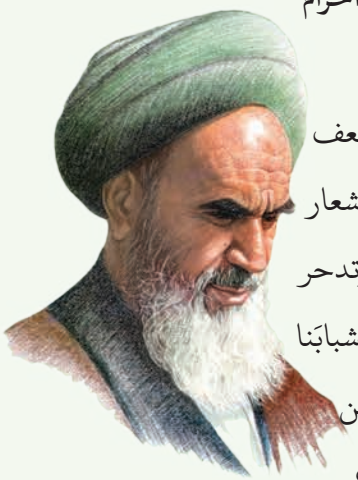

* ها هي مخالب الاستعمار الخبيثة تغورُ في أعماق الأراضي الواسعة لأمّة القرآن بِسببِ ضعف الشُّعوب الإسلاميّة وتساهلها، وهاهم يبتلعون جميع ثرواتنا ومواردنا الضّخمة تحت شعار الوطنيّة، وها هي الثّقافة الاستعماريّة المسمومة تَنفذُ حتّى أعماق قرى البلدان الإسلاميّة، وتدحر الثّقافة القرآنيّة، وتوظّف ناشئتنا فوجاً بعد آخَر في خدمة الأجانب والمستعمرين، وتَحرِف شبابَنا كلّ يومٍ تحت عناوين وأسماء خادعة، ومن الواجب عليكم يا أمّة الإسلام العزيزة، الّذين اجتمعتُم في أرض الوحي لأداء شعائر الحجّ، أن تنتهزوا الفرصة وتفكّروا في سبيل الخلاص، وتتبادلوا الآراء، وتتفاهموا لحلّ قضايا المسلمين الشّائكة.

* عليكم أنْ تأخذوا بنَظرِ الاعتبار أنَّ هذا التّجمُّع الكبير، الّذي يَحدثُ بأمرِ الله تعالى كلَّ عامٍ في هذه الأرض المقدَّسة، يوجب عليكم أيَّتها الشُّعوب الإسلاميّة أن تبذلوا جهودكم في طريق أهداف الإسلام المقدَّسة، والأهداف السّامية للشَّريعة المُطهَّرة، وفي طريق تقدُّمِ المسلمين وسُمُوهمّ، وتضامن المجتمع الإسلاميّ وتلاحمه. عليكُم أن تتَّحدوا في الفِكر، وتتحالفوا في طريق الاستقلال، واستئصال سرطان الاستعمار، وأنْ تَستمعوا إلى مشاكل الشُّعوب المسلمة من لسان أهل كلّ بلد، ولا تَألُوا جهداً في طريق حلّ مشاكلهم. وأن تَجدوا حلًّا لفقراء البلاد الإسلاميّة ومساكِينها. وتفكّروا في طريقٍ لِتحرير أرض فلسطين المُسلِمة من مخالب الصّهيونيّة، العدوّ اللَّدود للإسلام والإنسانيّة. ولا تغفلوا عن مساعدة الرِّجال المُضحِّين الّذين يناضلون في سبيل تحرير فلسطين، والتَّعاون معهم.

* للأسف الشّديد، فإنّ من الملاحظ في هذا التّجمُّع الكبير للحجّ، الّذي يجب أن يُستَغلّ لصالح الإسلام والمسلمين، أنّ بعض الأقلام المسمومة العميلة للاستعمار تنشر منذ سنين أوراقاً تحت عنوان (الخطوط العريضة) [للخطيب] وأمثالها، خلافاً لأهداف صاحب الوحي وفي مركز الوحي، وبذلك يساعدون المُستعمِرين، ويهدفون إلى عزل ما يقرب من ١٥٠ مليون شخص عن صفوف المسلمين. ومن العجيب أن تسمح حكومة الحجاز بنشر مثل هذه الأوراق المُضلَّة في مركز الوحي؟!

على الشُّعوب الإسلاميّة اجتناب مثل هذه الكُتُب والمنشورات المثيرة للفرقة والاستعماريّة، وأن ينبذوا هؤلاء الأشخاص المعارضين لوحدة المسلمين. وأن يتبادلوا أوّلًا الآراء في قضايا الإسلام الأساسيّة، ثمّ في القضايا الخاصّة بالبلدان الإسلاميّة، ويَروا ما يجري في داخل هذه البلدان لإخوتهم المسلمين على يَدِ الاستعمار وعملائه. وعلى أهالي كلّ بلد أن يُبيِّنوا لمسلمي العالم في هذا التّجمُّع المقدَّس مشاكل شعوبهم.